

المبانيذ التاريخية

في

مصر الوثنية والمسيحية

اطلب التاريخ الصحيح فتستريح وتريح

تأليف

اسكندر صيفي

Alexander Sefi,
London.

المطبعة العصرية

لصاحبها اليان فانطون اليان
لنفره ٥٦٠٢٠

شارع علوى رقم ٥ بالقاهرة

ELIAS MODERN PRESS,
ELOUI STREET, CAIRO.

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

All rights reserved



يطلب هذا الكتاب

من ادارة « سفنكس Sphynx » بالقاهرة

في شارع المناخ

وثمته عشرون قرشاً

مقدمة

الرائد لا يكذب اهله ، ولا يبرقش قوله ، واني استخرت الله وجمعت
هذا التاريخ من كتب الافرنج الفضلاء ، المطالعين على اخبار الاغريق
والرومان القدماء ، وسميته

المنارة التارخية في مصر الوثنية والمسيحية

بيد أنه السيّار المشرق في بوار المشرق ، قصدت فيه فكاهة قارئيه
والتعليم ، وتنبيه افكار الشبان وذوي الذوق السليم ، واخاله قد اتى رائق
الحديث بعيد الغور ، وارجو أن يكون قاضياً على مثل ذلك الدور ، وذاك
الجور ، حتى يرى المشرق زاهياً راقياً ، ولأسباب العمران واعياً داعياً ،
والأيفوته الاعتبار ، من عظات هذه الحوادث والاخبار ، ان شاء الله .

obeikandi.com

بسم الله

الفصل الاول

سنة ٥١ الى ٣٠ ق م

في قلاو فطرا واخويها ويوليوس قيصر ومارق انطوني

(١) في سنة احدى وخمسين قبل المسيح تُوفِّي ملك مصر اليوناني بطليموس نيوس ديوييسيوس بالاسكندرية تاركاً وصيةً بالملك بعده لابنته البكر فلاو فطرا ولابنته بطليموس الاكبر على انهما يقتربان (١) ويحكما سوية . وكان قد ارسل صورة هذه الوصية لمجلس الامة في روما لتحفظ في سجلاته لوقت الحاجة وبها يقسم على الشعب الروماني بالاقسام الغليظة باهتمام وبالمعاهدات الودية التي بينه وبينهم ألا يخالفوها ويعهد اليهم بكفالة ولده حتى يبلغ اشده فعند موته اقام المجلس وصياً على الملك القاصر پومي صديق والده وفي السنة الثالثة من ملك قلاو فطرا واخيها ارسلت الاسكندرية ستين مركبا حربياً

(١) كالعادة عند ملوك مصر الاقدمين لا سيما بين ابناء العيلات منذ

لا سماعاً يومياً ضد خصمه يوليوس قيصر ، و بينما الحوادث تشغله
كان الخصيّ بوتينوس مرثي الصبي هو الوصيّ فعلاً فاستأثر
برأيه واعان الملك باسم الصبيّ وحده خلافاً للوصية

(٢) فانكرت قلاو فطرا فعله وهربت منه الى سورية وهناك جمعت لها
جيشاً وزحفت به الى حدود مصر تطالب حقها من الملك بالسيف .
واذ كانت جنود مصر واقفة في بلوزيوم (١) لمقاومتها وصل الى
الاسكندرية يومياً مذعوراً من وجه قيصر المنتصر عليه في
فرساليا (٢) يطمع باستقبال حسنٍ ومروءة من مملكة ابن صديقه
غير مدركٍ درجة مكر اليونان الذين لما رأوا ضعفه وخذلانه وقوة
خصمه اجمعوا رايهم على الغدر به فارسلوا القائد الخلاس والقائد
لوقيوس سيتيموس لاستقباله على المرفأ بظاهر الحفاوة والمودة
ولما وصلوا به الى البر قتلوه . وعلى قول تيودوتوس اليوناني من
جزيرة خيوس استاذ الملك الصغير « لا خوف عليهم من عضّة
الميت » . وكان يومياً ذاك الشهم الخطير الذي تقلد رياسة
مجلس روما ثلاث مرار وله اليد البيضاء امام والد ملكهم القاصر !

(١) امنح حصون مصر قديماً على ميلين من ضفة النيل الشرقية
جهة سورية

(٢) هي تساليا الحديثه

(٣) وبعد قليل وصل ايضاً قيصر للاسكندرية ، وفيها باغته ما أراحه من ثقل جرم قتل حمه پومي . وكان مامعه من الجنود لايزيد عن ثلاثة الاف ومايتي راجل وثمانماية فارس لكنه بصفته كرئيس مجلس روما واستناداً على ما بقى من قواته في اسيا لم يحجم عن اصدار امره للعمل بوصية ديونيسيوس . فالملك اظهر الطاعة وبامر قيصر بعث رسولين الى اخلاّس بالأّ يتحرك بالجنود التي معه في پلوزيوم . لكنّ مربيّه پوتينوس اسرّ الغدر بقيصر ايضاً فارسل من قتل رسل الملك بالطريق بينما رساله تجدد بالوصول الى اخلاّس لتطلبه مع رجاله للاسكندرية بأسرع ما يمكن .

(٤) وكان قيصر قد ازعج پوتينوس بالحاحه عليه لوفاء دين جسيم كان له على الملك السالف . وتظلمّ پوتينوس للناس من طلبه واحقدهم عليه لا بل انه امر بازالة اواني الذهب والفضة من مائدة قيصر وابدالها باواني الخبز والخشب واخبره بان تلك قد صبت تقوداً لوفاء دينه ، وقدم لجنوده سفالة الاطعمة وامتنّ بها عليهم كغير مندوبين لبلاده .

(٥) اما قلاو فطرا فكانت لم تنزل ضاربة خيامها بالقرب من پلوزيوم تنتظر نتيجة اوامر قيصر . ثم انها احتالت لمواجهته واثقة بقوة جمالها لاستمالته لنحوها ، فركبت البحر خفيةً ودبّرت وقت وصولها للاسكندرية ليكون ليلاً ، وبوصولها اليها نزلت بمركب

صغير مع صديق لها يدعى ابولودوروس الصيقلية . واذ رأت دخولها للقصر الملوكي علانية مستحيلاً ، طلبت الى رفيقها ان يلقها ببساط ويلقيها على باب القصر كبضاعة برسم قيصر ففعل ونجحت حياتها ووجدت نفسها واقفة امام قيصر ، لكنها بينما كانت قد جاءت سائلة اذا بها مالكة قلبه وصاحبة الامر على المملكة بأسرها

(٦) وبهذا الاثناء وصل اخلاّس بجنوده للاسكندرية ، ولم يكن لدى قيصر سوى الجنود التي اتى بها وكان الشعب حاقداً عليه . فلما رأى ضعفه عن الخروج لاخلّاس عمد الى الامتناع بالقصر فتحصّن وحبس عنده الملك واخاه الاصغر واختهما ارسينويه (اي القمر) وپوتينوس . وكان القصر بالنقطة المسماة بروخيوم على الشاطئ وله سور منيع لجهة المدينة والطرقات منها اليه ضيقة لا تسمح للعدو ان يقتحمها بعدد كبير من الرجال ، ومع ذلك فان قيصر رأى استلزامه لعدد اوفر على البر ، فامر جنوده التي كانت باقية بالمراكب ان تحرق بعضها وتأتيه للبر . فلما اشتعلت المراكب التي امر بحرقها طار شرارها الى مخازن الرصيف فاتقدت وامتدت النار منها الى الموزيوم فاحرقته وابدات مكتبته الشهيرة مع السبعمئة الف كتاب التي كانت فيها وبها وبعلمائها ازدان ملك البطالسة وذريتهم حتى في اخر الزمان وتسلبت الجهل على المملكة وبها كانت

الاسكندرية محط رجال رجال العلم بعد اثينا . ولولا ان قيصر يلاقى
 فرجاً من اعدائه ولو بهلاك هذه المكتبة لكان ولا شك ترك
 لنا بتاريخه عن حروبه تأييداً لا ثقاً بها . فكاننا حال الجريز
 دون القريز

(٧) ثم ان ارسينويه هربت من القصر الى اخلاس . فدقق قيصر
 المراقبة حينئذ على من معه ، واكتشف على دسائس من بوتينوس
 بها يطمع اخلاس بقلة المؤنة بالقصر ويستنهض عزمه فقتله

(٨) وليث اخلاس محاصراً قيصر فحفر خندقاً بجانب القصر لمنع
 من فيه من الخروج ، وساح العبيد وسخر الاغنياء ، وبلصهم ليكن
 اذ ارسينويه عارضته ببعض تصرفاته ولم يصغ لكلامها ، عملت
 على قتله واستبدت بالسلطة فاقامت خصيها غانميدس قائداً على
 العسكر وكانت هي بنفسها تخرج للجنود وتشجعهم على القتال
 وسنها لا يتجاوز الثانية عشرة . واذ كان شرب الاسكندرية من
 صهاريج ياتيها ماء النيل بانابيب من الترة ، حول غانميدس ماء
 البحر المالح لتلك الترة ، فلما اشعر رجال القصر بتغيير طعم ماء
 صهر يجهم هاجوا قلقاً لئلا يموتوا عطشاً . لكن قيصر عرف السبب
 فأمرهم بالحفر بالارض ، وبليلة واحدة وجد ماء عذبا يكاد يكفي
 البلد كله خلافاً لزعم الجمهور لئلا يموتوا عطشاً . لكن قيصر عرف السبب
 ليس تحتها ماء يُشرب

(٩) ثم ان غانيميدس فكّر فيما يصنع لهلاك المراكب الرومانية وهو لا موافق له يُحاربهم بها . فاستدعى كل المراكب التي كانت عنده لمراقبة الكمارك بالنيل واصلاح العتيق من مراكبه البحرية واخذ اخشاب البيوت لعمل المقاذيف وبمدة قصيرة جهز سبعة وعشرين مركباً حربياً ومراكب غيرها صغيرة كلها بكمال وتام مراكب قيصر ما خلا الزينة . وكان ماسك الدفة بمراكب الاسكندرية يقف تحت خيمة بشكل الخوذة (التي اسمها بالانكليزي هلمت) فصار فيما بعد هلم اسماً للدفة باغة الانكليز . اما قيصر فلم يكن باقٍ عنده من مراكبه الحربية سوى خمسة عشر مركباً مع بعض مراكب صغيرة ، لكنه اذ كان واثقاً بمحكمة وشجاعة نوتيته الرودوسيين امرهم بالخروج الى العدو المحيط بهم وراء جزيرة المنارة ، ورغماً عن ان ضيق المخرج كان لا يسمح لهم بالخروج باكثر من اربعة مراكب بالدفة يمكن للعدو كلها برزت ان يحوط بها ويحطمها ، خرجوا اليه وكانوا كلما تصدّى لهم مركب من مراكبه يدبرون له رأس مركبهم المحدد الى انهم بظل مراكبهم الاربعة الاولى تمكنوا من اخراج مراكبهم كلها من المرفأ واستعر القتال بين الفريقين حتى احمرّ وجه البحر من الدماء . وكانت ترى سطوح الاسكندرية والجزيرة غاصّةً بالمتفرجين وصراخهم يملاً الجوّ تحريضاً لرجالهم على القتال . اما نوتية قيصر فكان لا حاجة

لهم بالتحريض الامن عند أنفسهم ، فاسروا مركبين واغرقوا
ثلاثة من راكب العدو وهرب منهم الباقون وتبنددوا

(١٠) فلتلافي مثل هذا الخطر ثانية ، عزم قيصر على الاستيلاء على

جزيرة المنارة فعبأ مراكبه وخرج اليها فأخذها والقلمة التي
فيها والسد الذي يربطها بالبر بينما كان العدو ماسكاً بالطرف
الآخر من السد قلمة اكبر فقصده ان يخرجها منها ايضاً ، لكنه
لما جرب ذلك أخفق وارتدت جنوده هاربةً لمراكبها والعدو
يضغطها ، ومن شدة الازدحام بالمراكب غطس مركب قيصر
الخاص به ولولا انه يرمي بنفسه الماء ويسبح لمركب أبعد لكان
هلك من جملة الثمانمائة مقاتل الذين ققدم ذلك اليوم . وفقد جبته
الرسمية فأخذها المصريون وعلقوها وسط المدينة علامةً لانتصارهم

(١١) ثم حصلت مهادنة بينهم لأن المصريين كانوا قد بدأوا يشكون

من جور ارسينويه وخصيها ويطلبون ملكهم . وكان قيصر
يحسن الظن بالصبي فعزم على اطلاقه وردّه اليهم ، فبطليموس
الأكبر اظهر عدم رضائه من مفارقة صديقه قيصر وتأسف وبكى
لكنه اذ بلغ معسكره مسح دموعه وأعاد الكرة على قيصر

(١٢) وكان قيصر ينتظر أن تأتيه مراكب سورية بذخيرة فوضع

بطليموس مراكبه على مصب النيل جنوبي الاسكندرية وسد
عليها الطريق

(١٣) انما متريداتس البرغامي كان زاحفاً براً بجنود سورية لاسعاف
قيصر، وبوصوله الى پلوزيوم فتحبها ثم مشى الى منف (١) عازماً
أن يقطع النيل بالقرب من هليوبوليس فقام اليهود هناك
يعارضونه لكنه لما اطعمهم على الرسائل التي معه لهم من
اخوانهم في اورشليم أنسوا به . ثم لحق به انطيطاير ثلاثة آلاف
مقاتل من اليهود، وقيصر ومن معه من الجنود أتوه مقامين
بمراكبهم فحشد لهم بطليموس قواته وكان القتال بينهم أولاً
سجلاً الى ان كسروه فالتجأت رجاله لمراكبها وازدحم مركبه
الخاص فغطس به وبمن معه وهلكوا بأجمعهم

(١٤) فعاد قيصر حينئذ بجنوده للاسكندرية، ولما وصلها خرج اهلبا
لاستقباله وامامهم الاصنام يطلبون الأمان، فأمنهم ودخل المدينة
وأول اوامره كان أن يعمل بوصية ديونيسيوس ولما كان الابن
الاكبر قد مات أمر ان يكون أخوه بطليموس الاصغر عوضاً
عنه بالملك مع قلاوفطرا، وكانت قلاوفطرا قد ولدت لقيصر ابناً
سماه قيصرون (٢) ورغماً عن ولده بها لم ير بدّاً من رجوعه لروما

(١) — عاصمة مصر القديمة على اثني عشر ميلاً جنوبي القاهرة وليس
لها اثر الان . اما هليوبوليس مدينة الشمس المصرية فهي «عون» التوراة
(٢) — هكذا كان قانون الملكة لكي لا يسقط حق الملكة من
ملكها بادخال غريب عنها فيه فكانت تأخذه صاحباً

فتركها تحكم باسمها واسم أخيها الذي صار زوجها الشرعي ككنائين عنه ، وأبجر لروما مع الفيلق السادس الروماني آخذاً معه الأميرة ارسينويه اسيرةً. فلما وصل اليها علم بأن مجلس الامة فيها قد سمّاه اوتوقراطاً من ستة اشهر وكان مارق انطوني رئيس اصطبله النائب عنه في تلك المدة

(١٥) ودخل روما قائداً الاميرة ارسينويه موثوقةً بالاغلال وراء مركبته.

وكان بموكبه مركبة فوقها صنم آله النيل واخرى تحمل تمثال منارة الاسكندرية ووراءها زرافة لم تكن الرومان عرفت شكلها من قبل. ثم بعد قليل وفدت عليه زائرة الملكة قلاوفطرا مع زوجها

الشرعي وعمره اثنتا عشرة سنة وكانا نزيلي داره مدة من الزمان

(١٦) ولما كانت السنة الخامسة من دخوله الاسكندرية واذا قلاوفطرا

نزيلة داره انتفض عليه الرومان لزعمهم أنه قد استبدّ فيهم ،

وقتلوه . فتحيّرت قلاوفطرا في امرها وظنت أنها تستميل الرومان

اذا عرضت على مجلس الامة اقامة ولدها قيصرين شريكاً لها

بالمالك . فالتجأت الى قيصرين ليعضدها لكنه كان يبغضها لتجبرها

فرفض طلبها وهديّةً كانت قد ارسلتها اليه ، فلما انكرها وجلت

وهربت راجعةً لمصر

(١٧) فمن هذا الوقت ضيّعت مصر استقلالها وأمست قلاوفطرا في

خطر من الرومان ان لم يكن لها زبون منهم فحوّلت انظارها

اولاً (وقيل اكثر من ذلك) نحو سكستوس بوهيوس الذي كان على رأس اسطول روماني عظيم وبيده صقليا ويطمع برئاسة روما ، لكن اوقتا ويانوس بعد قليل انتصر عليه ولاشى قواته فلم يفدها شيئاً

(١٨) وكان قيصر قد ترك في مصر جيشاً رومانياً وافراً لحراسة المملكة ظاهراً ، لكن حقيقة لحفظ السلطة الرومانية . فكان هذا الجيش لا شغل ولا عمل له الا البطر والفساد وكان شرّ قدوة للجمهور

(١٩) أما قلاوفطرا فريثا كان اخوها ولداً قاصراً لم تبال ان يكون شريكاً لها بالملك ، لكنه اذ بلغ اشدّه قتلتها واخذت ابنها قيصرون شريكاً لها

(٢٠) وبوجه الاجمال فان هذا الزمان كان زمان فسق وفجور واسراف وقتن في مصر ، فلا نجد فيه شيئاً من نتائج العقل والعلم ، الا ان الرياضيات كان اهمالها اقل تأثيراً من اهمال الشعر والفلسفة . فان سوزيجينوس كان اول علماء الفلك في ذاك الزمان في مصر وبمساعده اُصلح يوليوس قيصر تقويم السنة المنسوب اليه وهو الذي بعد تحديده ايام السنة من ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم بدّل رأس السنة ثلاث مرار لارتياحه بيوم الاعتدال ، وذلك لأن المراقبة اللازمة كانت في ايامه محصورة بيومين من السنة اذ تمرّ الشمس بخط الاستواء

(٢١) ومن علماء الحساب والهندسة في ذلك الزمان كان الرياضي فوتينوس وديديموس بالفقه ، وديسقوريدس بالطب ، ولهذا كتاب نفيس بخصائص الحشائش والاعشاب والمعادن للطب ، وبالسموم وعلاجاتها تداولته الناس اجيالاً عديدة الى ان اضعفت الاكتشافات الحديثة رأيه . واشتهر ايضاً بهذا الزمان الجراحى سيرايبون . قيل عن تجربة لا عن علم

(٢٢) وبهذا الزمان كان بناء المعبد الصغير في هرمونتس بالقرب من ثيبه للالهة مندو او الشمس على اسم قلاو فطرا وابنها قيصر ون ، وبالقرب منه حوض ماء الزوم الفرائض الدينية . وهذا المعبد يختلف عن المعابد القديمة بضعفه عنها . وهو الوحيد في ثيبه للاله مندو . مع انها كانت تعرف هذا الاله من عهد رمسيس الثاني لكنه اصلاً من الهة الارياف وانما آتى زمان عبدته فيه ثيبه بدلاً من « عمون را » . ثم رجعت لعبادة هذا الى ان شيد بذاك الزمان المعبد الصغير لمندو الذي سنراه بالعهد التالي قد صار من آلهة النوبة

(٢٣) اما موت قيصر فلم يكسب الرومان شيئاً من الحرية المندوبة والراحة المرغوبة ، لا بل انه زاد بالنزاع فيما بينهم وبيلايا الفتن الداخلية . ثم تغلب حزب قيصر على غيره من الاحزاب بعزم

اوقتاويانوس ابنه الشرعى وصديقه مارق انطوني . وعادت السلطة
لهذه الفئة ونيرها أحكم ربطاً من نير قيصر وأعظم وقرأ

(٢٤) لا يظهر لنا جلياً كيف كانت أميال قلاوفطرا لدى النزاع بين

مارق انطوني وحزب قاتلي قيصر ، وربما انها كانت تنتظر اترى
من الأقوى لتميل اليه فان اليانوس كان قد أتاه من قبل
دولوبلا يسألها أن تبعث ما يمكنها من الجنود لمساعدة انطوني
في سورية ، فأعطته أربع فرق من جنودها الرومانية . لكنه
بوصوله لسورية انحاز لقاسيوس خصم انطوني . فهل كان هذا منه
غدرًا بقلاوفطرا أم بتواطئٍ منها ، لا نعلم ؛ انما المعروف هو ان
قاسيوس كان يشكر لاليانوس أكبر من شكره لها . ثم لما سيرابيون
والي قبرس حشد ايضاً لما كان يظنه الحزب الأقوى وبعث
مراكبه لخدمة قاسيوس كانت قلاوفطرا تجهز عمارة كبيرة . لكن
بما ان قبل خروج هذه العمارة كانت الحرب قد انجلت عن
انتصار انطوني وقتل بروتوس وقاسيوس قالت أنها انما كانت
تجهزها لمساعدة اوقتاويانوس وانطوني فأرسل انطوني يطلبها
لمواجهته في طرسوس لتبرهن له ذلك

(٢٥) فالرسول اليها ديلوس لاقى منها اكراماً وحفاوة فلاطفها وأزال

روعها مشيراً عليها أن تتكل على جاهها فجهزت مراكبها وشحنتها
بالهدايا النفيسة واقلمت لطرسوس واثقة بالغلبة على قلب قاضيها كما

غابت على قلب قيصر من قبل وهي أحدث سنًا واقل حنكة
 فدخلت مراكبها نهر قدس الذي نسميه العاصي برونق باهر جداً
 فكان مركبها محلي مؤخره بالذهب وشراعه من القماش الأحمر
 ومقاذيفه من الفضة تتحرك على نغمات الأوتار وهي لابسة ثوباً
 شفافاً ومتكئة على وسادة من الحرير يظللها سرادق من الديباج
 وحوها غلمان كالأقمار يروحون لها بالمرآح وأماها الفتيات لابسات
 ما خفّ وشفّ يمسكن حبال الحرير المتصلة بالشرع والدفة واذ
 دنت من البر حمل النسيم روائح مجامرها العطرة لاهالي طرسوس
 الذين كان الشاطيء غاصاً بهم وانطوني جالساً بينهم على اريكة
 لاستقبالها .

يا سالكاً بين الأسنّة والنظبي . اني اشمّ عليك رائحة الدم !

(٢٦) وطرسوس على نهر العاصي طرف احراش سفح جبل طوروس

الفاصل بينها وبين قبائل افريجيا والفينيقيين كان نصفها من اليونان
 والنصف الآخر من السوريين وكان لها شهرة عظيمة ببناء المراكب
 والتجارة نظراً لحسن موقعها وخشب احراشها فكان تجارها اصحاب
 غنى واسع واداب ولهم فيها القصور الشائقة والمدارس للفنون والعلوم
 اليونانية وكان يخرج منها علماء مفلقون عرفت روما منهم اكثر مما
 عرفت من علماء الاسكندرية واثبتنا لأن المراكب كانت كثيرة

عندهم تحملهم أينما شاءوا فأثينو دوروس قوريليون كان منهم أتى روما وصار استاذاً لقانو وأثينودوروس بن صندون مثله صار استاذاً لقيصر ونستور صار استاذاً لمرقلوس ومنهم كان ديميتريوس اول عالم نزل شطوط بريطانيا وبعد جيل من زمان هؤلاء الرجال خرج من مدارسها ابولونيوس الوثني المدعي بالمعجزات واخيراً بولس الرسول فالفرق بين مباديء هؤلاء الرجال وما شاهدته طرسوس من اطوار قلاوفطرا كان عظيماً جداً

(٢٧) ولما نزلت قلاوفطرا للبرّ وسأمت على انطوني دعتة واركان حربه لوليمة كانت قصاعها من الذهب المحلى بالحجارة الكريمة والسرادق واثننا عشرة وسادة فيه كانت كلها من الديباج الفاخر واذ اظهر انتوني اعجابه من مثل هذا الغنى اهدته الاواني كلها ثم دعتة باليوم التالي وارته من الغنى والزينة اعظم مما رآه بالأمس وبعد الغذاء اهدته ايضاً ما كان على المائدة من اواني الذهب واهدت اصحابه الوسادات التي جلسوا عليها

(٢٨) وظلت تولمه اياماً متوالية على هذا النمط حتى انه لامها على هذا الاسراف فقالت له انتظر غداً لما اولك وليمة قيمتها عشرة الاف تستريا اي ستون الف ليرة انكليزية من عملتنا الدارجة الآن فأجابها بأنه يستحيل عليها انفاق مبلغ كهذا على وليمة فلما كان الغد اولته كالعادة أو أحسن الا انه لم يرَ ما يعتبره خارقاً فقال لها أرينا

تقويمك لهذه الوليمة لنعرف الحقيقة عن كلفتها التي زعمت بالأمس
 انك ستنفقها وكان باذنيها لؤلؤتان ثمان عشرة الف سيستريا
 فدعت بقدر من الخل والقت فيه احداها وشربتها وكادت تفعل
 كذلك بالثانية لولا ان القائد بلانكوس يمك بيدها ويصدها
 ويحكم بأنها صدقتهم وبقيت تلك الدرّة الى ان قُطعت نصفين في
 مستقبل الايام صيغا قرطين لصنم وينوس بالبانطيون في روما
 ولشهرتهما بما كان من قصتهما صارا يثمان بقيمة الدرّتين
 الصحيحتين

(٢٩) فكذا لطف وذكاء، وكذا جمال وصبا أخذن على عقل الشاب
 وقلبه فراح صريع الغرام. وبينما كان يقصد محبتها وجد نفسه
 محكوماً عليه ومقيداً بسلاسل لا انفصام لها لدرجة أنه امثالاً
 لارادتها سمح بجنون شقيقتها أرسينويه في معبد ديانا بافسس بعد
 عفوه عنها ظناً منه بأنه يراعي بذلك احساسات قلاو فطرا. ومن
 بعض كمالات هذه الملكة العقلية كان اتقانها لاكثر لغات
 الشرق والغرب

(٣٠) تلك كانت حالة انطوني بينما كانت زوجته فولويه تهتم بتقوية
 حزبه في روما ضد مطامع أوقتاويانوس وبينما خصمه الآخر
 لايبانوس يتهدده بجنود بحر الخزر حتى انه رافق قلاو فطرا
 للاسكندرية وسكن معها غير فائق من سكرته بهواها وهي

تؤانسه وتمسح قدميه بالعطر (كالذي أهرق على رأس السيد المسيح فيما بعد) وكان الرطل المصري منه يباع بأربعمائة دينار في قماقم من الجبسين من عمل بلد الأسترون في الجهة الشرقية من النيل (١) ومن اسم هذا البلد أخذ الافرنج اسم الأبتدر وكان يُتاجر بهذا العطر من مصر الى دجلة

(٣١) وفي السنتين العاشرة والحادية عشرة من ملك قلاوفطرا لم يتم وفاء النيل فأقحطت مصر وحصت مجاعة فيها ومن أثر ذلك ما وجد مكتوباً من تشكرات كهنة ثيبة (٢) لقالياخوس جابي الخراج لرفقه بالناس في تلك الأيام وبسبب نقص الوارد من الحبوب المعينة لفقراء الاسكندرية حرم اليهود منها فكان ذلك خرقاً لمساواتهم الشرعية باليونان وابتداءً عداوة طويلة بين الفريقين لا سيما وان اليونان كانوا ينظرون الى كل شرقي كبربري ورقيق واليهود لا يرون كفوآ لهم بالدنيا سوى العرب

(٣٢) ولما كان كل استناد قلاوفطرا على جيش الرومان كان كل اهتمامها بمرضاة انطوني فولدت له ابناً سمته بطليموس وتوأمين سمتهما اسكندر هاليوس أي الشمس وقلاوفطرا سيلينه أي القمر وكانت نديمته بالشرب وشريكته بالقمار ورفيقتة بالقنص والصيد

(١) على خط طرف جبل سينا

(٢) عاصمة الصعيد قديماً على جنبي النيل تجاه راس المرج الكبير وهي الان الاقصر

واستعراض الجيش حتى اذا قام بالليل يتجسس كانت تصحبه بزي
غلام كى لا تترك له وقتاً الا ويراها بجانبه
وكنت اذا ارسبت طرفك رائداً

لقلبك يوماً أسامتك المحاجر

(٣٣) ثم أتاه ابنه الاكبر من فولوييه زائراً وأقام معه مدةً بهناء ورغد

عيش واذ هم لاهون آمنون وأنطوني يرى الدنيا طوع يديه

وفدت عليه الكتيب من روما تخبره بأن أوقتاويانوس قد نفى

زوجته فولوييه وأخاه من روما واستبدت بالحكم فهورول راجعاً اليها

لكنه لم يصل الا بعد أن كانت زوجته قد توفيت فتزوج أوقتاويا

أخت أوقتاويانوس أرملة مرقلوس لغاية سياسية ظنها تفيد حزبه

(٣٤) وفي تلك السنة أي ٣٩ ق . م أتى هيروود بن أنطيباطر مصر

قاصداً روما ليطلب اليهودية مملكة له فاستقبلته قلاو فطرا

بالاكرام وتلطفت اليه ليبقى عندها أميراً على جنودها لكنه اذ

كان يطمع باستقلاله لم يغره عرضها عليه الأمانة فشكرها

واعتذر وأقنع الى روما وهناك ساعده أنطوني على غايته وبواسطته

منحته السناتو كرسي اليهودية فعاد لسورية ليجمع عسكرياً للاستيلاء

على فلسطين ولما نشبت الحرب بين أنطوني وأوقتاويانوس كان

هيروود قد دخل أورشليم بمساعدة سوستوس وكيل أنطوني

(٣٥) وبالسنة التالية أتى أنطوني بنفسه لسورية فبعث يطالب قلا وفطرا
 اليه وبوصولها أهداها ما ربما كان أثنى هدية من عاشق لمعشوقته
 فانه أقطعها فينيقيا والبقاع وقبرس وقسماً من سيليقييا جانب جبل
 طوروس وقسماً من اليهودية ومن النبطية فلم يزد لها ذلك الا طمعاً
 فانها طلبت منه أيضاً رأس هيرود ورأس مالك ملك النبط لأن
 الأول كان قد أشار على أنطوني بقطع علاقاته معها التي كانت
 سبب الاختلاف بينه وبين أوقتاويانوس ولأن الثاني كان
 حاقداً عليها . فلم يطاوعها انطوني على طلبها هذا لكنه زاد لها
 أرض البلسم المحيطة باليهودية ومائتين الف تالنت أي قيمة
 ثلاثين الف ليرة من عملتنا الدارجة الآن من خراج اليهودية . ولما
 رأت نفسها على رأس مملكة عظيمة كهذه أخذت تؤرخ ملكها
 ثانية من تلك السنة وبعد ان رافقت أنطوني للفرات بزحفه ضد
 أرمينيا عادت لمصر عن طريق دمشق واليهودية حيث استقبلها
 هيرود بلباقة اكراماً لأنطوني وضمن لها الخراج الراجع لها من
 اليهودية ثم مشى بعض فراسخ بوداعها

(٣٦) ومع كل طيش هذه الملكة فانها كانت من ذاك النسل محب
 العلم وجامع مكتبة الموزيوم التي احترقت بمحاصر قيصر فبطلبها
 الآن أهداها انطوني مائتين الف كتاب من مكتبة برغاموس (١)

(١) برغامة من اسيا الصغرى ومن اسمها اشتق الافرنج اسم الرق بلغاتهم
 « بارشمن » نظرا لشهرة الرق المصنوع فيها بذلك الزمان

وضعتها في معبد سرايس وبها عادت الاسكندرية اول مدينة
بالدنيا بالعلوم حتى باخر الزمان وانحطاط مصر لدرجة ولاية
رومانية لا بل وخمسين سنة بعد ذلك حينما الفياسوف اليهودي فيلو
اتى الاسكندرية وسأل ابن هم بطالستها فكان لسان حالهم
يجيبه ها هنا في مكتبة السيرايوم

(٣٧) ولنرجع الآن لأنطوني فانه بعد انتصاره على الأرمن عاد
للاسكندرية قائداً ملكهم أرطاو زردس أسيراً وراء مركبته ثم
دعى الناس للجمنازيوم وجلس هناك مع قلاو فطرا على كرسيين
من الذهب واعلن للجمهور اتخاذها ابناً قيصرين شريكاً لها
بالمك وأعطى أولادها الآخرين لقب ملوك أبناء ملوك وأقطع
ابنها اسكندر أرمينيا وميديا والجرجان متى تم فتحها وأقطع
بطليموس ابناً الآخر فينيقيا وسورية وسيليقيا جانب جبل
طوروس وكانت قلاو فطرا لابسة ثوباً كالألهة انزيس بصفة
انزيس الجديدة وألبست ابناً اسكندر جبة وعمامة مجرهرة على
شكل المديانيين وألبست بطليموس جبة طويلة وقلشينا وعراقية
عليها اكليل مجوهر أشبه بتاج خلفاء الاسكندر. وكان أنطوني
لابساً تاجاً ومقلداً سيفاً شرقياً وأهدى بذاك المحفل لقلاو فطرا
كافة التحف التي أصابها من بارثيا أي بلاد الخزرج وأسيره
طغران بن ملكهم

(٣٨) لكنه اذ كان نفوذه بهذا الاثناء قد سقط في روما مالبت قليلا حتى صار يخشى من تغيير قلاوفطرا عليه ويخاف أن تغدر به ورغماً عن ولعه بها صار لا يأكل ولا يشرب عندها ما لم تقاسمه المأكول والمشروب . فاستاءت من ذلك وهي لم تنزل مخلصاً له ولتبرهن له صفاء نيتها لنحوه . دعتة يوماً للغذاء بعد ان اخذت زهوراً كانت تكال رأسه بها على السباط وغمستها بالسم الناقع . ولما جلسا على المائدة رفعت من رأسها زهوراً ورمتها بقدرها كأنها تتأنق برويتها بالقدح وشربت فاقتدى بها انطوني لكنه اذ مال بالقدح الى فمه خطفته منه وأخبرته بأنه مسموم ولو أرادت موته لتركته يشرب ثم أقنعتة بالبرهان بوجود ذاك السم فسكنت روعه وعاد الى ثقته باخلاصها

(٣٩) واول النقود المضروبة بعهد قلاوفطرا كانت ترى عليها صورتها من جهة وصورة نسرام قرن من الجهة الاخرى واسم الملكة قلاوفطرا . ثم اذ ولدت لأنطوني اولاده ضربت النقود بصورة انطوني فاتح أرمينيا من جهة وصورة الملكة قلاوفطرا أم الملوك أبناء الملوك من الجهة الاخرى ومنها بصورة انطوني امبراطوراً من جهة والالهة الفتية بصورة قلاوفطرا من الجهة الاخرى . وربما أن قلاوفطرا كانت آخر ملوك اليونان الموصوفين بالهة على عادة القوم قديماً من وجه التحجب والاكرام وليس من وجه الحقيقة

أو ربما أصلاً بمعنى أن القائم بالامر أميراً كان أو سيداً أو رئيساً هو كاله لمن تحت سلطته بالنيابة عن الآلهة الغير منظورة وهذا فيه نظر لمن تبصر

(٤٠) انما جوت يوليوس قيصر و بعد قليل منه جوت بروتوس وقاسيوس مزاحمي أنطوني على رياسة روما . وجد هذا نفسه الزعيم الاول بين الرومان لكن كثيرين منهم كانوا يكرهون سلوكه في مصر وكان أوقتاويانوس قد ابتداءً أن يجعل لنفسه حزباً قوياً ضدّه فيأول الامر لم يؤثر ذلك على مركز أنطوني في روما فضربت نقودها تلك السنة بصورته من جهة وصورة النسر المصري من الجهة الاخرى وسمى المجلس نائباً له صديقه سوزيوس ريثما يحضر لاستلام زمام رياسته فضربت مصر نقودها النحاسية حينئذ مكتوباً عليها من جهة أنطوني قنصل لثالث مرة ومن الاخرى الملكة الالهة الفتية انما قبل سفره منها كان قد تغير رأى المجلس فيه وعُدَّ عدواً لروما لكن اذ لم يرد أوقتاويانوس أن يشهر الحرب ضدّه أشهره ضد قلاو فطرا أو كما ادعى ضد حاشيتها مفسدي أخلاق أنطوني وهم عبدها مرديون وأمتها ايريس وامرأة من خواصها تدعى خرميون

(٤١) وفي بداية السنة التي كانت تنتهي بموقعة اقتيوم (١) بين أنطوني

(١) راس خليج ارتا من بلاد الاغريق الغربية المسماة بيريا حيث خبر الدين سنة ١٥٣٨ م فاز على عمارات اسبانيا والبندقية والباباوية

واوقتاويانوس كان هذا قد تسلط على ايطاليا والغال واسبانيا
وقرطاجنه يقود ثمانين الفا من المشاة واثنى عشر الفا من الفرسان وله
مائتان وخمسون مركبا حربيًا بينما انطوني كان الامر في مصر
والسودان والقيروان ولديه مائة الف من عساكر المشاة واثنى عشر
الفا من الفرسان وخمسمائة مركب وكانت كل ملوك المشرق من
انصاره فكانت قلاو فطرا موقنة بالنصر تحلف برأسها انها ستري عن
قريب جالسة على سرير روما وكان ذلك جائزًا لولا ان انطوني
ياخذها معه لميدان الحرب ويقضي على نفسه وعليها بالفشل والهلاك
لأنه اذ كان يقاتل اوقتاويانوس بعمارته على شطوط بحر الروم
بالقرب من اقييوم جاء وقت خاف فيه عليها فهرب بها طائشًا عوضًا
عن أن ينضم الى جنوده البرية التي كانت أوفر من جنود اوقتاويانوس
ويقودها الى النصر

(٤٢) ولما وصل بها الى ليبيا أنزلها هناك وارسلها برًا للاسكندرية
وربما أنه كان ينوي الرجوع لموقع الحرب ويفعل ما أشرنا اليه لكنه
لم يفعل بل أقلع هو أيضًا للاسكندرية هاجرًا جنوده التي انضمت
حينئذ الى خصمه وهو اذ وصل للمرفأ اعتزل بنفسه كثيرًا مدة
قصيرة بصومعة هناك ثم خرج منها ودخل المدينة ورجع الى ما كان
عليه من اللهو والطيش مع محبوبته مهملاً أخذأي احتياط من الخطر
الذي كان يهدده برًا وبحرًا

(٤٣) هذا مع ان سكان مصر كانوا بذلك الزمان يبلغون زهاء ثلاثة آلاف الف نسمة فكان يمكن أن يخرج منهم ثلثمائة الف مقاتل وكانت ثروة الاسكندرية لم تنزل كافية لاعتلهم لكنهم كانوا قد ألفوا النمل كالعير فلا يبالون من يركبهم من الحكام فلم يحركوا ساكناً لنصرتهم ولما وصل أوقتاو يانوس الى بلوزيوم لم يجد سوي حامية ضعيفة كان قائدها سلوقوس الذي سلم له بدون مدافعة ولهج الناس بأنه فعل ذلك بأمر من قلاو فطرا لكنها أنكرته ولتبريء نفسها أمام انطوني سلمت له أولاد سلوقوس وزوجته لينتقم منهم ان شاء

(٤٤) ثم وصل اوقتاو يانوس لضواحي الاسكندرية ونصب خيامه بعيداً من بابها الشرقي فخرج اليه انطوني برجاله وأزاحه عن مكانه ذلك اليوم الا أنه لما أراد الخروج في اليوم التالي ودعى جنوده فلم تجبه الا شرذمة حفظت ذمته فـكـرّ بها مشعراً بخيانة قواده فلم يطبق الوقوف امام عدوه فانهزم هارباً للداخل السور

(٤٥) فاليهود فرحوا من خذلان قلاو فطرا وأظهروا ارتياحهم من فشل حاميتها وصارت هي تلغتهم وتشتهي ذبحهم ولو بيدها وكان انطوني يرى تواتر رسل اوقتاو يانوس اليها فاشتبه بصدقها وهي خافت من غضبه فهربت لحصن كانت قد بنته بالقرب من معبد ايزيس آخذة معها كنوزها من ذهب وفضة وعاج وابنوس وكمية من القنب كأنها تقصد ان تضرم النار بالمكان وتموت فيه حريقاً بثروتها ثم ارسلت

تخبر انطوني بأنها قد ماتت فلما اتاه الخبر ظن أنها قد سمّت نفسها
 فبكي لفقدها ولم يرضَ ان يعيش بعدها فاستل سيفه وشكّه بصدره
 حتى اشرف على الموت وطار الخبر الى قلاوفطرا بما كان منه
 فانتحبت وبكت وطلبت احضاره اليها فحمله خدمه الى الحصن
 ولكون قلاوفطرا كانت قد سدّت بابه خوفاً من ان يُغدر بها
 وتقع بيد العدو ارخت له سلة من كوة الحصن تنشله بها فكانت
 تسحبه بمساعدة امرأتين معها بمنظر من الجمهور والدموع تكاد ان
 تعمي بصرها وهو ملقى مضمخ بدمه رافعاً يديه نحوها فرحاً بسلامتها
 لكنه بعد وصوله اليها مات

(٤٦) وبهذا الاثناء دخل اوقتاويانوس المدينة راجلاً وبرفقته اريوس
 فاعطى السكان الامان وحرّم على عساكره السلب اكراماً
 لطلب رفيقه ثم سأل عن اولاد قلاوفطرا من انطوني وتلطف
 بهم اما ولدها قيصرون فكان هارباً نحو السودان مع مربيه
 رودون ومع انه يكون ابن خاله قيصر ذاك الذي تبنّاه وسماه
 باسمه اي يوليوس قيصر اوقتاويانوس لم يشفق على حداثة سنه
 وضعفه بل ارسل من لحق به وقتله بالطريق . قيل بتواطىء من
 مربيه اما المتزلفون الى هذا الظالم فمنهم من يقول بان اريوس
 كان المشير عليه بقتل الصبي ومنهم من يدّعي بانه كان ابن

قلاوفطرا من اخيها لامن قيصر فينتحلون عذراً لصاحبهم الذي
اعطوه فيما بعد لقب اغسطوس

(٤٧) واعر وقتاويانوس بالاحتياط بقلاوفطرا كي لا تقتل نفسها وهو

يريد ان تعيش ليزين بها موكبه عند ايايه الى روما فراح يزورها
ويعزيها بفقد انطوني واذن لها بدفنه ووعددها بحفظ كرامتها
وتهددها بقتل اولادها ان اضرّت بنفسها لكنها لم تطق الحياة
طويلا فيقال بانها اخذت سما ام ماتت من لسعة زنبور ام حية
أُتِيَ لها باحديهما في سائة غنم وعمرها اذ ذاك تسع وثلاثون
سنة ودفنت بجانب انطوني باحتفال ملوكي

(٤٨) ومعنى اسم قلاوفطرا « عزّ والدها » فكان اسما لطيفاً شريفاً

شائعاً بين اليونان والمقدونيين زهاء اربعمائة سنة حتى دنسته هذه
الملكة بسيرتها الردية فقلما سموا به بناتهم بعدها

(٤٩) ورأت روما فرجا بموت قلاوفطرا وخلصاً من خطر وقوع

اوقتاويانوس بشرا كها والتلوث بعار فخورها

(٥٠) سوى اننا قد كنا للان ننظر الى الرومان عن بعدٍ ولا نرى منهم

الا الشهامة والمروءة فكانت بالصدر الاول يكفيهم الشكر من

ايفانوس وفيلوماطر وعرجتيس الثاني لمساعدة ابدوها اما الان

فصرنا نرى البحر لا يرويههم والاهواء الذاتية والمطامع تقودهم

رويداً رويداً الى الاستئثار بالسلطة والفتوحات لاتزيدهم الا

طمعاً فانهم ملكوا اولاً مقدونيا من باب المدافعة ثم القيروان بحيلة
 ثم قبرس بلا سبب وصرنا نرى رجال السناتو اشد رغبة في الرشوة
 من الامة بالفتوحات والولادة كالذئاب الخاطفة حتى انهم لما تفاقم
 الفساد بينهم لم يروا دواءً له الاً جعل اوقتاويانوس اوطوقراطاً
 اى حاكماً مطلقاً يعمل برأيه وامره فيهم ليضع حداً للاختلال
 والحروب الداخلية وهو اذ ذاك قد ضم مصر الى مملكته
 والغى استقلالها

(٥١) وهذا كان اخر العهد بالبطالسة الذين افادوا العلوم والمعارف مالم
 تُفدّه دولة قبلهم لا سيما ان بالرياضيات والتشريح والمنطق كانت
 الاسكندرية القطب الذي عليه مدار علوم المسكونة ولو انها
 قصرت جلياً بعلم الاقتصاد والتاريخ وانحطت عن درجة اثينا بالفلسفة
 وسلامة الذوق

(٥٢) واذا امعنا النظر باسباب عمران وخراب هذه الدولة رأينا بان
 كلاً من فضيلة ام رذيلة من حكمة ام خرق من اقتصاد ام اسراف
 قد لاقى نتيجة وجنى ثماره فان الذهب المصري الذي جذب
 اليونان اولاً لمصر وكان الوسيلة لاعلاء شأن دولتهم فيها هو
 الذي ادنى اخيراً الى فساد طبائعهم وبطرتهم واضمحلال نفوذهم
 (٥٣) لاننا اذ كنا نرى في عهد بطليموس سوطير اى المختص اقتصاد
 بالمعيشة ونشاطاً على العمل واكراماً لاهل الفضيلة والعلم وسهراً

على اقامة العدل وتمهيد اسباب الراحة وتحصين الاطراف وبناء المدارس وتسهيل غايات التجار واستشارة العقلاء مما جعل الاسكندرية زينة الدنيا ومحط رجال زهرة رجال اليونان والسوريين صرنا نرى بالزمان الاخير فساداً يعم الكبير والصغير

(٥٤) ولما خلفه ابنه فيلادلفوس قبل تاريخنا هذا وجد مملكة واسعة مطمئنة فصددق امانها وجرى بها في درجات التمدن والعمران الى ان صارت اسواقها غاصّة بالتجار ومدارسها بالطلبة وفتوحاتها تتوالى برّاً وبحراً وصار هو اول ملوك زمانه بالقدرة والغنى والسيرة الحسنة حتي انه اعتُبر فيما بعد اعظم ملوك هذه العائلة

(٥٥) فكان المصريون بعهد هذين الملكين من اسعد الناس واحسنهم حالاً اخذين عن اليونان بعض فنونهم وعاطيهم دينهم فان الملك عرجتيس كان مصرياً اكثر مما كان يونانياً يغار على عظمة المعابد واكرام الكهنة كانه عامل بالوصية الدلفية « ان الالهة يقتضى اكرامها في كل محلٍ طبقاً لشرعية ذاك المحل » الا ان الجنود لم يكن حينئذ من هذا الروح فضعف تأثير الكهنة على الهيئة الاجتماعية واختلت المبادي عن الزمان الاول

(٥٦) وبالعهد التالي ظهرت آفات هذا الضعف والخلل فان فيلوباطر كان ملكاً فاسقاً تاركاً الحكم لنسوته وحاشيته غير مكترث بالحوادث لا الداخلية ولا الخارجية ظاناً ان مملكته لم تنزل

اعظم ممالك الدنيا بينما لم يبق لها حينئذٍ حقيقة من العظمة الا
الصورة والتقدم يخدم روما في قرطاجنه وسورية تحت قيادة
انطيوخوس العظيم ثم مات فيلوباطر مخلفاً لولده الصغير عرشاً يكاد
ان ينقض

(٥٧) فوزراء الملك القاصر وجدوا دولة لا راس لها ولا جيش وخزينة
فارغة وشعباً بلا مروءة ولا فضيلة فاستعانوا بالرومان خوفاً من تعدي
ملوك سورية ومقدونيا

(٥٨) ومن ذلك الوقت اصبحت دولة البطالسة تحت حماية روما
الى ان صارت ملوكها تطلب اعانة الرومان تارة ضد اعدائها
وتارة ضد رعاياها واحياناً تستشير السناتو بمصالحها واذا لم تعمل
برائتها قدمت لها عذراً فكانت الاحكام على هذا المنوال تدخل
رويداً رويداً بيد السناتو الى ان الظروف خولتها الاستيلاء على
حوران واسيا الصغرى والقيروان وقبرس ووصل البطالسة لدرجة
التماق لشرفاء روما فلم يعسر بعدئذٍ على اوقتاويانوس الملقب
باغسطوس ان يضم مصر لملك الرومان

(٥٩) وللبطالسة بنايات من معابد واساطين كان يظن بانها من قبل
زمانهم حتى فك كتابتهم الدكتورينج الانكليزي والافان
اعتناءهم كان شديداً بحفظ التقاليد القديمة والتباين الذي يظهر فيها
هو مالا بد منه على طول الزمان في كل بلاد فان بنايات الجديدة

obeikandi.com

obeikandi.com

صارت اقل ضخامةً ومكنا وقطع المسلات قلّ ونحت الاصنام
العظيمة وتشيد الاهرام توقّف وعمد المعابد تغير شكلها فان التي
كانت قديماً تُرى رؤوسها محفورة بهيئة ورق الغزار صارت ترى
مكلمةً بشكل زهر البشنين واغصان النخل والتي كانت رؤوسها
ضخمة تناسب الحمل الذي فوقها صارت ترى احياناً بشكل رأس
امرأة نحيف ما تعود على حمل اثقال ولا صخور

(٦٠) اما الدين فتراه في زمان البطالسة قد انتقل لآلهة جديدة ام قديمة
بصورة جديدة ، فان الاله هنيمو وهو النيل قد صار بصورة آله
النهر اليوناني يدفق ماءه من ابريق والقمر الذي كان يجمل رؤوس
الالهة قديماً صارها باسم يوح ، وايزيس الالهة ذات العشرة
الاف اسم . ثم ان مقام الالهة تبدل عن قبل فصار افتتاح
وسيرايبس من الدرجة الاولى . وتغيرت اسماء الرجال والبلدان
فعوضاً عن فت ايزيس وفت عمون وسيرايبون صرنا نسمع
بعودوتيس وهرموفنطوس وبوليقراط من اسما الرجال وصارت
اشمونين تدعى هرموبوليس واسنالاتوبوليس وخميس بانوبوليس
وثيبه ديوسبوليس . ونشأت مدن جديدة كالبطالسية (١) وفيلاسه

(١) نحو ١٤٠ ميلا تحت ثيبه وتحتها فيلاسه على بعد نحو ١٤٠ ميلا منها
على النيل اى بين القريتين الحديثتين المنشية والجرجه

وغيرهما ودخات للكتابة صور جديدة كالزرافة والموميه الراقدة على سرير والمراكب ناشرة شراعها والمعجلات بخيائها . وكثير استعمال الحروف واتسع التعبير عن الافكار بالكتابة حتى ان القاب الملوك زاد وصفها بطغرائتهم

- (٦١) ولما شاع استعمال ورق الفايبر للكتابة بالقرب من زمان دخول الفرس لمصر شاعت ايضاً الكتابة بالحروف وقلم الغزار وتشويشت صورها من ضعف صناعة الكتاب فهي الان اعسر فكاً من المحفورة . واما ما طراً على اللغة من التغيير فلا علم لنا به لاسيما ان معرفتنا بلغة ذلك الزمان محصورة بما نظنه يقرب منها وهي ترجمة الانجيل باللغة القبطية والحرف الرومي بعد سقوط البطالسة بثلاثة قرون (٦٢) ولما دخلت مصر في ملك اوقتاويانوس الذي سئذ كره بعد الان بلقب اغسطوس كان القبط غير اولئك الذين عرفهم الاسكندر ولم يكن لهم من حظهم الاول من الاداب الا القليل فقلوا عدداً وافتقروا وتبلىوا .

الفصل الثاني

عن سنة ٣٠ ق . م الى ٦٨ م

انتقال مصر الى حكم الرومان

اغسطس سنة ٣٠ ق . م

(١) ابتداء اوقتاو يانوس الملقَّب الآن بأغسطس حكمه في مصر بكسر تماثيل انطوني فيها وكانت هذه التماثيل بالاسكندرية وحدها تفوق الخمسين ، أما تماثيل قلاو فطرا فانه أبقاها برجاء صديقها أرخبديوس و بربطيل منه بألف تالنت أي نحو مائتين وخمسة وعشرين الف ليرة من عملتنا الدارجة ثم أقام قورنيليوس غالوس الشاعر صديق ورجيل والياً على مصر

(٢) وكان القانون قبل سقوط الحكم الجمهوري أن لا يقام حاكم بأمالك الرومان الا من أعضاء السناتو فأغسطس لم يطلب الغاء هذا القانون لكنّه طلب ولاية مصر وغيرها باسمه وبهذه الحيلة اخرج الولايات من حكم السناتو لحكمه الذاتي وصار يقيم لها من شاء نائباً

عنه الا مصر فانه ترك أمرها للسناتو محابةً منه والا فان السناتو كانت قد أمست اسماً بلا جسم فلا يصدر منها أدنى تحرش لولاية مصر بل كان هو الامر فيها ايضاً

(٣) ولكن بينما كانت الحكم الروماني يترك لأكثر الولايات استقلالها الاداري ، لم يستعمل اوقتاو يانوس من المصريين لادارة بلادهم الا من كان لا بد منه كالمفتي لشرائع دينهم وليس فقط انه أقام عليهم ولاية من غير أعضاء السناتولا بل انه حرّم على هؤلاء الأصلاء الدخول لأرض مصر الا بأذن منه وصار هذا قانوناً بعده لأجيال عديدة حتى في الزمان الذي فيه صارت الرومان تحتاج لاستعمال المسيرة . وقبل سن هذا القانون كان زار مصر الشاعر تيبليوس بصحبة صديقه السناتور ماسيلاً وحكي عن مشاهدته حزن أهل منف على موت عجلهم ايبس وأخبر عن فيضان النيل انه يكون عند طلوع الشعري اليمانية مع الشمس

(٤) وكانت السنة المصرية تبتدىء من هذا الطلوع والسنة الديوانية عندهم كانت من ٣٦٥ يوماً فرأس سنتهم كان ضرورة يتأخر ربع يوم من سنة لسنة (١) فأمر أغسطس باتخاذ حساب السنة المنسوب لقيصر من ٣٦٥ يوماً وربع يوم . واذ وقع رأس السنة المصرية بذلك

(١) وهكذا كان الحساب يتأخر شهراً كل ١٢٠ سنة وكل الف وخمسمائة سنة تقريباً يتم الدور فترجع الشهور الي فصولها الاولى

الزمان في ٢٩ سكتيس اى الشهر السادس عند الرومان جعل ابتداء السنة منه وصار هذا الشهر يسمى اغسطوس باسمه . ولبث هذا الحساب مستعملاً في اوروبا ستة عشر قرناً الى أن البابا غريغور يوس الثالث عشر أصلح خلاله بوضع السنة الكبيسية . ولما أدخل اغسطوس سنته الجديدة صارت مصر تؤرخ بثلاثة رؤوس سنة . سنة مصرية رأسها نحو ١٨ يوليو من اسم يوليوس قيصر وسنة امبراطورية رأسها ٢٩ اغسطوس وسنة فلكية رأسها من طلوع الشعري اليانية مع الشمس

(٥) وهذا كان حدثاً اهتم الرومان بدائرة العلوم الا أفراد منهم كقيصر الذي أمر بمساحة اراضي الاملاك الرومانية وقياس سكتها واغسطوس الذي امر الان بمساحة ارض مصر الى ان بطرف اثنتين وثلاثين سنة تمت مساحة اعظم القسم المعروف من الكرة لذلك الزمان ورفع به التقرير للسنوات ، وفي ما بقي فان اعتناء الرومان كله كان موجهاً للحرب والفتوحات

(٦) واذا كان اغسطوس بالاسكندرية جاءه هيرود متوسلاً باعادة أملاكه التي كان أنطوني قد أقطعها قلاو فطرا فأحسن اغسطوس استقباله وأجاب طلبه وزاده السامرية والمدن البحرية الحرّة وأعطاه اربعمائة جندياً من رجال الغال كانوا من حرس قلاو فطرا الخاص واخرشاكريّة البطالسة

(٧) وزار اغسطوس ضريح الاسكندر ووضع عليه اكليلاً من الذهب
 وآخر من الزهور وأما قبور باقي ملوك البلاد فلم ياتفت اليها ، كما انه
 زار منف ورفض أن يزور العجل ابيس مع ان الاسكندر زاره
 بزمانه وضحي له احتراماً لعقيدة القوم ولطفاً منه بهم . فكل اناء
 بالذي فيه ينضح

(٨) لكنه أعاد لليهود الامتيازات التي كانت لهم من عهد البطالسة
 رغمًا عن كره اليونان لذلك ولقد أصاب لأن اليهود كانوا حينئذ
 اصحاب تهذيب واداب وغنى ومنهم خرج ابولوس العالم الذي يعدُّ
 بعد الحواريين من أعظم المبشرين بالدين المسيحي وهو الذي نشره
 في افسس وقورنت واقريطش

(٩) ولما عاد اغسطوس لروما اخذ معه كل الدخائر والتحف التي
 اصابها بمصر فكان ما حمله من الفضة والذهب بالرغم عن افتقار
 البلاد بالزمان الاخير كافيًا لأن يخفّض قيمة النقود في روما فهاودت
 فائدة القروض فيها وتساعدت اثمان العقارات هذا ما عدا الجواهر
 والتحف والاثاث الثمين مما جمعه من القصور الملوكية ودخل به روما
 تحمله العجلات الضخمة وراء مركبته مع الاسارى اولاد قلاو فطرا
 من انطوني وبينهم تمثال امهم عوضاً عن شخصها وكان باخر
 الموكب تماسيح للفرجة منها زاحفة ومنها ساجحة في حوض تلاعبها
 رجال من بلد تنظيره التي كان أهلها خبيرين بصيد وتربية هذا الحيوان

(١٠) وأراد اغسطس أن ينتقم من الاسكندرية فأمر ببناء مدينة
بالمكان الذي ضرب فيه خيامه من جهة بابها الشرقي عند زحفه
ضدها لتكون العاصمة الجديدة وسمها نيقوبوليس وبنى فيها المعابد
وتقل اليها زينة معابد الاسكندرية وكهنتها ولكنه لم يتمها فهجرت
بعد قليل وعاد كل شيء منها للاسكندرية ، كما ان الاسكندرية لم
تزل للآن أهلة عامرة تحمد بانها ونيقوبوليس لم يبق لها أثر ولا
خبر لانها لم تؤسس على التقوى وسلامة النية

(١١) وحسب عادة الفاتحين بذلك الزمان نقل الرومان ما أمكنهم حمله
من مصر لبلادهم فأخذوا تمثالاً محلياً بالذهب للاله يانوس نصبوه
في معبده في روما وصورة من عمل نيشيا كانت من ذخائر المملكة
الغنيمة واشياء كثيرة غير هذه والمسلتين القائمتين للآن في بيازاً
دال بوبولو وفي مونتي تشيتورو من زمان اغسطس

(١٢) ورأى اغسطس بأن الوالي قورنيليوس غالوس لم يحسن السياسة
في مصر فأبدله برجل حازم عاقل يدعى بطرونيوس

(١٣) فكان بطرونيوس يستخدم الجنود عنده لتنظيف ترع الري من
الطين لعلمه بأن فائدة الفلاح تفيد جابي الخراج وفي أيامه صار
بناء المقياس على جزيرة الفيلية ليعرف منه ارتفاع النيل

(١٤) ثم اذ كان بعد ذلك اليوس غالوس والياً على مصر في هذا العهد

أتى السائح الشهير استرابو زائراً مصر ورافق الوالي لسيينه (١) وترك لنا وصفاً شائقاً عن جمال الاسكندرية وعظم تجارتها التي كانت تفوق تجارة ايطاليا بأسرها فان المراكب فيها كانت تغطي وجه المرفأء وشطوط بحيرة مريوط ، وضواحيها تمتد لا بعد من هذه البحيرة ومنظر حصنها من جهة والمنازة من جهة كان من أبدع المناظر حسناً . والمعابد والقصور تجلجل اكثر من ربع البلد مثل السياما الذي كانت فيه قبور الملوك وقبر الاسكندر ودار المحكمة والموزيوم الجديد ومحل مجتمع التجار ومعبد نبتون والتيهوميوم والقيصرية ومعبد سيرابيس البديع والجنازيوم ومعبد بان الذي يكشف من سطحه على البلد كلها والهبودروم والبساتين البلدية غربي المدينة والمقبرة ذات البنايات الطيفة على شاطئ البحر ما عدا القبور التي بالديماس وحفّات بحيرة مريوط المكسوّة بدوالي العنب الشهير بجودة خمره وجوانب الترععة منها الى النيل المدبّجة بالازهار والاعشاب والاشجار الخضراء بين بهرجة الرمال البيضاء حوالها . وبعيداً كانت ترى بنايات المدينة الجديدة التي أنشأها اغسطوس . ولا عجب من هذا الوصف لعاصمة كانت فنون اليونان وغنى مصر مسخرة لزينتها

(١) هي اسوان الحديثة بلاد عاد القديمة قرب جبل العاكي وفيه ذهب وفضة وجنوباً منها على خمسة عشر ليلة جبل الزمرد

بينما هليوبوليس العاصمة القديمة التي هدمها قمبيسي لم يكن باق من آثار مجدها سوى البيتين الذين درس افلاطون وصديقه اودوقسوس بهما الحكمة . أما منف فانها كانت المدينة الثانية من مدن مصر لأن ثيبه وأبيدوس كانتا قد صارتا بدرجة القرى . وعين استرابو في منف قتال الثيران وأذن له أن يطلع من نافذة على الثور المقدس أيس في مر بوضه . وشاهد بالمساحية لقط التمساح المبارك وتغذيته بالحلويات والخمر . ورأى البطلمية تكاد أن تضاهي منف بجمالها نظراً لاعتناء الملوك بها بعد أن كانت لهم معسكراً فان بناياتها وقوانينها كانت كلها يونانية كالاسكندرية خلافاً لباقي مدن مصر وكان موقعها بين بانوبوليس وايبيدوس حيث هما الآن القرىتان المنشية والجرجه وها هي الآن قد انمحت بينما معابد ثيبه القديمة العهد والبنيان لم تزل قائمة تشهد لها بالعظمة والشان . وزار ايضاً الصنم العظيم المكسور^(١) ولكنه أبي أن يحكم بسبب مصدر النغم منه عند طلوع الشمس عليه . وشاهد البئر في سينه التي يقع قعرها على حفة الشمس الشمالية تماماً في أطول يوم من السنة . ورأى براءة النوتية بانحدارهم بالشلال في قوارب الخوص . وزار جزيرة الفيله

(١) اصلاً تمثال امنحوتيف الثالث . ولما بهذا الزمان صار يصدر منه نغم على اثر زلزلة حصلت زعم الاغريق بأنه ابن طيطون والفجر وانه ممنون

بالقرب من سيينه حيث وجد نصف اهلها من القبط والنصف
الآخر من السودان

(١٥) ومن سوء رأي هذا الوالي كان طمعه بغزو العرب باليمن وسلبهم
لانه كان يرى تجارتهم الواسعة وكثرة ابلهم آتية مصر بالاحمال
الثمينة من أموال الهند تعاض بها ذهباً وفضة من المصريين فظنها
من محاصيل أرضهم فزحف ضدهم بعشرة آلاف مقاتل ومائة وثلاثين
مركباً نزل بهم على شاطئ البحر الاحمر بدرجة ٢٥ من العرض
الشرقي لكن أدلأته من العرب تاهوا به عمداً بقفارهم فلم يجد مدناً
ولا شاهد عرباً لا سيما وان أهل الوبر منهم لما علموا بقدومه رأوا
بأن الهرب من وجهه بأموالهم وماشيتهم انكى له بذلك الشول من
مقاومتهم فأقام سنتين بطلبهم يحاذر من التوغل بالبر خوفاً من
العطش الى أن بلغه تسطي السودان على مصر فهزول راجعاً ولحق
بجراكبه بدرجة ٢٤ من ذلك العرض وبعد احد عشر يوماً ارسي في
ميوس هرموس من بلاد مصر على البحر الاحمر

(١٦) في العصور الاولى من تاريخ مصر كانت السودان تمتاز بلفتها
ودينها مع القبط أهل الصعيد لكن بعد تلك الازمان هاجر بعض
العرب لافريقيا على شطوط البحر الاحمر ولما زار الصعيد استرابو
كان عددهم قد تكاثر حتى صار نصف اهل مدينة قبطوس (١)

منهم وكان عليهم مدار ثقل أموال تجار ثيبه لا بل ان المؤرخ يوبا الصغير الروماني يقول بأن السودان كان في زمان اغسطس بيد العرب الذين كان دأبهم الغزو وفخرهم القتال وغايتهم السلب واذا أصابوا منه شيئاً عادوا الى منازلهم مفتخرين بفروسياتهم . وكان قوادهم يدهنون وجوههم كوجوه اصنامهم بالزنجفر . فهؤلاء العرب لما وجدوا الرومان مشغولين باليمن زحفوا من مرو وبلاد الشلال الرابع على الصعيد تقودهم ملكة عوراء لكن اذ وصل غائوس الى مصر طردهم اولاً من ابوسنبل ثم ظل يطاردهم حتى دخل عاصمتهم نباطه (١) بجيشه المؤلف من عشرة الاف مقاتل منهم خمسمائة يهودي والاف عربي بينما اولئك العرب ان كانوا ثلاثين الفا انما اكثرهم لا سلاح لهم سوى الدرق والعصي والفؤوس ومجانيهم من الجلد . ووضع عليهم جزية يؤدونها لحامية تركها بينهم وعاد لمصر راضياً بمحدوده على سبعين ميلاً من سيينه . وللان ترى في مرو قناطر رومانية بعيد نجا (١٧) ثم جاء اغسطس زائراً صاموس فأرسلت له الملكة العوراء وفداً تستعطفه بترك الجزية فأجاب طلبها وهذا برهان على ان مرو كانت مدينة راقية مهذبة وليس كما يستنتج من حالة جيش الغارة المختلط بالبدو والذعران المجاورين لها . اما وراء مرو فلا يوجد أثر لمدينة لاسيما ان الجبال الفاصلة بينها وبين الحبشة الجنوبية البحرية لم

(١) هي الان المسماة جبل بركل على حفة الشلال الرابع

تكن تسمح بمواصلات بين الارضين وسكان الجنوب كان اكثرهم
يهوداً استوطنوا عدوله واقسيوم من عهد سايمان ومنهم من وصل
الى مرو ولاذ بالملكة لاننا نجد فيما بعد ان خصياً يهودياً كان خازناً
عندها لا بل ان دين مرو ولغتها كانا بهذا الزمان ساميين حجازيين
لا قبطيين

(١٨) أما لسان مصر الرسمي وسكتها في عهد اغسطس وعهد خلفائه
فكانا باللغة اليونانية حتى كان سواح الرومان اذا كتبوا شيئاً على
عاديات البلاد كتبوه بهذه اللغة . وكانت النقود منقوشة بهامة
الامبراطور واسمه من جهة والنسر المصري قابضاً على الصاعقة من
الجهة الاخرى . ثم صارت تؤرخ بسني جلوس الامبراطور وأولاً
كانت صفته فيها « ابن الله » عوضاً عن الوصف المصري القديم
« ابن الشمس » لكن لما صارت مصر ولاية رومانية افرغها الرومان
من الذهب والفضة وأبطلوا سكتها راضين بأخذ خراج الحبوب
عيناً وكان ذلك يبلغ حينئذ عشرين الف الف كيلة أو أربعة
أضعاف الخراج في عهد فيلادلفوس

(١٩) ولم يتحرش الرومان لدين المصريين لا بل ان معايد طنظيره
وطالميس وهي الآن قلابشه بالنوبه يرى محفوراً عليها باللغة
الكهنوتية اسم اغسطس اوتوقراطاً وابن الشمس وملك الارياف
والصعيد وغير القاب كانت توصف بها البطالسة وملوك البلاد قبلهم

وظلَّت السناتو كل عشر سنين تجدد انتخاب اغسطس اوتوقراطاً
وهو يتمتع محابةً منه الى أن تمَّ له بالملك اربعون سنةً

(٢٠) ولا يُنكر بأن اليونان قد أخذوا دينهم عن المصريين فاقتبسوا
منهم اليقين بالبعث ويوم الحساب والجزاء على الاعمال ، والآن نرى
الرومان أيضاً ناصبين في روما تماثيل آلهة المصريين ومشيدين المعابد
لها والفقراء بشوارعهم يتوسلون للمحسنين بحق ايزيس وورجيل
شاعر البلاط الملوكي يقول بقولهم بالبعث على رأس الالف سنة ، وكل
ذلك رغماً عن انكار اغسطس هذا الدين وتحريمه على الناس

(٢١) ومن علماء هذا الزمان كان سوتيون الفيلسوف الاسكندري
الذي عنه أخذ سنكاً بصغره علم الاخلاق . وكان من مذهب
بيثاغوروس بتحريم أكل اللحوم لزعمة بأنه من الجائز انتقال أرواح
البشر للبهائم المأكولة . وله تأليف لطيف جمعه من عدة مواضع
وسماه قرنوقوبيا . وكان العالم أرخيبيوس ناقل مزامير قاليماخوس من
رجال هذا العصر وابن ابولونيوس مؤلف القاموس المفسر
نشيد اوميروس . وكان بينهم ايضاً الشاعر تريفون والمنطقي
ارستونيقوس الباحث في اراء هزيود بالتكوين وتسلسل الالهة
واسماء العالم بكتاب اوميروس وتيدمنالاوس ملك اسبارطا وعاشق
هيالنه

(٢٢) ولما مات اغسطس خلفه طباريوس الذي سار بالناس سيرةً

حسنة فأحبته مصر واقامت الاسكندرية معبداً على اسمه طرف
 الرصيف محاطاً بالاساطين وبجديقة ووضعوا فيه مكتبة . وكان على
 أعلى أكمة بالمدينة وامامه مسلمان من عهد طوطمس الثالث وحفر
 رمسيس الثاني احداهما المسماة مسلة فلاوفطرا وهي القائمة الآن على
 حفنة التاميز في لندن وكان معهما مزولة تقسم النهار الى اثنتي عشرة
 ساعة على مدار السنة بدون نظر الى طول وقصره صيفاً وشتاء
 وذلك لعدم وضع الضلع منها على خط قطب الارض الشمالي كما
 كان عامه من قبل الفلكيون ايراطوسطين وهبارخوس

(٢٣) وابتدأ طباريوس حكمه في روما باقامة العدل الصارم والضرب
 على أيدي الولاة الظالمين حتى ان لماً حاكم مصر اميلIOS راقطوس
 توهم بأنه يرضيه ببعثه له خراجاً منها اعظم كثيراً من المعتاد كتب
 اليه الامبراطور « قد وصلني ما أرسلته من الخراج لكن أعلم بانني
 انما أقتك على مصر لترعى غنمي فيها وتجز لي صوفها وليس لتساخها
 والسلام » . وكذلك اذ مات أحد الولاة ممن كانوا في مصر
 ووجدوا بين أمتعته تمثالاً لملالاوس من حجر قبطي اسود كان قديماً
 يعد من ذخائر معبد هليوبوليس أمر طباريوس برده لملكه فلأجل
 ذلك كانت الكهنة توقره وتودّه وترسم اسمه على المعابد . وفي زمانه
 زيد الرواق البديع على معبد طنطيرا منقوشاً سقفه بمنطقة البروج
 التي ظنها العلماء اولاً من وضع الاقدمين مستغر بين عظم التأنق

بنقشها بذاك المعبد الضخم البسيط البنيان حتى فطنوا لبرج الميزان فيها الذي لم يمثل بهذه الصورة الا من عهد اغسطوس والأغرب بهذا الرواق هو تشييده بزمان كانت مصر فيه بالفقر والضيقة لكن اذا اعتبرنا بواعث التقوى زال الاستغراب او كما قال الشيخ ابن الفارض

« ولقد صرفت بحبه كلي على يد حسنه فخدمت حسن تصرفي »

اما طنطيرا المذكورة فهي لانوبوليس اليونانية واسنا الحديثة

(٢٤) وفي السنة الثالثة من جلوس طباريوس اتي جرمانيقوس قيصر

واليا على المشرق وصعد الى ثيبه وسأل كهنتها أن يفسروا له

الكتابات القديمة التي على جدران معابدهم فأخبروه انها تصف

عظمة البلاد في عهد رمسيس اذ كان يخرج منها سبعمائة الف مقاتل

أخضع بهم رمسيس ليبيا والسودان والفرس والكلدان والارمن

والسوريين ووضع عليهم الجزية من ذهب وفضة وخيل وعجلات

وعاج وبخور للمعابد وحبوب لأهل عاصمته . ثم انه زار صنم

عمونوظف وسمع نغمه الشهير وزار الفياليه وسينينه وهي اسوان الحديثة

وبأيابه عرّج على الاهرام وبحيرة ميريس التي كانت تحفظ مياه

طوفان النيل للري بعده . وشاهد في منف العجل المقدس ابيس

وقدم له بيده شيئاً من القوت ولما أعرض عنه العجل تفاعل الكهنة

من ذلك واذ بعد قليل مريض هذا الامير ومات قال الكهنة بأن

فألهم قد صدق فأسفوا عليه لأنهم كانوا قد أحبووه للطفه وكرمه
وتجولته بينهم بلا حرس ولا تكليف. وكانت زيارته لمصر ضد قانون
اغسطس فعاتبه طباريوس على دخولها بدون اذنه. وهنا أقول انه
يظهر لي بأن «أبيس» فيه تحريف لأن كتابته بلغة القبط تعادل Hapi
بلغة الاغريق ومعناها «الخفي» فصحة لفظها تكون ايضاً «خفي»
لأن اليا والفا مترادفتان فيصبح الاسم عربياً. واما سيرابيس فهو
اسم جديد مشتق من اسمين اوسيريس وايبس

(٢٥) وكان يهود مصر في ذلك الزمان زهاء الف الف نسمة ،قسم منهم
كان ثلث سكان الاسكندرية في حين من الخمسة احياء بالمدينة
لهم فيهما المشايخ والسهدرين وهيكل في عينون بدلاً من هيكل
أورشليم الا لمن ظل منهم متمسكاً بسهدرين اورشليم وهيكلها
ولكن بالرغم عن قانون قيصر الذي ثبت لهم امتيازاتهم القديمة
ومساواتهم باليونان كان مركزهم بالبلاد حرجاً لأن اليونان ظلوا
يحتقرونها والمصريين كانوا يحسدونهم على امتيازاتهم ويسمونهم
أولاد الشيطان تيفون

(٢٦) وكان بالقرب من الاسكندرية على تل بجوار بحيرة مريوط
طائفة من اليهود يسمونهم التيرابيتيين قد تعلموا التنسك من
المصريين وتركوا لنا أول مثال من العيشة الرهبانية فيقول المؤرخ
فيلو عنهم بأنهم كانوا لزهدهم بالدنيا قد هجروا منازلهم واهلهم وتركوا

اموالهم وحبسوا انفسهم منفردين بصوامع لهم ،رجالاً ونساء ،منهم من لا يذوق طعاماً سوى ثلاثاً بالاسبوع ومنهم مرة واحدة بالاسبوع ولا يجتمعون الا في يوم السبت ،الرجال من جنب والنساء من جنب لابسين قميصاً يغطي ايديهم فيقف شيخ منهم يعظهم ثم يصلون وينصرفون . وكانوا يعتقدون بأن للاعداد اسراراً فكان العدد السابع عندهم مباركاً وسبعة بسبعة كانت عندهم الاسبوع الكبير فيعيدون بالخمسين وفيه يا كلون سوية متكئين على القش طعامهم الخبز وشرابهم الماء ونقلهم الملح والجرجير ،يخدمون انفسهم ويستحرمون اتخاذ العبيد وكانوا يختتمون اعيادهم بالنشيد والتسبيح بصوت واحد ومترادين

(٢٧) هذا ما حكاه فيلوعنهم ولكنه لم يذكر كيف كانت تسد احتياجاتهم فأكثر الظن انهم كانوا يشتغلون بنقل التوراة ويعتاشون من اثمانها ولم يوضح ايضاً أسباب هذا الزهد الا أن تكون مما دعى غيرهم لمثله من قبل ومن بعد وهو ظلم الحكام وفساد طباع الجمهور بأزمة أكثر من غيرها تتولد فيها كراهية للاختلاط بالناس وفتور بالعزم اللازم للقيام بالتكاليف الاجتماعية

(٢٨) وكان ايضاً فريق آخر من اليهود في فلسطين ينسكون على شواطئ بحيرة لوط الا ان تنسكهم كان عن قناعة وعفة لا عن

يأس وكره للدنيا ، طريقة المصريين القدماء الذين كانوا ينقطعون عن معايشة الناس ويرون بالعذاب والشقاء فضيلة تكسبهم رضى الالهة فيهود مصر كانوا من هذا المزاج ومنه تولدت الرهبنة المسيحية في مصر بعد حين

(٢٩) سنة ١٩م تنكر الرومان من اليهود في روما ونفوا منهم اربعة آلاف الى سردينيا لا لسبب دينهم لأن الرومان كاليونان لم يكن يخطر لهم قط التعصب لمذهبهم بل كان لسبب حفظهم السبت وامتناعهم فيه عن مشاركة الجمهور بالاحتفالات الرسمية فشك في اخلاصهم للدولة

(٣٠) سنة ٢٣م قفل طباريوس بيت ضرب السكة بالاسكندرية لاسيما وان البلاد كانت يفقدها استقلالها قد فقدت سكتها الذهبية ولم يبق لها سوى عملة من فضة زائفة رومانية وصار الغنى والجاه لروما وما وجد فيها ذهباً بهذا الزمان من ضرب طباريوس هو قليل جداً باسم اغسطوس تذكاراً له كزوج امه

(٣١) ومن ولاية مصر في عهد طباريوس كان افلاقوس اويليوس عرف أطوار سيده فساس البلاد على أحسن منوال وحفر الكهنة اسمه مع اسم الامبراطور على معابد طنطيرا لكنه تغير فيما بعد عما كان كما سنراه عن قريب

قالينغولا سنة ٣٧ م الى سنة ٤١

(٣٢) وسنة ٣٧ مات طباريوس وخلفه قالينغولا الذي كان يكره اليهود واذ نُصِبَ تمثاله في معابد المملكة ولم تقبله اليهود بكنائسها فشى عليهم الاغريق بالاسكندرية وبمرور اغريباً ملك فلسطين بالاسكندرية سخروا منه لدرجة انهم البسوا صعلوكاً منهم تاجاً من ورق ووضعوا بيده صولجاناً من قصب الغزّار وداروا به الاسواق ينادونه باسم اغريباً وكان افلاقوس الوالي يرى ذلك ولا يعارض به لاستيائه من وجود شخص بالمدينة أعلى منه مقاماً مع ان اغريباً لم يمر على مصر بايابه من روما الا باذن الامبراطور ونزل الاسكندرية مساءً كاحد الناس لا بل انه لم يأت بركب من مراكب تجارة الاسكندرية الاً لاجل الماء الذي تحمله هذه المراكب الكبيرة ويحلُّ له الشرب منه خلافاً للمستقيات الخشبية بالمراكب الصغيرة التي لا يحل لليهود الشرب منها وذلك ربما من الفساد الذي يعترها بالسفر الطويل

(٣٣) ولما رأى الرعاع عدم تحرش الوالي لسوء ادايتهم طمعوا ووثبوا على اليهود بمنازلتهم وكنائسهم وعاثوا فيهم وحرّقوا الاعلان المنشور بامتيازاتهم وحملوا تماثيل الامبراطور لكنائسهم ونصبوها فيها غصباً عنهم واذ لم يجدوا منها ما يكفي غرضهم اخذوا بعض تماثيل البطالسة

من الجنازيوم ونصبوها بكنائسهم . ثم ان الوالي أصدر منشوراً به يصف اليهود بانهم دخلاء فازداد الاغريق حماقة واليهود حنقا واستعر القتال بين الفريقين ولكن يا ويل الفريق الاضعف والحاكم خصمه ! فانهزمت اليهود واحتمت بحمي من الحيين وانتهبت بيوتهم المهجورة بحيمهم الآخر وانسل منهم رجل لبيتاع قوتاً لاولاده بالخفية فمسه الاغريق واحرقوه بالطريق ولأن الاغريق ادعوا بأن اليهود يخفون سلاحاً في بيوتهم قبض الوالي على ثمانية وثلاثين شيخاً من اكبرهم ليقررهم بخفية السلاح ولم يكن لهم ما يكشفونه له فأمر بجلدهم بيد الجلادين المصريين زيادة في اهانتهم

(٣٤) ولم تصل اخبار هذه الحوادث للامبراطور حتى اغريباً بلغه اياها فغضب من عمل الوالي وبعث بالحال قائداً ومعه فرقة من العسكر للاسكندرية ليحضروا له هذا الظالم فلما وصلوا اليها نزلوها ليلاً وكبسوا الوالي وهو مع اصحابه على العشاء فمسه وقادوه لروما توتاً بالاغلال

(٣٥) وكانت اليهود في تلك الليلة بعيد المظالم فلما سمعوا حركة العسكر بالمدينة ورأوا المشاعل امامها خافوا خوفاً شديداً لئلا تكون الحركة ضدهم ، لكن اذ بعد قليل انكشفت لهم الحقيقة فرحوا وشكروا الله على خلاصهم من هذا الجائر

وما من يدٍ الا يدُ الله فوقها . ولا ظالم الا سيلى بظالم

(٣٦) ورُخص لهم بعدئذٍ بارسال بعث يقدم شكواهم للامبراطور
 فارسلوا بعثاً يرأسه الفيلسوف فيلو وارسل الاغريق بعثاً يدافع عنهم
 يرأسه ابيون المنطقي فكان من هذا انه سألهم بدائياً بحضرة
 الامبراطور الم يرفضوا وضع تمثال جلالته بكنائسهم فلما اجابوه ببلى
 وقبل أن يوضحوا سببهم الديني قطع الامبراطور الحديث وفضَّ
 المجلس معتبراً اقرارهم بحضرتة اهانة ظاهرة له ضدَّ قانون الدولة
 ومستغرباً على زعمه حماقتهم فانسحب فيلو كثيراً وهو يقول ان يكن
 الامبراطور ضدنا فان الله معنا

(٣٧) واخبار هذه الحوادث وان اتتنا من مؤرخ يهودي فان لنا
 بصفات فيلو السامية ومنزلته من العلم وكبر سنه كفيلاً على صحة
 شهادته . وهو الذي عادت مدرسة الاسكندرية بعلمه الى زهوها
 بزمان البطالسة الاولين فانه كان يهودياً ديناً افلاطونياً مذهباً
 وبالمولد مصرياً ولا بد الآن لدارسي الحكمة والباحثين عن الدين
 من مطالعة كتبه ليروا كيف كان تدرُّج الافكار من مذهب الى
 مذهب حتى وصلت لمذهب الشهداء كيوستين وقلامنس المسيحيين
 الافلاطونيين وكان فيلو اول يهودي اخذ عن المصريين اعتقادهم
 بسر السكال بالثلاثة من العدد وجمع الاسنى من حكمة افلاطون الى
 الاسنى من التوراة حتى كاد ان يكون مسيحياً

(٣٨) فبجاه هذا الاستاذ عاد لليهود بالاسكندرية رونقهم الادبي حتى

صار الاغريق يلهجون بكلامهم ويرون له بلاغةً وطلاوةً لم يعرفوها من الوثنيين. واذ كانوا قد ابتدأوا من القرن الاخير ان يشعروا بانهم ليسوا خير البشر واصبحوا يعتنون بتفهم افكار جيرانهم نراهم الآن يعترفون بأن اليهود هم اول العلماء بمدرسة الاسكندرية

(٣٩) ونعم ان ابون الرومي الصعيدي خصم فيلو كان منطقيًا بليغًا ومصحح نشيد اوميروس الا انه لم يبق لنا من كلامه سوى رد يوسيفوس على انتقاده على اليهود ومن كتبه سوى حكاية اندروقلوس والاسد بينما كتب فيلو تشهد لصاحبها بالعلم والفضيلة والتقوى التي لا يُعلى عليها

(٤٠) وقبل الوداع من قصة البطالسة يسوع ان نذكر بأن اغسطوس لما ساق سيلينا ابنة قلاوفطرا اسيرةً لروما زوجها فيما بعد يوبا الصغير مؤرخ افريقيا واقطعهما بلاد المغرب بالارث عن والدها لکن اذ مات يوبا وخلفه ابنه بطليموس تغير عليه قالينغولا ونفاه من مملكته فراح تائهاً في بلاد اليونان واسيا الصغرى حيث لاقى اكرامًا يليق بابن البطالسة. ثم ان قالينغولا احتال عليه وقتله فلم يبق حينئذٍ من عائلة مصر الملوكية اليونانية سوى دروسيل حفيده قلاوفطرا وانطوني زوجة انطونيوس فيلكس حاكم اليهودية الذي كان له قبلها زوجة اسمها دروسيل ايضا

قلودايوس سنة ٤١ م الى ٥٥ وطريق الهند بحراً وتجارة القرطاس

(٤١) ثم لما مات قاليغولا وخلفه قلودايوس حصل عند اليهود فرح عظيم

فطاشوا وتجمهروا بالاسكندرية متهددين الاغريق بسيوفهم وعلى رأسهم ديميتريوس زوج مريم ابنة اغريباً الاكبر يطلبون اعادة امتيازاتهم القديمة ولم يسكنوا حتى اصدر قلودايوس منشوره باعادتها

(٤٢) وكان قلودايوس عادلاً حليماً لكن الولاة والعمال لم يكونوا كذلك

فاجتهد باصلاحهم ووجد بالسنة التاسعة من ملكه ان مصر بحاجة للعدالة فسن قانوناً لحفظ حقوق الشعب من التعدي والظلم وأمر الوالي قنيوس كبيتو بنشره بالبلاد لكنه لم يقم قضاة داخل البلاد للحكم بموجب الشرع فكان انه ما عمل شيئاً

(٤٣) وبني مدرسة بالاسكندرية سماها باسمه وامر ان يُقرأ فيها تاريخه

عن قرطاجنه اياماً معلومة بالسنة وتاريخه عن ايتاليا بالمدرسة القديمة اياماً مثلاً . ونعم الامر ، لما للدرس التاريخ من الفوائد الذاتية والعمومية

(٤٤) واعاد لمصر حرية ضرب نقودها و باول سنة من جلوسه بدأ يضرب

سكته البديعة بالاسكندرية وعليها تاريخ جلوسه وسنو ملكه مما أفاد

المؤرخين افادة عظيمة وهناك فضل آخر لسكة الرومان على سكة

البطالسة التي وان كانت لطيفة فان كتابتها المصرية كانت مشوشة

واما تلك فكانت كتابتها ورموزها المصرية صريحة ومتعددة الشكل

(٤٥) وفي هذا الزمان اكتشف الاغريق والرومان على طريق الهند بجزراً من مصر واتسعت التجارة من وراء ذلك اتساعاً عظيماً . فقدّر المعاصر والمؤرخ بلييني الاكبر قيمة الذهب والفضة الصادرة سنوياً من مصر للهند بأربعمائة الف ليرة من عملتنا الدارجة الآن ثمن الأموال التي كانت تجلب منها وتباع في روما بربح مائة بالواحد اي بأربعين مليوناً وأعظمها كان من الحرير والاماس وأحجاراً كريمة أخرى ثم من التوابل كالزنجبيل والقرفة والبهار والفلفل عدا ما كان يجلب من أموال افريقية الجنوبية كالعاج وسن الكركدن وجلد فرس الماء وصدف الاطوم والقروود والسعادين والعبيد آتية بجزراً الى برينيقه وهي سواكن هذا الزمان لان البرّ عن طريق السودان واسوان لم يكن مأموناً . أما طريق الهند بجزراً فكانت بالنيل الى قبطوس ومنها برّاً على الجمال الى سواكن مسيرة اثنتي عشرة ليلةً أو مائتين وستين ميلاً . ثم كانوا ينزلون البحر في منتصف شهر يوليو عند طلوع الشعري اليمانية مع الشمس . وبعد ثلاثة ايام يصلون إما الى أوقليس على الشطوط العربية الجنوبية واما الى قانس على شطوط بلاد البخور من افريقية الشرقية بالقرب من خط الاستواء وهناك كان الريح الموسمي (وهو ما تسميه الافرنج الآن مونسون) المكتشف عليه بذاك الزمان من النوتي هبالوس يحملهم فيخترقون البحر العربي الى موزيريس من ملابار الهند حتى يصلون اليها

بأواسط سبتمبر ثم اذا كان آخر ديسمبر يقلعون كما اتوا ببضائع الهند الثمينة ولم يزل هذا الطريق هو الوحيد المعروف بين اوربا والهند الى ان اكتشف البورتغاليون بالقرن الخامس عشر على طريق رأس الرجا الصالح فتعطلَّ طريق مصر والبحر الاحمر (كما تعطل طريق رأس الرجا الصالح بفتح ترعة السويس بأيامنا الحاضرة) وتأثر منه تجار العرب ومصر تأثيراً بليغاً لسبب انقلاب مجرى التجارة

(٤٦) وحكاية اكتشاف طريق الهند بجزراً هي أن الرومان كانوا كعادتهم بأكثر أملاكهم ما خلا مصر قد ضمنوا خراج وكمارك البحر الاحمر العائدة لهم لتاجر رومي اسمه انيوس فلوقاموس صاحب مراكب كان يستخدمها لهذه الغاية ويتاجر وأحياناً يقرصن بها حتى على شطوط العرب الجنوبية . فيوما ما طاح بأحد نوثيته مركبه مدفوعاً بريح شمالية قوية جداً قذفته الى الاوقيانوس وتاهت به خمسة عشر يوماً الى أن وجد نفسه على شط جزيرة لم يكن يعرفها فكانت سيلان وكان هو أول رجل اوروي أتاها لذلك الزمان وأفشى طريقها

(٤٧) وبجوار الطريق من قبطوس الى سواكن كانت مناجم الرخام السماقي وجبل الزمرد المسمى القلودياني لان الامبراطور قلودايوس كان قد حماه لنفسه

(٤٨) ولما اشتهرت طريق الهند البحرية بدأ علماء الجغرافية يتحدثون عظم المسافة بين الهند وافريقية والافان الجمهور لذلك الزمان كان يظن

بأن بلاد فارس هي بالقرب من الحبشة وكان اليونان يظنون بأن النيل يخرج من المشرق او ما كانوا يسمونه الهند وهي البلاد المعروفة الآن بالحبشة أما اليهود فكانوا يقولون عن النيل انه نهر جيحون الآتي من جنة عدن غرباً دائراً حول بلاد قوش اي الحبشة (٤٩) والمؤرخ بليني بكلامه عن صنائع مصريذ كر خصوصاً الكولان أي الفافير أو البردي الذي منه أخذ الافرنج اسم الورق لترادف الفاء والباء فقالوا « پاپر و پاپيه » فيقول بليني بأنه نبات من جنس القصب ينمو بالمستنقعات التي يتركها النيل بعد انتهائها فيضانه فيؤخذ منه الخشب للوقد ولللاثاث والزهر لزينة الأصنام والقشر لعمل الحبال والمراكب وحياسة الشراعات واللب منه لعمل القرطاس الذي يوجد منه ما يصعد عمله الى ٣٦٠٠ سنة ق . م وأجوده كان الكهنوتي الى ان كان عهد اغسطوس فصنعوا جنسين أحسن من الكهنوتي ، سماوا احدهما اغسطي والآخر ليوياني من اسم امرأة اغسطوس وصنعوا اجناساً أدنى منهما كالفانياني والانفيتياتريك والسايستيك وأدناها كان يسمى امبوريتيك لا يصلح الا للصرّ وكان أجود هذا الكاغد رقيقاً شفافاً لا تمكن الكتابة عليه الا من جهة واحدة ففي عهد قلاوديوس اخترعوا عمل جنس منه يصلح للكتابة على الوجهين وسموه القاودياني . ويقول بليني بأن مصر كان لها تجارة واسعة جداً بالككتان والقطن أولهما يطاع بالقرب من تانيس

و بلوزيوم و بوطوس يالارياف والآخر بالصعيد ناحية النيل الغربية
وان مخازن الحبوب الكبيرة كانت بالاسكندرية واليهما جاء يهود
فلسطين بأول هذا العهد يشترون منها لما أمحلت أرضهم
(٥٠) وكان للمصريين براعة بالصبغ وتفنن بالألوان لا يعرفها اليونان
ولا الرومان وكذلك بالحبر الذي كانوا يكتبون به على اكفان
الموميا وهو الذي نستعمله الآن للكتابة الثابتة على القماش . وكان
علمهم بالاجمال بطريقة تحليل الأجسام وتركيبها يفوق كثيراً علم
جيرانهم ، وهكذا لما العرب اخذوا عنهم هذا الفن سموه خيميا أي
الفن المصري ، من اسم مصر القديم « خيم » كما ان اسم النفط
مأخوذ عن المصريين ومعناه زيت الجبل الذي وجدوه على شط
البحر الاحمر من جهة الطور . وكان يظن لذلك الزمان ان لا وجود
للالماس الا في مناجم ذهب السودان . أما رخام مصر فالمعروف
منه اسماء كلها رومانية كالأبسيديوني للرخام النوبي الاسود من اسم
أبسيديوس المكتشف له ، والطباري للرخام الاسود المنقط بأبيض
من اسم طباريوس قيصر ، والاغسطي للرخام المعرق من اسم اغسطوس
والبورفيري للسماتي اللون الذي تفننوا بنحته بهذا الزمان أصناماً
وتماثيل أجسامها منه والوجه واليدان والرجلان من الرخام الابيض
تشبيهاً بالأشخاص المكسوّة

(٥١) أما الحجر فان الذي كانت ترغبه اليونان والرومان بذلك الزمان

كان أعظمه من عصير بلاد اليونان وايتاليا وبعده كان المريوطي والتانيوتيك والفيومي ثم خمر انطالاً شرقي الاسكندرية ثم وارد انطيفرا من ليبيا على بعد مائة ميل من الاسكندرية . واردة خمر كان من عصير الصعيد . أما الشعب فكان مشروبه من عصير الشعير ولكن أخطر الخمر كان المصنوع من النبيذ المصري وله الشهرة في روما وكان يصنع أيضاً خمر فوار كالشمبانيا في سبينييتس يسمى عيطلون

(٥٢) والخمر الغريب كان يأتي الى الاسكندرية بجرار من الخنز على شكل البطة ذات عروتين عند الرقبة اكثرها من جزيرة رودوس وبعضها من قورنت واقنيدس على شطوط آسيا الصغرى ومن قبرس وشيو وطاسوس التي كانت فيها مناجم الذهب قديماً ومن عبامه على الاورنتس ومن جنوبي البحر الاسود ومن صقاليا ومرو السودان التي خمرها كان من عصير التمر لكثيرته هناك وكل هذه الجرار قد عرف اصلها من شقفها التي وجدت بتراب الاسكندرية وعليها اسماء هذه البلدان ومن شكل هذه الجرار صارت العرب تسمى جرة الخمر بطة

(٥٣) والسائح استرابو والجغرافي بومبونيوس ميلا يذكرون بركة موريس المصطنعة ووسطها هرمان صغيران كانت تسقي ألوفاً من الفدادين بجوار ارسينويه الا أنها كانت بزمان بليتي قد جفت وانحدرت مياهها الى بركة القيون وأصبحت الأراضي حوالها قفراً ليس فيها

غير شجر الزيتون البرّي وذلك لانها كانت بمدة الحسين سنة
 الاخيرة قد أهملت وتعطلت جدرانها . وبهذا الزمان زيد في معبد
 لا توبوليس البديع المشاد من عهد البطالسة رواق منقوش عليه اسم
 قلود يوس وبعدها حفرها فيه أسماء خلفه وكانت عمده جميلة الصنعة
 جداً رؤوسها بشكل اغصان النخل وزهر الفافير والمعبد كان
 مكرساً للاله اقنيب الذي له عدة اسماء عند اليونان يظن انها كلها
 تحريف اخنبة بلغة القبط ومعناها الينبوع وكان في لا توبوليس معابد
 غيره لآله من جنس السمك

(٥٤) وكان اسم السنة بلغة القبط بيت وهو ايضاً اسم طائر عندهم وكان
 اسم غصن النخل عندهم بي فزادوا عليه حرف التاء الذي هو
 هكذا ودائرة تحته وصاروا يعبرون بذلك عن السنة الى ان
 صار البعض يسمون السنة طائراً او غصن نخل وكان اسم النخل
 بلغة الاغريق فينكس فأخذوا هذا الاسم يرمزون به الى طائر خرافي
 وهو ما تسميه العرب العنقاء وتقل عنهم الرومان بدون استقصاء
 خبره فلما كانت سنة ٤٧ م وبها تمّ القرن الثامن من بناء روما
 زعموا بأن الطائر قد جاء من مصر وزار مدينتهم وانه طائر عجيب (١)
 يأتي من العربية على رأس كل خمسين سنة حاملاً رمةً ابيه التي خرج
 من دودة منها ليلقيها بعشها المعطر ويحرقها على هيكل معبد الشمس

في هايو بوليس ثم يعود الى بلاده ، و به استشهد المسيحيون على حقيقة
البعث وذكره قلامنس أسقف روما برسالته الى القورثيين
بهذا المعنى

نيرو سنة ٥٥ م الى سنة ٦٨

(٥٥) وعند موت قلوديوس خلفه نيرو ، وظهر حينئذ في مصر رجل يهودي
ادعى بأنه نبي وهيج اليهود للانتصار لآخوانهم في اورشليم فاجتمع
اليه اربعة آلاف مقاتل على قول البعض او ثلاثون ألفاً على قول
آخرين سار بهم اليها لكنهم بوصولهم لحدود فلسطين لاقاهم الحاكم
فلاقوس ومزق ثملهم . فمثل هذا التعصب من اليهود من وقت
لآخر كان هو الذي يضرم الحقد في صدور الروم ضدهم وهكذا
لما كان هؤلاء مجتمعين بالجنازيوم لانتخاب بعث يرسلونه لروما
دخل بينهم بعض اليهود بدعوى المساواة بهم فوقع اليونان عليهم
وطردوهم كجواسيس وكادوا أن يقتلوهم لولا ان يأتيهم المدد من
آخوانهم ويرسل الحاكم طباريوس بعض مشايخهم ليردوهم فانسد
الحرق حينئذ لكن ما لبث الشر حتى عاد بينهم فاقتتلوا أياماً
واضطرَّ الحاكم الى استدعاء خمسة آلاف من جنود ليبيا لمساعدته
على اخماد الفتنة ثم قام بحراسة اليهود الى أن جمعوا قتلاهم من الازقة
ودفنوهم . اما قول يوسيفوس بأن قتلى اليهود بتلك الحادثة بلغ خمسين

الفأ ففيه ولا شك مبالغة عظيمة لما هو معروف من صداقة
الحاكم لهم

(٥٦) ولكن لما كان من سياسة المملكة ان الوالي يعزل اذا وقع
شغب بولايته لأنه لم يتلافاه أمر الامبراطور بعزل طباريوس وابداله
بيليلوس الذي بوصله من صقليا للاسكندرية بستة أيام عند
سفره من غرائب الزمان بالسرعة. ولهذا الوالي تاريخ عن مصر ذكره
سَنَكَا بالاطراء عليه لكن لا وجود له الآن. ومما ينقل عن لسان
بيليلوس ان التماسح الذي لا يرى الآن تحت ثيبه كان كثير الوجود
بالارياف بزمانه وانه قد رآه يطارد الدلفين بالقرب من اسوان

(٥٧) وبهذا الزمان كانت مراكب الاسكندرية ونوتيتها أعلى شهرة من
سواها وتجارها مع ايطاليا أعظم تجارة فصلت لنوتيتها من وراء ذلك
خبرة كلية بالطريق حتى كانوا اذا ساعدهم الريح يقطعون مائة
وخمسين ميلاً بنهار وليلة أما اذا قاومهم الغربي منه التجأوا الى
شطوط آسيا الصغرى واذا لاقوا هيجاناً عظيماً بالبحر التجأوا الى
اقريطش او مالطه وربما دخل عليهم الشتاء فيهما فيظلون محتمين
بمكانهم لدخول فصل الربيع فلا يصلون الى ايطاليا الا بنجمة
أشهر، وهذا عين ما توقع لبولس الرسول ورفيقه يوسيفوس المؤرخ
بسفرهما الى روما

(٥٨) ولأن خليج مالطه كان اوسع وامن مرقاً بالبحر المتوسط وماجاً

مستمراً المرآكب مصر وایتاليا اصبح اهاها خلیطاً من شعوب شطوطه. ومن الجماجم التي وجدت بأرضها يظهر بأن اكثرهم كانوا مصريين حتى في زمان الفینیقیین بانین المعبد الكبير فيها لاله مصر المسمى من اليونان معبد خیم او اجیاخیم . كما ان نقود الفینیقیین التي وجدت فيها ترى عليها من جهة صورة اله صقلیا ومن الاخرى صورة الثالوث المصري ایزیس وعوزیریس ونفطیس والتي من زمان اليونان عاها صورة ایزیس من جهة وعوزیریس مجنحاً من الجهة الاخرى ومثل هذه النقود وجدت ايضاً بالجزيرة الصغيرة هنالك بين صقلیا وقرطاجنه المسماة قصيرة

(٥٩) في الخمس السنين الاولى من عهد نيرو وهو قاصر وتحت وصاية الفيلسوف سَنَكَا كانت المملكة مثلاً للعدالة والانصاف حتى ان نقود مصر للسنة الثالثة من جلوسه على سرير الملك ضربت بصورته وعلى رأسه تاج مصر المزدوج واسمه عليها « السعد الفتي » وكان المصريون يشكرون من واليهم الجديد بلبيلوس اليوناني المصري الى انهم قالوا بأن النيل قد اقتدى بكرمه واحسانه فأتى بزمانه وافياً. لكن اذ شبَّ نيرو واستلم زمام الملك تحوّل الحلم الى الحماقة والعدالة الى الظلم وعمل الولاة بسنة ملكهم حتى ان بلبيلوس الذي اعطاه الامبراطور لقب طباريوس قلوديوس ايضاً تغير عما كان فاظلمت الدنيا ونزل البلاء بالناس

(٦٠) ومن أساتذة نيرو كان الفيلسوف خيرامون رئيس مدرسة الاسكندرية سالفاً وله تأليف صغير يشرح فيه طريقة الرهبان المصريين القدماء وكان زاهداً بالدنيا ويؤثر الموت على الحياة فقال فيه الشاعر المجان مارتياح بأنه لكبر سنّه وفقره لم يعد يشعر بلذة الدنيا . أما علوم الاسكندرية فكانت بالقرن والنصف من حكم الرومان قد انحصرت بدرس المنطق

(٦١) وكان رئيس مدرسة الاسكندرية لعهد تراجان ورئيس قلم المخبرات بالولايات أيضاً الاستاذ ديونيسوس تلميذ خيرامون له قصائد يتغنى بها بالنيل وبسبق المصريين أهل الارض بالتمدن والفلاحة والزراعة والعلوم وبجمال بلوزيوم الفينيقية الاصل التي نسميها بابيس وبعز الاسكندرية المقدونية مدينته وبصنم ثيبه العظيم الذي تسميه اليونان ممنون مصبّحاً حبيته اورورا (أي الفجر) وهي إلهة اليونان الخرافية المسماة أيضاً ايوس والدة ممنون من أيبه تيطون . أما الصنم فهو حقيقة بالاصل تمثال الملك امنحتيف بن طوطمس الرابع

(٦٢) ومن تقرير مؤرخي الكنيسة يظهر بأن ابتداء التبشير بالمسيحية بمصر كان سنة ٥١ م مرقص الأنجيلي تلميذ بطرس الرسول ولكنه بالسنة السادسة من هذا العهد لحق بيولس في روما تاركاً الكنيسة الجديدة لعهدة خنانيا ، انما لا يذكر التاريخ عدد المنتصرين الاولين

وذلك لأنهم كانوا من الفقراء والبائسين والتمبلي الاحمال الذين دعاهم يسوع ليكونوا شركاءه في ملكوت آيه (١) ، أولئك الذين كانت كهنة سيريس تلغهم وتطردهم من وجهها ، لكن اذ تنصر الاغنياء والاكابر صار التاريخ يسجل الاسماء ويفتخر بالعدد

(٦٢) وحنانيا هذا هو المشهور بأنه كان أول أسقف للاسكندرية والمؤرخ عوزيبوس الذي كتب بعده بمائتي سنة يسرد لنا أسماء الاساقفة الذين خلفوه بدون انقطاع لذلك الزمان لكننا لا نجد دليلاً على جنسيتهم الاً من أسمائهم . فان حنانيا قد كان ولا ريب يهودياً كما كان مرقص أيضاً . انما خلف حنانيا نراه قد صار من اليونان وذلك لسبب انكسار شوكة اليهود وخراب اورشليم من الرومان بهذا الاثناء والاً فان اليهود الافلاطونيين لولا ان فيلو المؤرخ يعين لنا أزمتهم التي هي قبل التبشير بالمسيحية لظنناهم من الاولين قبل أن تختلط الخرافات والتقاليد اليونانية والمصرية بالمذهب الصريح وتغير مبادئه السامية الى آراءً خسيصة

(٦٤) وبكل هذه الازمنة الاخيرة كانت حامية الرومان لا تتجاوز حدود برمبول وطميس من أرض النوبة التي منها كانوا يستجلبون بالنيل حجر الرمل المرغوب للبناء وأما ما وراء هذه الحدود فكان متروكاً لتصرف العربان اسلاف البشاريين الحديثين اولئك الغزاة

(١) آيه و آبيهم والاهه والاههم (انجيل عيد القيامة ليوحنا الرسول)

الذين كان القبط يهابونهم ويعتقدون بأن لا رؤوس لهم وان عيونهم
وأفواههم بصدورهم
(٦٥) وما سوى ذلك فان مصر كانت بأتم السكون والراحة، حتى انه
لما القائد وسبازيان عجز عن اخضاع اليهود في فلسطين بال عشر
كتائب التي معه امكن لنبرو أن يسحب كتيبتين من حامية
الاسكندرية ويرسلهما مددًا له تحت قيادة ابنه طيطوس، ووسبازيان
وولده طيطوس هما الرموز عنهما بسفر الوحي بالوحش الاول ذي
العشرة قرون الخارج من البحر والوحش الثاني ذي القرنين الآتي
براً ضد اليهودية

الفصل الثالث

سنة ٦٨ م الى ٩٧

غلبا اوتو ويتليوس وسبازيان طيطوس ودوميتيان

- (١) لهذا الزمان كان قد تم قرن كامل للمملكة الرومانية تداول الحكم فيه خمسة رجال بصفة تشبه الارث لكن بموت نيرو انقرض النسل الجولياني والقلودياني ولما صعد غلبا على كرسي الملك بارادة الجنيد حاول أن يوهم الشعب الروماني اكتسابه الحرية
- (٢) ثم أبدل حاكم مصر بطييريوس يوليوس اسكندر ابن حاكم سالف بها من هذا الاسم ومن منشور هذا الحاكم الذي وجدت صورته اليونانية محفورة على عاديات المرج الكبير بينما الحوادث والاتقلابات بالارياف دكت المعابد فيها ومحت الاثار ، يعلم ما أراد غلبا اصلاحه من المظالم فانه يحرم اجبار أفراد الرعية على تحصيل الخراج او سجن الاحرار لأجل دين ليس عندهم ما يفونه به ان لم يكن ديناً أميرياً أو تحويل جابي الخراج على مديون معسر أو أخذ مهر امرأة لوفاء دين بعلمها ، ويلغي كافة الضرائب التي وضعت بالخمس السنين الأخيرة ولأجل ابطال عادة التجسس التي كانت قد فشت بين الناس بعضهم على بعض بارتياح لها من الحاكم

بالاسكندرية أعلن بأن أيّ انسان اشتكى على الآخر بخفية ثلاث
شكايات ولم يثبتها يُغرم بنصف ماله ولا تقوم له شهادة او تسمع
له دعوى امام المحاكم فيما بعد . ولأن الخراج كان يؤخذ عادةً على
المسقي بالغيل والدولة صارت تطالب به بحسب مساحة الاطيان
زاعمةً بأن مسؤولية تعطيل بعض المزارع من انسداد الترعات عائدة
على الفلاح ، أمر بالعمل بالعادة ومن هذا الباب ما جاء بالحديث عن
نبي العرب ، ما سُقي بالغيل ففيه العُشر وما سُقي بالدلو ففيه نصف
العشر ، ومن هذه القوانين يظهر بأن الناس كانت باحتياج للرفق
والعدالة

(٣) لكن حكم غلبا لم يطل لان الذي يرفعه الجند يحطه الجند
خلافًا للحاكم المستند على عهد الامة ودمتها . فبعد سبعة أشهر
انتقض عليه الجند وقتله . وما وجد من النقود بعد ذلك باسمه
مضروبًا بالسنة الثانية من ملكه معناه انه ملك بأواخر سنة
ودخلت عليه سنة جديدة بالملك وهذه كانت عادة الاسكندرية
بضرب النقود

(٤) وعند موته سلّمت روما زمامها لاوتو وتبعها المشرق وضربت
الاسكندرية النقود باسمه . ثم اذ بعد ايام اتاها الخبر بقتله من جنود
الجرمن التي بايعت قائدها ويتليوس وضربت نقودها باسم هذا
لكنها بعد قليل انكرته أيضًا و بايعت وسبازيان مختار جنود سوزية

(٥) واذ وافى وسبازيان الاسكندرية بلغه قتل ويتايوس بعد ثمانية

أشهر من جلوسه على كرسي روما وان جنودها وجنود الجرمن
تريده ففرحت الاسكندرية بذلك وزينت وضربت نقودها باسمه
وعليها كلمة « السلام » اشارة الى انتهاء الفوضى والنزاع الداخلي

(٦) وكان ممن سعى بنجاح دعوة وسبازيان في مصر وهياً له

استقبالاً لائقاً، العلماء ديون والفرات وابولونيوس فديون كان خطيباً
يُلقب بقم الذهب والفرات كان فيلسوفاً افلاطونياً اقترن فيما بعد
بابنة حاكم سورية وقطن روما وفيها اكتسب صداقة بليني الصغير

وذكراً حسناً جداً وأما ابولونيوس وهو أشهرهم وأصله من تيانه

بالقرب من طرسوس فكان أول اغريقي طاف بلاد المشرق وأخذ

عن حكماء بابل والهند وكهنة مصر علومهم وسحرهم حتى صار يُعدُّ

واحداً منهم وادّعى بالاتيان بالمعجزات وبالنبوة ومؤرخه يقول بأن

الشجرة المباركة كلمته ودعته بالاستاذ السماوي اما كتاب الوحي

الذي رمز الى وسبازيان بالوحش وذكر النبي الكذاب الواقف

امام الوحش فانه عني به ابولونيوس كما أنه هو الذي أشار اليه بولس

الرسول بانه المنافق الذي سينكشف عنه الغطاء قريباً وذلك لانه

كان قد زار طرسوس وانطاكية وافسس وخطب فيهنّ بفلسفته

بينما كان الرسول بولس يعظ فيهن ايضاً بالمسيحية

(٧) ولما رأى الاغريق نجاح الشعوذة كالتى آتى بها ابولونيوس رغبوا

فيها فراجت حرفة الكهنة وشاع ذكر سحرهم فمنهم من ادعى
بمناجاة الارواح ومحاوره الجمادات والبهائم ومنهم من ادعى معرفة
أجل الانسان من خطوط جبهته فثبت اعتقاد الجمهور بالسحر حتى
ان القديس ايرونوموس لم ينكره فيما بعد ولا ما كان ينقل عن
سحرة الوثنيين واليهود والمسيحيين بناءً على أنه علم لا سرٌّ روحاني
(٨) وكان أبولونيوس لاثناً بوسبازيان رافلاً بنعمته ووسبازيان
يكرمه ويصادق على دعوته ليسند بها سلطته امام الجمهور حتى انه
لما طلب من هذا المشعوذ أن يدعي له بتأييد ملكه اجابه « اني قد
مسحتك امبراطوراً بسلطة من عندي » فصار المصريون يطلبون
التبرك من وسبازيان أيضاً ولما تقدم اليه أحدهم وفي عينيه رمد
وطلب اليه أن يبصق عليها زاعماً ان الالهة سيراييس قد أهلمته
ذلك ليشفي ، وآخر قد شلت يده طلب اليه أن يدوسها بقدميه
لتشفي ضحك وسبازيان منهما لكنه اذ ألح عليه الناس ان يجيب
طلبهما استدعى الاطباء واستشارهم فأشاروا عليه أن يفعل لأنه ان
أفادها استفاد هو أيضاً ذكراً وان لم يفدها لم يضره ذلك وعلى
قول المنزلفين اليه بأنه فعل وأفاد . وهذا جائز بمثل هذه الامراض
لكن لسبب طبيعي قائم بنفس العليل لا بسر في الطبيب

(٩) ويقال ايضاً بأن وسبازيان رأى عجيبة وهي انه دخل يوماً معبد
سيراييس للصلاة ولما انتهى الى الغرفة القصوى حيث الصنم رأى

الشيخ باسيليديس جاثياً هناك وهو يعهده طريق الفراش بعيداً ثمانين ميلاً عن الاسكندرية فلما خرج سأل الكهنة عن سبب وجود الشيخ بالغرفة فأجابوه بأن لا علم لهم باتيانه المعبد اصالةً ودخلوا الغرفة فلم يجدوا فيها أحداً فبعث وسبازيان بالحال رسولاً لمحل اقامة الشيخ ويقال بأنه وجد ملقياً على فراشه وعلى آخر رمق من الحياة

(١٠) ثم ان وسبازيان ردَّ ابنه طيطوس لليهودية ليم فتح اورشليم فزحف طيطوس بجنوده برّاً الى نيقوبوليس ومنها قطع التربة الى طمويس بالقرب من منديس ثم مشى ليلةً الى تانيس وليلة ثانية الى هيراقليوم وثالثة الى بلوزيوم حيث جاز النهر وبالرابعة كان في قاسيوم والخامسة في اوستراتين حيث أخذ مؤنته من الماء وبالسادسة كان في رنينوقولورا والسابعة في رافيه آخر حدود مصر ومنها دخل أرض فلسطين

(١١) وكانت يهود الاسكندرية لا تبالي بما حل يهود فلسطين وهيكل اورشليم لانهم كانوا من ثلثائة سنة وهم يحجون الى هيكلهم الجديد بعينون بالقرب من هليوبوليس ، لابل ان أحدهم يوسف بن متياس الذي اشتهر فيما بعد باسم فلايوس يوسيفوس المؤرخ كان من عدد الزاحفين مع طيطوس ، فلما وصل طيطوس امام اورشليم وأحاط بها كان المدافع عن عالي المدينة القائد سمعان وعن أسفلها والهيكل

القائد يوحنا وهما الشاهدان اللذان يذكروها كتاب الوحي لكنهما
 اختلفا على طريقة الدفاع. ورغمًا عن شجاعة اليهود أخذ الرومان
 المدينة منهم وهدموا هيكلها في شهر ايلول سنة ٧٠ م او على قول
 اوريجين بالسنة الثانية والاربعين من صلب السيد المسيح وقاد
 طيطوس من أسارى اليهود حينئذ سبعة وتسعين ألفاً لمناجم صعيد
 مصر وهاجر كثيرون غيرهم لمصر هرباً من الجوع والشقاء راجين
 المواساة من أهل دينهم هناك لكنهم خابوا لأن يهود مصر خافوا
 لئلا ايلافهم ينكي الحكام فأنكروهم وردلوهم وطردهم ففترقوا
 بالصحراء تائهين ذائقين كل أنواع الهوان والعذاب حتى ان قلب
 يوسيفوس القاسي ذاته رق لهم فيما بعد

(١٢) إلا انه قد فات يهود مصر بأن سقوط عاصمة ملتهم واذلال أهل
 دينهم من شأنه أن يسوق الى اهانتهم ايضاً فاننا نراهم محتقرين من
 الاغريق متهمين من الرومان حتى ان الحاكم لوبوس أقفل هيكلهم
 في عينون ايضاً بأمر الامبراطور وساق كثيرين منهم بالاغلال الى
 روما وساق يوسيفوس معهم فكان اسيراً الى أن عرفه طيطوس
 فأطلقه

(١٣) ونعم ان ليوسيفوس فضلاً بالتاريخ لا ينكر وعنه نقلنا بعض أخبار
 اليهود الا انه كان رجلاً بلا مروءة ولا ناموس كافراً بدينه وقومه
 وامراته الغربية لكنه بردّه على طعن ايون باليهود واحتجاجه بأقوال

فلاسفة الاسكندرية قد أفادنا أفكارهم وأفكار يهود ذلك الزمان
التي لا وصول لنا اليها الآن من باب آخر

(١٤) أما سفر الحكمة المنسوب في بعض نسخ العهد القديم الى سايمان

الحكيم فيظهر لنا بأنه من وضع أحد رجال هذا الزمان لأنه
يذكرنا بأقوال فيلو وابن سيراخ ونفسه نفس يهودي مصري متتصر
قد شاهد أعمال وسبازيان باليهود وعرف اهانتهم من المصريين
ويمدح من العيشة الرهبانية ويزعم بأن الله لم يخلق الموت ويعظم
الرجل الصالح الذي شتم وعُير وعُذّب لقوله بأنه ابن الله وبكلامه
عن الخالق وحكمته وكلمته التي بها أوجد الاشياء ترى المطابقة على
أول قول جاء بذكر الثالث من كاتب مسيحي وهو تيوفيليوس
أسقف انطاكية

(١٥) ولم يكن الاغريق اكثر ارتياحاً من تصرف وسبازيان معهم

لأنهم كانوا السابقين لمبايعته فلم يروا منه من المكافأة الا زيادة
الضرائب واذ بلغه بأنهم يعيرونه بالبخل ويقولون بأنه طالب صديقاً
له بستة دوانق كان قد أقرضه اياها شاط غيظاً منهم وجباهم مثلها
عن كل رجل منهم ثم عفى عنهم برجاء ابنه طيطوس ورحل الى روما
بلقب اليماق أي غسال الصحون كما كانوا لقبوا سلوقوس قبله، ناهب
تابوت الاسكندر الذهبي

(١٦) أوليث طيطوس في مصر نائباً عن والده فكان لطيفاً بالمصريين

محبوباً منهم واذ شاركهم باحتفالهم بالثور الجديد ايس لابساً التاج
 الملوكي ليزيد بهجة الاجتماع شكاه الاغريق بمزاحمة أبيه على الملك
 (١٧) ومن آثار عهد وسبازيان في مصر كان اكمله معبد لاتوبوليس (١)
 الكبير للماله اقنيف ، وهو من ابداع بنايات مصر القديمة ، فزيد عليه
 رواق قائم على أربعة صفوف من العمد رؤوسها منحوتة بشكل
 زهر الفاير وعلى سقفها صورة منطقة البروج كما في معبد طنطيرا
 واسم وسبازيان محفوراً فوق الباب الكبير

دوميتيان سنة ٧٩ م الى سنة ٩٧

(١٨) ولما مات وسبازيان خلفه ابنه الأصغر دوميتيان الذي أباح
 للرومان دين المصريين وأقام في روما معبداً لآلهتهم ايزيس وابنها
 هوروس ومعبداً آخر لسيرايس فاشتغل المصورون بعمل التصاوير
 الممثلة ايزيس وعلى حجرها ولدها هوروس ونقش صورهما الصياغ
 على فصوص الخواتم وطفق الرومان يقدمون على اقتنائها اقداماً
 عظيماً وراجت تجارتها حتى ان الشاعر يوينال المجان قال بأن
 الرومان قد باتوا يتعيشون من فضل ايزيس، ولشدة حرصهم على طهارة
 معبدها كانوا يستجلبون ماء النيل لغسله ولاغتسال كهنته . وبني
 دوميتيان مدرسةً فيه أحضر لها ما شاء من مكاتب الاسكندرية

(١) غربي منف على نحو سبعين ميلاً بجهة النظرية

وزرع لنفسه بستاناً على حافة نهر تير الذي فاق بحسن ورده
المصري الشتوي حدائق منف والاسكندرية

(١٩) وبزمانه كان الشاعر يوويناك شيخاً وحاكماً عسكرياً على أطراف

صحراء مصر، فيخبر بأنه وجد الجنود الرومانية هناك خالعة العذار
لا أدب يردعها عن الفساد ولا مروءة تصدها عن الجور على السكان
والقضاة لا يقدرّون على الوصول الى الحقيقة لمجازاة الجانين لأن
الشهود كانوا يخافون من قول الصدق ضد الجند

(٢٠) ولما كان هذا الشاعر مطبوعاً على الانتقاد رأى عبادة البهائم من

المصريين ما يشغذ قريحته فيقول بأنهم لعبادتهم أكثر البهائم لم
يتركوا لقوتهم لحمًا يستحلون آكله سوى لحم بني آدم ويستشهد على
ذلك بما رواه من قتال كان بين مدينتي عمبس وطنطيرا البعديتين
مائة ميل عن بعضهما وكان أهل عمبس يعبدون التمساح وإلهاً
آخر برأس تمساح اسمه سواق بينما أهل طنطيرا كانوا يعبدون الثور
ولهم براعة بصيد التمساح فالتقوا يوماً ما بسيران كان لهم وتقاتلوا
فانهزم أهل عمبس إلا رجلاً منهم عثر وسقط فمسكه أهل طنطيرا
ومزقوه واكلوه . ولأن اسم ملكة السماء عند المصريين هو
ايزيس واسم الكركرات ايزي ظن يوويناك بأن معبودهم هو البصل
فزاد بقوله عنهم انهم بعد عبادتهم البهائم والطيور والاسماك والبقول
لم يفتهم معبود سوى إله العفة

(٢١) وحكى ايضاً عن قتال آخر شاهده بين مدينتي اخيرينخون وقينو بوليس لأن هؤلاء كانوا يعبدون الكلاب فاصطادوا سمكةً يعبدها الآخرون اسمها اوقصيرينخوس واكلوها فقام أهل السمكة يقتلون الكلاب ويأكلونها واشتعل القتال بين الفريقين الى أن صدتهم جنود الرمان عن بعضهم

(٢٢) أما المؤرخ بلوتارخ فانه مع علمه بوجود هذه العقائد عند الجبال من الناس يقول بأن اعتقاد الكهنة انما كان بالله غير منظور وانهم كانوا لا يكتفون بالصلوة دون الحسنات ويزعمون بأن كلما اضرر منه حلال وما ضر فهو الحرام^(١) فلو حركوا ناراً بالسيف كان ذلك حراماً لأن النار تضر بفرنده . ويقولون بأن ليس كل من لبس الكتان واغتسل وحلق رأسه بكاهن وان سُئلوا عن اسم الآله أجابوا بأن الشمس واحدة أما اسماءها فكثيرة بلغات الناس وهكذا الآله . وكان لهم عيد للآله طوط يحتفلون به ليلة العشرين من القمر يأكلون فيها العسل والتين اليابس وينشدون « طيبة هي الحقيقة » ولكنهم بوجه الاجمال كانوا كسائر أهل المشرق يعتقدون بوجود آله صالح و آله آخر شرير ويعتقدون بأن الآله الصالح مركب من ثلاثة بالعدد الذي هو عندهم صورة الكمال ، والزاوية التي بها يعبرن

(١) وهو مذهب فلسفي جليل عند من تبصر

عن عوزيريس وايزيس وهوروس . وكان عيدهم الكبير تذكاراً
ليوم حزن ايزيس على بعلها عوزيريس الذي قتله تيفون ونشر
أشلاءه وبددها فجمعتها ايزيس ودفنتها ثم نشأ ولدها هوروس
وثأر بقاتل أبيه ، وانه كان لتيفون ابنان اسم احدهما هييروسوليموس
والآخر يهودا هما أعداء المصريين لكننا لا نرى أثراً يدلنا على هذه
القصة بين رسوم ثيبة القديمة فرجما انها مما جد بالارياف ومنهاركب
الاغريق حكايتهم اللطيفة عن حزن وينوس على معشوقها ادونيس
أو انها مأخوذة عن حكاية استارته الالهة الفينيقية (١)

(٢٣) ثم بينما كنا نرى هوروس بصورة فتى وعلى رأسه تاج صرنا نراه
بصورة ولد صغير وأصبعه على فمه ، يعنون بذلك انه قاصر عن
الكلام ، فالرومان لم يفهموا هذا الرمز وحسبوه اشارةً الى الصمت
فسموه إله الصمت

(٢٤) ولما تمت الاحدى عشرة سنةً لحكم دوميتيان طلب من السناتو
اقالته فلم يقبلوه وبايعوه لعشر سنين ثانية فاحتفلات الاسكندرية
بذلك احتفالاً كبيراً وضربت نقوداً جديدة تؤزخ جلوسه الثاني
أتت من أبداع النقود المضروبة لذلك الزمان

(١) ويمثل هذا اليوم تحتفل الان مصر بعيد شم النسيم

الفصل الرابع

سنة ٩٧ م الى سنة ١٨١

نروي تراجان هديران والانطونين

(١) النقود هي الاثر الوحيد لحكم نروي على مصر ولكنها تكفي للثناء عليه لأنها تؤرخ رفعه الجزية عن اليهود التي كان قدرها نصف مثقال عن كل انسان منهم وهو القدر الذي كان قديماً مفروضاً عليهم لخدمة الهيكل

تراجان سنة ٩٨ م الى سنة ١١٧

(٢) اما أجمل النقود المسكوكة لذلك الزمان فكانت التي لتراجان للسنة الحادية عشرة من ملكه فانها بدلاً من تشخيصها الانتصارات الامبراطورية وفيضان النيل والالعاب والتعبّد لسيرايس صارت تنقش بالرموز المصرية واليونانية لابل ان كميته بهذا العهد والذي بعده فاقت كمية كل النقود المضروبة قبلها واكثرها كان من النحاس بقطع صغير من وزن مائة وعشرة شعيرات الى مائتين وعشرين شعيرة وهو ما صارت العرب فيما بعد تسميه المثقال الذي

هو تسع وتسعون شعيرة وبعض هذه النقود كان من فضة لكنها غير خالصة

(٣) ورغماً عن احتقار الرومان للمصريين واعتبارهم آداب وصناعة اليونان فانهم كانوا يثقون بأطباء المصريين ويتصدون مصر لمشاورتهم فكان أحد أطباء قيقروا منهم ولما هربوقراط المصري شفى بليبي الأصغر من مرض كان بعينه كافأه هذا بأخذه له فرماناً يجعله رومانياً، واذ لم تجز له القضاة هذه الجنسية لسبب نسبه الشرقي تكلفوا جعله أولاً يونانياً وثم رومانياً اي حرّاً

(٤) ومن اقتصادات تراجم الحسنة الذكر كان تخزينه بأهراء روما خراج سبع سنين من حبوب مصر احتياطاً من جذب يطرأ على زراعة مصر ويقطع واردها فجري خلفه على هذه القاعدة سنيناً وأتى زمان أمحلت فيه مصر ورأت الاسكندرية انقلاب الآية بأن روما صارت تمدّها بالطعام وتفتخر باقتصادها وكرمها على المصريين

(٥) ولهذا الزمان كانت الاسكندرية لم تزل قطباً لتجارة المشرق مع أوروبا ومرسى لمراكب سورية تزدحم فيه السفن بشراعاتها المختلفة الالوان والاشكال وميداناً لتجار المسكونة من كل لون وزبي ولسان

(٦) أما أهلها فانهم على قول أحدهم ديون الملقب بقم الذهب لم يكونوا حسني السيرة قط بل ان همهم كان بطونهم وفروجهم وسباق الخيل وحرقتهم التهرج ليضحكوا الرومان بسفاهتهم

(٧) وبعد أن كانت الرومان قد أخفقت بزحفها ضد العرب في عهد أغسطس نراها الآن قد احتلت حجر عاصمة النبط ولم تنزل آثار احتلالهم لها اربعائة سنة ظاهرة للآن

(٨) ومن آثار هذا العهد وبزمان حاكم مصر لوقيوس سوليقيوس سيميوس ما زيد على معبد بانوبوليس^(١) بالصعيد باسم تراجان بالسنة الثانية عشرة من ملكه ورواق معبد سيراييس وايزيس بالمرج الأعلى بالسنة التاسعة عشرة من ملكه وأيام حاكم مصر مرقس روتيلوس لوبوس وكان تراجان بأول سنة من ملكه قد بنى معبداً صغيراً في دنديره بالقرب من معبدها الكبير تذكراً لزوجته بلوتينا باسم وينوس الفتاة ومع سكوت التاريخ عن حوادث هذا الزمان نفهم من صورة نقود الاسكندرية للسنة الرابعة عشرة لتراجان قدومه اليها آيماً من فتح أرمينيا والعراق وبلاد العرب راكباً على عجلة تجرها أربعة أفيال ، ومن صورة نقوده للسنة السادسة عشرة من ملكه نفهم اقلاعه عنها بهيئة الإلهة ايزيس ماسكةً شراعاً تدفعه الريح عن جزيرة الفنار

(٩) وبهذا الزمان حصل اعتناء باصلاح الترعة التي بالقرب من

(١) وتدعى أيضاً خيمييس وهي الآن اخميم ومنها خرج ذو النون
الاخيمي رئيس الصوفية

بوسطى التي هي الآن تل البسطه وكان أول خرقها من نيقوشم
اعتنى بها فيلادلفوس لكن اضعف مصب النيل اليها بهذا الزمان
رأوا أن يجعلوا رأسها فوق ما كان لحفظها من تسطي الماء المالح
فابتدأوا فيها من بابل بالقرب من منف آخذين بها إلى هليوبوليس
ثم شيناوترانوروم وهيروبوليس وسيرايون إلى البركة المألحة العليا
ومنها إلى البحر الأحمر وهناك بنوا لها سدًا بموضع سموه قليسمون
على عشرة أميال جنوبًا من ارسينويه التي كان تراكم الرمل على
ساحلها قد أبعداها عن البحر ولا يُعلم كم طال استعمالها بل المعلوم بأنها
تعطلت من عدم الاعتناء بها حتى أصلحها العرب عند استيلائهم
على مصر. وعليها بزمانهم ركب حجاج الافرنج بطريقهم لبيت
المقدس

(١٠) ولما كانت الاسكندرية أم التزوير الكنائسي فبلا شك أن منها

خرج تركيب وصايا الأسباط الاثني عشر من تليفق يهودي متصر
فأثار به شجا المسيحيين لتبشيريه بعود المسيح على رأس الألف سنة
واليهود لاشارته بقرب رجوع ملكهم فهاجوا ضد الرومان وأقلقوهم

(١١) والأرجح أنه بهذا الزمان أيضاً نشر الشاعر حسقيل نشيده الحماسي

باللغة اليونانية بخروج اليهود الأول من مصر كأنه يغريهم بالخروج

منها ثانية، لكن لم يصل إلينا من هذا النشيد سوى بعض مقاطع

(١٢) فوجود مثل هذه التصانيف كان إما نتاج حركة أفكار يهود

ذلك الزمان إما سبباً لها لأننا تراهم بالسنة الثامنة عشرة من هذا
العهد هايجين ضد الاغريق ، وبالي بعدها عاصين على الرومان .
وكانوا بأول الأمر الفئة الأقوى بالقوى فهرب منهم اليونان
للاسكندرية لكن لما اجتمع هؤلاء مع إخوانهم بالاسكندرية
صاروا هم الحزب الأقوى فوقعوا على اليهود فيها وعاثوا فيهم . ولما
انتصر لهم يهود القيروان تحت قيادة أحدهم لوقواس تفاقم الخطب
حتى اضطرَّ الامبراطور لارسال جيش جديد وأسطول لمحاربتهم
فأصاب منهم عدداً وافراً وهرب الباقيون للبراري والقفار تايهين
يتلصصون

(١٣) فبمثل هذه الحماقات سقط اعتبارهم وضاعت امتيازاتهم بالمملكة
ومع خراب هيكلهم بأورشليم وقفل هيكلهم الآخر في عينون بأمر
وسباريان أصبحوا أذلاء قانطين فمالت أفكارهم للتوراة وتأويل
النبوءات المشيرة إلى زمان إتيان المسيح فتتصر منهم كثيرون
إذا عصفت ريح الغنى قصفت أخا
عناءً ولو بالفقر هبت لرببت

وربما أنهم بهذا الزمان قد كلفوا ثانياً لدفع الجزية التي كان نروى
قد عفاهم منها

هدريان سنة ١١٧ م الى ١٣٨

(١٤) في السنة السادسة من حكم هذا الامبراطور النسيط نراه زائراً
 مصر بعد أن كان تفقد أحوال اسقوظلاندا شمالاً راغباً الاطلاع
 على أحوال مملكته برمتها . وربما ان الذي دعاه لزيارة مصر كان
 قتلاً ثار بين أهل منف وهليوبوليس لأجل عجل ادعى فريق
 منهم بأنه أبليس والآخر بأنه مناوس بعد أن كان قد مضى لمصر
 عدة سنين وليس لها عجل مقدّس . وإذ كان هدریان صاعداً
 بالنيل لزيارة ثيبه سأل المنجمين عن بخته فأجابوه بأنه لا تتم له
 السعادة حتى يفقد أعز ما عنده وكان نديمه الشاب انطينوس يسمع
 ذلك فقال اجعلني أن أكون أنا الفداء ورمى بنفسه للماء بالقرب
 من القرية المسماة بيسه فهلك وحزن الامبراطور لفقده حزناً عظيماً
 فساد بذلك المكان مدينة تكون تذكراً للمروءة سماها انطينوبوليس
 وزينها بالمعابد ولم تنزل آثارها ظاهرة للآن ازاء هرمو بوليس على
 الضفة الشرقية من النيل وصار الرومان يكرمون تمثال انطينوس
 كأحد الآلهة ويطعمون له عيداً بالألعاب والسباقات مما كان
 يستغربه أهل الصعيد باكرام الآلهة ثم بالسنة السابعة من وفاته
 ضربوا له تقوداً بالاسكندرية باسم انطينوس الفتي

(١٥) واجتمع الامبراطور بعلماء الاسكندرية وحادثهم وزار ضريح

يومي وأنفق مبالغاً كبيراً على زينة البلد وبنيات جديدة فيها فأكرمه أهلها بأن أبدلوا اسم شهر ديسمبر إلى هدریان ولكن إذ لم تتبّعهم المملكة أعرضوا عنه . ومن العلماء الذين أكرمهم هدریان كان ديونيسيوس استاذ الفلسفة في مليتوس وافسس وبوليمون الخطيب الذي كان يجتال في انحاء المملكة بحاشيته وخدمه على نفقة الدولة للخطابة

(١٦) أما علماء الاسكندرية بهذا الزمان فكان منهم ايبان مؤرخ الفتوحات الرومانية والمنطقي ابولونيوس الذي لنا منه حكاية الراعي الذي يقال بأنه رقد سبعاً وخمسين سنة ثم انتبه (١) وحكاية رجل مات وظل شبّحه يأتي بيته إلى ان ضجرت امرأته ولم يتركها حتى أحرقت موهيته

(١٧) وعاد اليهود بهذا الزمان لعصيانهم فانهم سنة ١٣٠ قاموا بأورشليم ضد واليها تتيوس روفوس وحشد لهم يهود مصر والقيروان لكنهم أخفقوا ونُكل بهم

(١٨) ومن الكتابات العديدة على صنم ثيبه العظيم تعلم زيارة هدریان الثانية لها مع زوجته صاينا بالسنة الخامسة عشرة من ملكه وهي سنة ١٣١ التي تقود الاسكندرية تشير إلى دخوله اليها، وتعلم أسماء

(١) ولعل هذه الحكاية هي المشار اليها بخبر اهل الكهف الوارد بالقرآن أو ان هذا خبره مما زعموا انه حصل بعد هذا الزمان

بعض ولاية مصر الذين لم يذكرهم التاريخ وإلا فإن أسماء الزائرين تكاد تغطي ساقى الصنم ولو أمكنهم للمأوا الثلاثة والخمسين قدماً منه بتفاهاتهم المعتادة أما الصنم المذكور الذي أصله من حجر واحد كان حينئذٍ مكسوراً ولما رآته الملكة صابينا ورآه قبلها استرابو ويويونال وبوزانياس كان نصفه على الأرض وإذ لم تسمع منه الملكة بأول صباح نغمه المشهور تكدرت فبالغد سمعته (١)

(١٩) ومن هذه الكتابات أيضاً عدة أبيات باللغة اليونانية ايوليك

القديمة التي هي ألطف مخرجاً من الدوريك تؤرخ زيارة هدریان وملكته للمدينة كما أننا نجد إشارة لهذه الزيارة بصور من الفسيفسا في بالسترينا التي تبعد ليلتين عن روما، تمثل النيل وتمساحاً سابجاً فيه وحصان النهر وزهر البشنين والامبراطور قائماً بجذاء معبد هناك ومناظر من الصعيد والسودان وحيوانات كالزرافة والفهد ووحيد القرن والطير الخرافي فينكس وبئر اسوان الفلكي . والافرنج تسمى الفسيفسا موزاييكا وتزعم بأنها محرفة من اسم موزيوم الاسكندرية حيث وجدوا آثار هذه الصنعة لكن لا يبعد أن يكونوا قد أخذوا هذا الاسم من العرب فيكون محرفاً من مجزَع وهو أصلاً من احجار

(١) قبل انكساره لم يكن له نغم الذي سببه امر طبيعي يصادف أحياناً

بالصخور المنخورة عند الفجر من الهواء فيها متى سخن فيخرج صافراً

طبيعية أما الآن فأكثره من حجارة مُصطنعة ولها معمل بنفس
الواتيكان قد شهدناه فيه

(٢٠) وها ان سبعين سنةً قد مضت للآن على التبشير بالمسيحية من
مرقص الانجيلي وصار عدد المسيحيين بالاسكندرية كثيراً إلا ان
حالة البلاد اجمالاً لم تتحسن فاننا نرى هدریان يكتب حينئذ
لصديقه سرويانوس ما فحواه

« من هدریان اغسطوس إلى سرويانوس ، سلام . أما بعد
فصر التي كنت تطنب لي في مديحتها أيها العزيز فاني أجد أهلها قومًا
بلا رصانة ولا تمييز فمنهم من يعبد سيراييس ويدعي بأنه مسيحي
ومنهم من هو من كهنة المسيحيين ويكرم سيراييس وليس منهم
كاهن ولا حاخام أو سامري إلا ويعمل بالسحر وكلهم مجبولون
على حب الفتنة والصلف والضعينة لكنهم أغنياء أصحاب همة وأهل
صناعة يعمل الزجاج والقرطاس والكتان وعندهم حُرَف للعرجان
والعميان والمكتوعين يعبدون إلهًا واحدًا هو لا شيء وها اني قد
أوليتهم كل إحسان وأعدت لهم امتيازاتهم وزدتهم لعلمهم يشكرون
ويحسنون طويتهم »

ونرى على تقود السنة السادسة عشرة من هذا العهد صورة
الملكة متكئة على أريكة في مركبها اشارةً إلى سفرها من
الاسكندرية

(٢١) وبالزمان الأخير إذ صار سيرابيس أعظم آلهة المصريين قابض الأرواح والديان في اليوم الأخير ضعف يقينهم بغيره . ولما سُئل هاتف الغيب عن الإله أجاب « أنا را ، أنا هوروس ، أنا عوزيريس » أو كما تقول الروم « أنا أبولو أنا الرب أنا باخوص » أنا محرّك الساعات ومدبر الفصول مجري الهواء والأعصار ومعيد الليل والنهار أنا رب الأفلاك وأنا النار الأبدية القرار . فمن هذا الاعتقاد نتج اشتباه هدریان بدين القوم . وكان يريد أن يضيف المسيح إلى عداد آلهة الرومان لكنه كان يكره إقامة التماثيل بالمعابد حتى صارت العارية منها تعزى إليه فيما بعد . وكيف كان الأمر ليس من الغريب وجود نزعة من عقائد الأقدمين عند المتصرين لذلك الزمان

(٢٢) فان المسيحيين الأولين كانوا يهوداً من معاصري الحواريين وجدوا بالمسيح المنتظر تيمماً لدينهم . وأما القبط والاغريق فانهم أحالوا الدين لما وافق خرافاتهم الأولى ، وإياهم عنى بولس الرسول بتحذيره تيموتاوس من المناقنين . وكان قيرنطوس أول من سعى لتطبيق المسيحية على فلسفة الأقدمين فكان يزعم بأن يسوع هو روح من الأرواح التي يبعثها الأزلي من زمان لزمان لتسوس العالم الأرضي ، وكثيرون يظنون بأن سفر الوحي هو من وضعه لما فيه من المشابهة لهذا المذهب

(٢٣) أما مؤسس المسيحية على المبادئ المصرية فهو باسيليديس القائل

بأن الهدى من الله وان المؤمن معصوم من الخطيئة وان المادة أزلية كالهيليولى واغدود هو الإله الواحد ذو سبع صفات يسوس بها الكون (ربما هي العقل والكلمة والفكر والحكمة والقدرة والعدالة والسلام المذكورة بسفر الوحي) وان الشيطان هو إله الشر وكان يسمى إله الخير « ابراقاس » لأن معناه لا تؤذني ، ومجموع أعداد حروفه يجاوب على عدد أيام السنة ٣٦٥ فكانوا يتبركون بهذا الأسم ويكتبونه على احراز يلبسونها للوقاية من الأمراض والهفوات. كما ان من وصف المصريين إلههم هوروس بالخنفساء وصف القديس امبروزيسوع بالخنفساء الصالحة

(٢٤) ومن معاصري باسيليديس كان قربوقراطيس الاسكندري الزاعم بأن النفوس إذا شعرت بصفاتها الإلهية التي لها قبل التجسد تأهت وأن يسوع كان ممن أشعر بها ، وكان يقول بأن آداب السالك غير ضرورية . وخلفه ابنه ايفانس على هذا المذهب وزاد عليه شيئاً من الفلسفة الافلاطونية . وبعده ظهر ايزيدوروس بن باسيليديس يعلم بمذهب أبيه في هذا العهد . وبالعهد التالي ظهر والتينوس الصعيدي المولد الجاعل الإله من ثلاثين اقنوماً . وظهر غيره بمذهب يُسمى عوفيتا وهو إكرام الحية فقالوا بأنها المسيح أو أعظم منه لأنها أول عارف بالخير والشر وكانوا يصنعون أحرازاً بصورتها وباسم يهوه أيضاً كما باسم ابراقاس

(٢٥) وكافة هؤلاء القوم كانوا يعتقدون بالسحر والرقى ولهم كتب بالتعاون والحطاب للآلهة والشياطين والاقسام عليها اتجيب غرضهم وكتب أخرى بالتنجيم والفراسة ومكاملة الجمادات مع أن الفراسة علم طبيعي ومكاملة الجمادات من الشعوذة المحضة التي نسميها التكلم من البطن وكتب الرقى إنما أساسها فكان ما نعرفه الآن « بالهينوتيسم » العلم الطبي

(٢٦) ثم انما إذا نظرنا إلى الدين المصري القديم وجدنا بأنه قد جاز فيه بأن عوزيريس يُقتل وأن يكون مع رآ وهوروس إلهاً واحداً وأن سيكون للبشر فادٍ منهم يوم الحساب

(٢٧) أما الكاتب المسيحي الذي يعتمد عليه بعد المعاصرين للحواريين فهو يوستين اليوناني الأصل السامري المولد الذي درس الفلسفة الافلاطونية بالاسكندرية وتنصر عن اقتناع عقلي ثم ذهب لروما مبشراً بالدين الجديد ولأنه أهان الأصنام فيها قتله الامبراطور أنطونيوس بيوس وصار يُعرف بيوستين الشهيد

(٢٨) وكانت العادة قد جرت بأن استاذ الفلسفة الافلاطونية بالاسكندرية يكون أثينياً فكان بالقرب من هذا الزمان استاذها اثيناغوروس، لكنه بعد قليل تنصر وهو ويوستين كانا أول العلماء المنتصرين لذلك الزمان لكنه لما خاطب الامبراطور ماركوس اوريليوس بهذا الدين لم يتجاوز فيه الشهادة بالبعث والتوحيد

وبأن المسيح هو حكمة الخالق وإرادته وبأن المحبة واجبة حتى للأعداء .

ولاعبت^٢ والناس لم يخلقوا سدئ^١ وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة (٢٩) وبعهد هدریان كان ضرب النقود غزيراً وبشكل جديد فان منها ما كان عليه صورة مركب يدفعه الهوآء اشارةً إلى قدوم الامبراطور لمصر بالسنة السادسة من جلوسه ، ومنها بالثامنة بصورة أنطينوس كأحد الآلهة، ومنها بالحادية عشرة عند تجدد انتخابه لعشر سنين ثانية ما عليه اسماء بعض جهات مصر والحياة الصالحة والشريرة وصورة ايزيس ربة العشق وسيرايس رب الخوف وصورتهما مع ولدهما هوروس قائماً على نسر بعد أن كانوا يمثلونه برأس نسر فقط

انطونيوس بيوس سنة ١٣٨ م الى ١٦٢

(٣٠) ولما انتقل الملك إلى أنطونيوس بيوس صادف ذلك اتهام الألف واربعائة وستين سنة من دور الشعري اليمانية الكبير (١) وهي النجم المسمى أيضاً سيريس والكلب الذي يطلع من

(١) أي ان الشهور ترجع فيه الى مدارها الاول وهو ما تسميه الاقربنج « العام البلاطونيك » كما تسمى الهوى العذري « العشق البلاطونيك » أما بخلاف ذلك فالنسبة الى افلاطون وفلسفته هي « بلاطونيست أو بلاطونيسيان »

جنوب مصر بأبام قليلة قبل فيضان النيل وابتداء المصريين سنتهم من طلوعه وبدوره هذا ينتظرون رجوع طيرهم الخرافي ويتيمنون به فأقاموا لذلك الافراح وضرىوا النقود بصورة هذا الطائر الميمون الذي تسميه اليونان فينيكس المذكور آنفاً وفي هذا الزمان كانت مصر بطمان وأمان وفيضان النيل لا ينقص عن ستة عشر ذراعاً في منف وهو الحد المرغوب من قبل ستمائة سنة بزمان المؤرخ هيرودوتوس ومنه يتضح بأن سطح أرض البلاد لم يرتفع عما كان قبل هذا الزمان الطويل (٣١). ولما شاعت حرفة التنجيم بين الاغريق صارت الاسكندرية تضرب نقودها بصور الابراج . وفقراء اليهود وجدوا بذلك وسيلة لاكتساب المعيشة ففسأهم كنّ يجلسن بالأسواق ينجمن للناس ويفسرن الأحلام . ومن أوراق وجدت مدفونة مع مومية في ثيابه تفصّل طالعاً بتمامه بالدرجة والدقيقة مع أبراج الشمس والقمر والكواكب ذلك الوقت أمكن لنا معرفة زمان هذا الامبراطور تماماً بحساب الفلك . ووجد أوراق غيرها تفصّل أبراج كل ساعة من هذا الزمان بغاية الدقة والضبط لاستعمال المنجمين

(٣٢). لكن لم ينحصر علم الفلك حينئذٍ بالتنجيم فان قلوديوس بطليموس الفلكي والجوغرافي كان إذ ذاك زينة مدرسة الاسكندرية واليه ينسب اكتشاف دوران الشمس والقمر والكواكب حوالى الارض من الشرق للغرب مرّةً بالأربعة والعشرين ساعة ، والحال أن هذا

علم قد عرفه الأقدمون وهو أثبتته بالبراهين فصار ينسب اليه
 وبوضعه المجسطي بدوناً الكسوفات التي عرقها بابل والاسكندرية
 في مدة الثمانمائة سنة قبل زمانه قد أمكن لنا تحديد زمان ملوك بابل
 والفرس واليهودية ومصر تحديداً باتّاءً . وبتفصيله طريقة عمل الكرة
 الأرضية ورسم الخارطات يكاد أن يحيط بهذا الفن على ما نعرفه
 الآن كما ان افاداته الجوغرافية تفوق بدقتها كل وصف من نوعها
 ظهر لذلك الزمان . وكتابه بالانعام هو أحسن ما لدينا من آراء
 الأقدمين بهذا الفن

(٣٣) وبهذا الزمان أمر الامبراطور بمساحة السكك العسكرية بالملكة
 وسموا ذلك الدليل الانطونيدي فكانت سكك مصر العسكرية ستاً
 أولها من النوبة إلى بابل على طول حافة النيل الشرقية وثانيها من
 منف شرقاً إلى هليوبوليس وحي اليهود وقليسمون حيث تمر بترعة
 تراجان للبحر الأحمر وثالثها من منف إلى بلوزيوم متصلةً بالثانية
 على مسافة ثلاثين ميلاً ثم عند بابل ومفترقة عنها عند شيناوترانوروم
 ورابعها من الصحراء إلى البحر الأحمر عن طريق سيرايون خمسين
 ميلاً من قليسمون وهي أقصر من الثانية بنحو مائة ميل تمر بحافة
 النيل الغربية عند هيراسيقاميون بالنوبة إلى الاسكندرية منحرفة
 عن النيل عند اندروبوليس على بعد ستين ميلاً من الاسكندرية
 وخامسها من فلسطين الى الاسكندرية على شاطئ البحر المتوسط

من رافعه إلى بلوزيوم صاعدةً برًّا هربًا من طوفان النيل بتلك
 البقعة ثم لاحقةً بالسكة السالفة عند اندروبوليس وسادسها من
 قبطوس على النيل إلى برانيقه من البحر الأحمر وبينهما عشرة منازل
 أو ما نسميه أيضًا قُنَاقَات بين كلِّ منها ليلة أو خمسة وعشرون ميلًا.
 نعم إن سيينه كانت آخر حدود مصر الرومانية إلاَّ إن سلطة
 الرومان لم يكن لها فعل فوق هيراسيقاميون ابتعادًا عن مجاورة
 عربان تلك الجهة من أسلاف البشارين وغيرهم أصحاب العيون
 الخيفة

(٣٤) ومن المؤرخ الريان نعرف كيف كانت أحوال مُدُن شواطئ
 البحر الأحمر بذلك الزمان والمسافات بينها والسكان فيها وأهمية
 تجارة مصر الداخلية والخارجية إلاَّ أن إذ كانت الأموال الواردة
 لمصر تنتقل من يد ليد وبلد لبلد بطريقها من بلاد العرب كان
 الرومان يجهلون مصدرها الهندي والحبشي ويظنونه عربيًّا. فإن
 المصريين كانوا يرسلون نسيج الكتان وأواني الزجاج والنحاس
 والصفير لسك النقود والحديد لعمل السلاح ويستجلبون العاج
 وشن الكركدن والفولاذ الهندي والحبر والحرير والعييد
 وصدف السلحفاء والمرّ والبخور والتوابل ولتسهيل غايات تجارهم
 في البلاد العربية كانوا يهدون ملوكها الخيل والبراذين وأواني
 الفضة والذهب. ويذكر هذا المؤرخ تجارتهم بالحبوب والزيت

والقند وعراكب الخوص وهي أول مرة عثرنا بها على ذكر القند ومع ذلك يظهر بأنه كان صنفاً قديماً معروفاً، إذ لو يكن حديثاً لكان المؤرخ أشار إليه خاصةً

(٣٥) ومن بعض الكتابات على ساقى أبي الهول بالقرب من الاهرام نعلم زيارة هذا المؤرخ له وخبراً آخر كنا نجمله وهو وجود الأطباء بمعية الجيش الروماني فان أحدهم المسمى اسقليبياديس الكاتب اسمه هناك يقول بأنه كان طبيب الفيلق الثاني ومن كتابة على قطع من الخزف بقلم رومي ردي بصفة وصولات بالرسومات على صادرات الخنطة والفول والجزية نعلم بأن الجزية التي كانت ستة عشر درهماً في عهد وسباريان صارت بعده سبعة عشر درهماً فضة وهي بالنسبة لحال ذلك الوقت تحسب فاحشة إلا أن تكون مضروبة على أرباب البيوت من الرجال فقط

(٣٦) وبهذا الزمان صار بناءً معبد بالمرجة الكبيرة للإله عمون اقيف وفيه تمثال الامبراطور رافعاً قرابينه لهذا الإله ولعوزيريس وايزيس وهوروس. وبني أيضاً هذا الامبراطور مرشحاً بالاسكندرية لسباق الخيل، وبابين للمدينة سمي أحدهما المواجه للبحر شمساً والآخر المواجه بحيرة مريوط قرماً، وفتح بينهما طريقاً واسعاً يخترق المدينة عرضاً لكنه لم يكن له ليخلو زمانه من البلابل فان أهالي الاسكندرية أثاروا فتنة فيها وقتلوا الحاكم وينارخوص فاستحقوا عقاب الامبراطور لهم

مارقوس اوريلیوس سنة ١٦٢ م الى ١٨١

(٣٧) ثم انتقل الملك إلى مارقوس اوريلیوس فضربت الاسكندرية

نقودها باسمه، والتي للسنة الخامسة من جلوسه ترى عايتها صورة انسان

عظيم الجثة متكئاً على شمال أبي الهول وحاملاً بيده قرناً ملؤه

فاكية وعنباً وحوالي العاج بين يديه ومن فوقه ستة عشر طفلاً

تُسمى بلغة الرومان « كُوَيْد » وكل ذلك رمزاً إلى النيل العظيم

وبركته وارتفاعه ستة عشر ذراعاً، وبلغة الرومان « كُوَيْد ». وكان

وسبازيان تقل صنماً على هذه الصورة إلى روما وأقامه في قصر

السلام بصفة إله النيل . وبالسنة الحادية عشرة من هذا العهد ترى

على النقود صورة الإلهة ايزيس قابضة شراعاً تدفعه الريح لجهة

المنارة اشارةً لقدم الامبراطور إلى الاسكندرية

(٣٨) وفي السنة المذكورة انتقض الجند المؤلف من العربان المستأجرة

وتفرق في القرى يعبت فيها فزحف القائد اوديوس قاسيوس ضدهم

ونكّل بهم وإذ عاد بجيشه منصوراً لعبت الحمية برأس الجند

فصاحوا باسمه امبراطوراً على المشرق فأذعن لهم ومشى بهم

الاستيلاء على سوريا تاركاً ابنه ميقيانوس حاكماً على الاسكندرية

فاستقبله جيش سوريا بالخضوع لكن إذ بعد قليل جاء الخبر

بزحف مارقوس ضدّه نكشوا عهدهم معه وقتلوه وقتلت جنود

الاسكندرية ابنه وعادت البلاد لطاعة مارقوس

(٣٩) وهو بوصوله للاسكندرية أعلن عفوه عما كان ، وأكثر ما فعل

بأولاد قاسيوس الآخرين فإنه أبعدهم تاركاً لهم نصف ميراثهم

وكان يتجول بالمدينة كأحد الأفراد ويزور المعابد ويحضر مجالس

العلماء بالموزيوم وأقام تمثاله بالمدينة لابساً الجبة الرومانية لا ، الملوكية

كسلفائه

(٤٠) وكانت الاسكندرية لم تنزل قطباً لعلوم الدنيا بأسرها لا مثل

لمكتبتها ولم تكن بعدُ قد أثرت فيها المسيحية بل كانت اشتغال

النساخ العديدين بجوار المكتبة ، وأكثرهم من البنات ، بنقل كتب

الأقدمين بالخط الرومي الديواني والنسخي

(٤١) وأكثر كتب هذا الزمان بالخط الديواني كانت على الرق وقليل

ما وصل إلينا منها ككتاب مسامرة الالبساء للعالم أثيناوس من

نوقراطيس بالقرب من سايس^(١) على حافة النيل الغربية الذي يقول

بأنه جمعه من ثمانمائة كتاب مختلفة المواضيع . وقاموس واليريوس

هر بوقراطيون الاسكندري يفسر فيه كلام خطباء اليونان العشرة .

والفتاوي الاثينية ويذكر سير الأشخاص الذين ألع اليهم الخطباء .
 وكتاب بالعروض يُسمى الانخيريديون من تأليف المنطقي هيفاستيون .
 وكتاب باصطلاحات التعبير والكلام المنحوت بسائر الفنون لذلك
 الزمان تأليف المنطقي يوليوس بولوقس من نوقراطيس أهدها
 للامبراطور قومودوس . ونسمع بكتاب من تأليف خيرون معاصر
 بولوقس بأخبار كهنة مصر وتراجم ملوكها لكنه يا للأسف مفقود
 (٤٢) ومن كتب هذا الزمان أيضاً كتاب المحاورات للوقيان كاتم
 أسرار حاكم مصر يُستنتج منه ضعف اعتقاد الجمهور بمذهبهم القديم
 لأننا نراه يتجراً على السخرية من عبادتهم للبهائم والأباريق ومن
 حزنهم لموت العجل ابيس وتصديقهم بالسحر ونصبهم الموميات
 حذاءهم وهم على الطعام كأنها تشاركهم به ووضعها رهينة عند حاجتهم
 للاستقراض وحلقهم رؤوس شبانهم إلا ذوابة يرخونها فوق اذنهم
 المني كعادة ملوكهم في ثيبه من قبل الفين وخمسة سنة

(٤٣) لكن لم يتم هذا العهد حتى تواترت الدلائل على انتشار المسيحية
 في مصر وأعظم برهان على ذلك أننا نرى مطران الاسكندرية
 مضطراً لرسم ثلاثة أساقفة لمدن الداخلية. والعلماء الوثنيين أكثر
 اشتغالاً بالتشديد على المذهب الجديد ومن ردت اوريجين على
 اعتراضات أحدهم قلسوس نعلم بأنهم لم ينفوا صحة الحديث الانجيلي ولا
 المعجزات المنسوبة ليسوع لكنهم يعتبرونها من نوع السحر وينكرون

قَدَامَةُ التَّوْرَةِ زَاعِمِينَ بِأَنَّهَا مَنْقُولَةٌ عَنِ مَذْهَبِ الْمَصْرِيِّينَ الْقَدِيمِ
بِالتَّوْحِيدِ وَيَحْتَجُّونَ بِأَنَّ عُلَمَاءَ الْيَهُودِ لَا يَرُونَ بِالنَّبَوَاتِ مَا يُشِيرُ إِلَى
مَجِيءِ الْمَسِيحِ بِذَلِكَ الزَّمَانِ وَيَدَّعُونَ بِأَنَّ الْمَذْهَبَ الْمَسِيحِيَّ يَثْبُطُ
الْهَمَمَ عَنِ الْإِشْتِغَالِ بِالْعُلُومِ وَغُفْرَانَهُ لِلخَطَاةِ مِمَّا يَغْرِيهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي
(٤٤) فَلِذَلِكَ نَرَى بِأَنَّ رِدَّ أَوْرِيَجِينَ عَلَى هَذَا التَّفْرِيعِ يَنْحَصِرُ بِتَأْوِيلِهِ
لِلنَّبَوَاتِ وَبِاسْتِشْهَادِهِ بِسُمُو آدَابِ الْمَسِيحِيِّينَ وَتَمَسُّكِهِمْ بِهَذَا الدِّينِ
رَغْمًا عَمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْإِضْطِهَادِ وَالْعَذَابِ ، وَبِاسْتِنَادِهِ عَلَى النَّبَوَاتِ
يَبْرَهِنُ عَلَى أَنَّ الْإِخْتِلَافَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْمَسِيحِيِّينَ إِنَّمَا هُوَ عَلَى تَأْوِيلِهَا
فَقَطْ بَيْنَمَا قَلَسُوسٌ يَعْتَرِضُ عَلَى قِصَصِ التَّوْرَةِ بِرَمْتِهِ وَخَبَرَ خَلْقَةَ آدَمَ
فِيهَا عَلَى صُورَةِ إِلَهٍ لَا صُورَةَ لَهُ فَلَوْلَا أَنْ مَجْمَعُ نَيْقِيَا فِيهَا بَعْدَ يَضِلُّ
وَيَكْفُرُ مِنْ خَالَفَ تَأْوِيلَهُ مِنَ الْيَهُودِ لَمَّا آلَ الْجِدَالُ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ
إِلَى التَّلَاعُنِ وَالْعِدْوَانِ

(٤٥) وَمِنْ الْخَيْلِ الْمَصْرِيَّةِ الْمُنْكَرَةِ كَانَ تَلْفِيْقُ الْكُتُبِ لِأَغْرَاضِ الدِّينِ
كَالنَشِيدِ السِّيْلِيْنِيِّ الَّذِي هُوَ خِلَافُ النَشِيدِ الْوِثْنِيِّ قَبْلَهُ مِنْ هَذَا
الْإِسْمِ وَالْقَلِيمَنْتِيْنَا أَوْ إِقْرَارِ قَلَامَنْسِ أَسْقَفِ رُومَا وَكِلَاهُمَا تَزْوِيرٌ مَحْضٌ
مِنْ عَمَلِ يَهُودِيٍّ مُتَنَصِّرٍ وَلَا شَكَّ لِأَنَّهُ يَنْكُرُ الْوَهْيَةَ يَسُوعَ الَّتِي
كَانَ مَتَمَسِّكًا بِهَا قَلَامَنْسِ رُومَانُوسُ كُلِّ التَّمَسِّكِ

الفصل الخامس

سنة ١٨١ م الى ٢٤٩

قومودوس . پرتينكس . نيجر . سويروس . قارقلاً . مقرينوس
الاجابلوس . اسكندر . مقسيمينوس . بليينوس
آل غورديان . فيليب

قومودوس سنة ١٨١ م الى ١٩٤

- (١) ابتدا قومودوس حكمه بقتله اولاد قاسيوس الذين كان أبوه قد اکتفى بابعادهم وحلق رأسه إلا دائرةً بالوسط اقتداءً بكهنة مصر ليجوز له أن يحمل عصا أنوبيس بالاحتفالات الدينية
- (٢) و بزمانه كان الصعيد قد أمسى قليل السكان فقيراً لضعف التجارة مع البحر الاحمر بطريق اسوان وخراب بلاد النوبة
- (٣) لا بل ان تجارة الاسكندرية نفسها كانت قد خفت عن قبل من جراء مزاحمة مدينة قانوبوس على الضفة الغربية من النيل بالقرب من ابو قير لسهولة مدخلها للمراكب الصغيرة وخلوه من صخور

مدخل الاسكندرية فصار مصب النيل هناك يعرف بالمصب القانوني وهي المدينة التي انتقل اليها عدد من الكهنة قبل انتشار المسيحية والفلسفة الافلاطونية بالاسكندرية وفيها كرّس قومودوس هيكلًا لسيرايس وفيها كانت تصنع الجرار القانونية لحفظ أجزاء الجسد التي لا تصلح للتحنيط، رؤوسها من أربعة أشكال، شكل برأس بومه وشكل برأس كلب وشكل برأس أسد وشكل برأس انسان

(٤) ويرى اسم قومودوس بالكتابة الكهنوتية على معبد مدينة قونتريالاتوبوليس أيضًا وهو معبد قديم من بناء البطالسة وربما انه لم يكن آخر امبراطور نقش اسمه على معابد مصر القديمة إلا ان المعابد التي من بناء الاغريق قد انمحي أثرها ومعابد الصعيد التي عليها المعول بتاريخ مصر لم يتجدد شيء منها نظرًا لفقير الكهنة أولاً، وثانيًا لظهور ضعف يقين الجمهور القديم حتى أن القضاة أصبحوا لا يقيمون حكمًا للعقائد المصرية، وعدا ذلك لانتشار المسيحية مع ما فيها من اليقين بالبعث ويوم الحساب المطابق للدين القديم

(٥) أما الكهنة فكانوا لا يزالون يفتخرون بعلومهم ويحافظون على تقاليدهم وشرائعهم فكان كلٌّ منهم يحفظ عن ظهر قلبه الكتاب المختص بوظيفته من وصايا الإله طوط وهو مركزور اليونان وعطارد العرب وبتطوافاتهم الاحتفالية كان المنشد بينهم يتقدم الكل حاملًا

آلات الموسيقى ويليه المنجم حاملاً ساعة الرمل وغصن النخل المرموز به عن السنة وبعده يأتي المنشي حاملاً طوماراً وشاكلاً دواة ثم الحاجب حاملاً عصا الشريعة وآناء الضحية وأخيراً يكون الكاهن رئيس المعبد وكليم الآلهة فهؤلاء الأربعة أصناف من الكهنة كانوا يحفظون عن ظهر قلبهم ستة وثلاثين كتاباً من هذه القوانين وكان صنف خامس منهم أطباء يسمونهم بستوفوري يحفظون ستة من الكتب الباقية ومن وظائفهم حمل الصنم بهذا الطواف . ومجموع هذه الكتب كانت عندهم كالتوراة عند اليهود والإنجيل عند المسيحيين

(٦) ولكننا رغماً عن ذلك نراهم بهذا الزمان قد أصبحوا يلتمسون عذراً لعبادتهم الأصنام والبهائم بأنها بظاھرھا الحسي أكثر تأثيراً على عقول العامة وأما الباطن منها فسرّه في صدور العلماء وهو أن الألوهية الخالق غير منظور وغير محسوس وهذا عين ما نقله عنهم افلاطون بعد ما أتى هليوبوليس لدرس علومهم وما هيأ الأفكار لقبول المذهب الناصري أولاً ثم إلى مسخه مصرياً

(٧) وكان بالاسكندرية معبد مشاد من اربعائة سنة أي في عهد فيلادلفوس مكرساً لقيريس و بروزر بين الإلهتين الخرافيتين كدير للعذارى الطاهرات اللواتي كنّ بالأعياد يطفن شوارع المدينة حاملات سلة مقدّسة فشاع بهذا الزمان أن ما يحملنه ضمن السلة لم

يكن إلا الحية علة الخطية الأولى والموت وإن طهارتهن غير صحيحة
فسقط اعتبار هذا الدير

(٨) فبأنحلال عرى الدين القديم على هذا المنوال لم يبق للناس ما يجمع
كلتهم أو من إله يستجيب أدعيتهم فلما سمعوا بالإنجيل ومعناه
«البشرى» بادروا اليه وترجموا منه أحد الأناجيل الأربعة بصورة لم
تكن اليونان تعتبرها ولم تصل إلينا لنحكم بها لأنها ضاعت بعد
انتشار ترجمة الكتاب برمته للغة القبطية

(٩) ومن هذا الحين ابتدأ الانقسام والخلاف بين المسيحيين وذلك
لأن أمزجة القبط أهل الصعيد نسل عباد ثيه الورعين كانت غير
أمزجة الاغريق المرّحى نسل عباد قيريس و بروزر بين أو برسوفين
فاولئك تعبدوا وتقشفوا ونسكوا وقالوا حاشا للمسيح أن يُصاب بل
شبه ذلك للناظرين وأن الله رفعه اليه سالماً حياً وأولاء رأوا بالدين
الجديد ما يشحذ قريحتهم على الفلاسفة فقالوا بخلاف ما قاله القبط
وعُدَّ هذا الاختلاف بينهم كفرًا من الطرفين

(١٠) ومن ترجمة الإنجيل للغة القبطية كان ابتداء استعمال الحروف
اليونانية فيها فصارت من الشمال لليمين خلافاً لباقي لغات المشرق
إلا أن القبط زادوا على الحروف اليونانية ست صور من لغتهم
فصارت كلها ثلاثين حرفاً وتلك الصور التي لم يكن لها مخارج يونانية
هي α β γ δ ϵ أي ش ف ك ح خ ص ومن ذاك

الوقت لم يعد استعمال للكتابة الكهنوتية سوى بالمعابد الوثنية
 (١١) وبهذا الزمان كان الفيلسوف المسيحي بنطانوس الأثيني الذي
 حذى حذو اثيناغوروس وأسس مدرسة الفقه المسيحي بالاسكندرية
 التي خرج منها بعده بهذا القرن مشاهير العلماء المسيحيين. إنما إذ
 تكاثر عدد المنتصرين بأواخر القرن التالي وجمع أخلاط الناس صار
 العلم بنظر هذا الجمهور كالكفر والزندقة، والجهالة جلباب المؤمنين
 وكان بنطانوس أول مبشرٍ بالحبشة بالمسيح ويقال بأنه أحضر معه
 للاسكندرية نسخة عبرية من انجيل الحواري متى عثر عليها عند
 أحد اليهود المنتصرين الذين عرفهم بأسفاره لكنها لا أثر لها الآن
 فالموجود من ترجمتها اليونانية لا سبيل للانتقاد على صحته

(١٢) ومن معاصري هذا الاستاذ كان العالم اقليمس الاسكندري
 وقد خلفه برئاسة المدرسة المذكورة وربما انه كان أول من فسر
 الكتابة الكهنوتية بالكلام اليوناني بوجه يقرب من الاكتشافات
 الحديثة. وله تأليف كثيرة لا يأنف فيها من الاستشهاد بأقوال
 افلاطون وهذا الصنف من العلماء هو ما تسميه الافرنج اقلتيق
 والعرب التصوف إذ إن الاعتبار فيه إلى حسن السلوك وصفاء
 الجنان وحصر الجدل بالأعمال لا الأقوال لأن العمل هو نتيجة
 العقل والجوهر أما القول فنتيجة الحس والعرض

برتينكس سنة ١٩٤ م ونيجر سنة ١٩٤ م الى ١٩٦ م

(١٣) وقتل قومودوس خلفه برتينكس على كرسي روما ولا أثر له في

مصر إلا بالنقود لأنه لم يعيش سوى ثلاثة أشهر

(١٤) وكان قومودوس قد استعمل قائداً يدعى بشينيوس نيجراي

الأسود المحافظة على الصعيد من تعدي العربان الذين كانوا
يسمونهم شرقيين^(١) وكان هذا الرجل عاقلاً حازماً ساهراً على القيام

بوظيفته يشارك أنفاره بأعمالهم الزراعية ويمنعهم من شرب المسكرات
حتى انه لما حامية اسوان سأله يوماً أن يمدها بشيء من الخمر أجابها

بأن ماء النيل يكفيها وكذلك لما كانت موقعة مع العربان انهزمت
فيها جنوده وشكت من عدم وجود الخمر عندها قال لها مه فان

العرب لم يكن لهم خمر أيضاً

(١٥) فلما مات برتينكس كان الاسود والياً على سورية فرفض مبايعة

سبتيموس سويروس وأعلن نفسه امبراطوراً وبايعته جنود مصر
فشد جنوده ومشى بها لمحاربة خصمه سويروس في بانونيا من بلاد

النمسا الحديثة فالتقى الجيشان في ميزيا على الساحل الجنوبي من بحر
مرمر وقتل الاسود في مدينة قيزيقس التي العرب أخرجتها سنة ٦٧٥

م ومحت أثرها وهي مدينة قديمة كانت على لسان من بحر مرمر

(١) سرازن بلغات أوروبا لا تينيته سرازن

سبتييموس سويروس سنة ١٩٦ م الى ٢١١

(١٦) ولما مات الاسود أتى سويروس زائراً مصر واهرامها وثيابه ومعابدها وضحك من عبادة سيرابيس والبهائم فيها ومنح الاسكندرية استقلالها الاداري لأنه لم يعد يحسب للإغريق حساباً يقلقه بعد انكسار شوكتهم وبني فيها معبداً للإلهة الارض رحيا اليونان واوپس الرومان وحمماً سماه باسمه

(١٧) وبهذا الزمان هاجر الاستاذ بروقلوس من نوقراتيس لعدم الراحة فيها من تقلب الأحكام قاصداً اثينا حيث أقام مدرسته وكان يأخذ من الطلبة مائة درهم أي نحو أربع ليرات انكليزية من عملتنا الدارجة مرة واحدة على تعليمه وبانتقال هذا الاستاذ من البلد المذكور مسقط رأس اثينايس ويوليوس بولفس أقل نجم العلوم فيها

(١٨) والمؤرخ الوثني اسبارطيانوس يقول بأن سويروس حرّم على الناس مذاهب اليهود والمسيحيين وأما المؤرخ المسيحي عوزيبوس فيقول بأن اضطهاد المسيحيين بالسنة العاشرة من هذا العهد قد كان فظيماً جداً في كل انحاء المملكة وفيها استشهد بالاسكندرية ليونيدس تاركاً سبعة أولاد أكبرهم كان اوريجين الشهير فيما بعد. إذ ان الله سبحانه سخر له امرأة غنية ربه وعلمته فنشأ نابغة زمانه عالماً باللغة العبرية التي لم يكن يوناني يلتفت اليها وتمكن من قراءة

التوراة باعتمها الأصلية وذلك في مدرسة اقليمس

ومهما كان من الحديثين فاننا نعلم بأن الوثنيين لم يكرهوا اليهود
والمسيحيين عن غيرة دينية بل مجرداً عن أمر سياسي كانوا يخافون
معه من عصبية اليهود ودعوى المسيحية للمساواة بين الناس

(١٩) فقال حينئذ ترتوليان القرطاجني ان الامبراطور يرضى من عبادة
المصريين للبهائم ويغضب من عبادتهم لاله غير منظور. ولما أغلقت
مدرسة الاسكندرية ظل اوريجين يعظ بالدين سرّاً إلى أن
انفجرت الازمة فعُين رئيساً للمدرسة بأمر المطران ديميتريوس ثم
اختلف معه واستعفى من وظيفته

(٢٠) فخلفه بالمدرسة الاستاذ هيراقلاس وبزمانه ابتداء اقدم الاجانب
للاسكندرية لدرس هذا الدين ومن جملتهم كان يوليوس الافريقي
آتياً من فلسطين ليأخذ دينه عن الاسكندرية بدلاً من الجليل
وانطاكية وهو الذي وضع تاريخه المسيحي مستنداً فيه على تاريخ
مصر لما نيطو وكلاهما مفقود الآن ولولا نقل عوزيوس عن الافريقي
لما عرفنا عنه شيئاً ولا عن مانيطو

(٢١) وبرهاناً على فقر مصر بهذا الزمان هو أن النقود التي ضربت
بالاسكندرية بعهد سويروس كانت كلها من النحاس أو مطلية فضة

قراقلا سنة ٢١١ م الى ٢١٧

(٢٢) ولما مات سويروس خلفه ابنه قراقلاً وجيكا لكن بوصولهما لروما قتل قراقلاً أخاه واستبد بالملك وحده وكان قصيراً ضئيلاً وكان اليونان بالاسكندرية قد عرفوا سوء خلقه وبلغه بأنهم قد هجوه فلما كان بانطاكية بعث يخبر أهل الاسكندرية بأنه سيأتي لزيارتهم وليستشير الإله سيرابيس بأموره

(٢٣) فاستعد القوم لاستقباله باللياقة والاكرام وهيأوا الهياكل لقرايينه وبوصوله للبلد دخلها بين المشاعيل والمصاييح والزينة والأنغام الموسيقية والروائح العطرية والزهور المثورة وبعد أخذه الراحة قدّم ذبيحته بمعبد سيرابيس وزار ضريح الاسكندر وخلع عليه منطقتة الملوكية وزناره المحليّ بالجواهر وخواتمه الثمينة فعجب الناس من خشوعه وتقواه وتعشموا خيراً

(٢٤) وإذ كانت المدينة غاصة بالمتفرجين وزاهيةً بالملاعب والأفراح ليلاً ونهاراً أمر الامبراطور بأن يجمعوا له شبان الاغريق بفسحة في ظاهر البلد ليستعرضهم وينتخب منهم فيلقاً وطنياً لها، فخرجت الوف منهم واصطفت لاستعراضه يحفهم جمهور من أقارب وأصدقاء أتين للفرح معهم بهذا الامتياز فمشى الامبراطور بين الصفوف والجموع تهتف له بالنصر والبقاء بينما جنوده الرومانية تحيط بهؤلاء الشبان

عن بعيد ثم بدأت تتقدم رويداً رويداً إلى أن دنت منهم وأتمت الحلقة عليهم فانسل قراقلاً من بينهم وباعطائه اشارة للجند صوبوا حرابهم نحوهم وصدموهم صدمة من لا يخشى قوداً وأعملوا سيوفهم بهم حتى صبغ الدم وجه الشاطيء وامتلاً قعر البحر من الفارين وعاد قراقلاً لانطاكية مشتقياً من اغريق الاسكندرية . ولكونهم عدلوه على قتله أخيه وضع سيفه الذي قتل به أخاه قرباناً على هيكل سيراييس وأمر بتسكير مراسح العابهم وقطع عنهم هدية الطعام المعينة لهم من الخراج ومدت سوراً وسط المدينة يقطعها نصفين لزيادة تحصينها منهم إذ أصبحوا هم الأعداء والقبط الأصدقاء ومن أعضاء مجلس روما يدين الامبراطور بدينهم ويشيد معبداً لإلهتهم ايزيس في وسط روما

مقرينوس سنة ٢١٧ م الى ٢١٨

والاجابلوس سنة ٢١٨ م الى ٢٢٢

(٢٥) ثم إذ كان قراقلاً زاحفاً ضد الأكراد قتله أحد الجند ، يقال بدسياسة من رئيس جنوده مقرينوس ، ففأعلن هذا نفسه حينئذ امبراطوراً وطار الخبر لمصر فضربت تقودها باسمه ولكنه بعد شهرين انتقض عليه الجند وقتله ، ويقال بأن صاعقة هبطت عند

موت قراقلا على هيكل سيرايبس ولم تضر منه شيئاً سوى سيف
قراقلا الذي كان هناك فاذا به

(٢٦) ولما مات مقرينوس بايعت جنود سورية باسيانوس بن قراقلا
وأخذت له بيعة مصر وأخذ هو لقب الاجابولوس أي كاهن معبد إله
الشمس الفينيقي الأجل وحكم في روما إلى أن انتقض عليه الجند
وقتل سنة ٢٢٢ وفي مدته أفرغت أنابر روما من خراج مصر المخزن
فيها وتعطل ما كان يراد من اقتصاد سلفه

اسكندر سنة ٢٢٢ م الى ٢٣٥

(٢٧) ولما مات الاجابولوس غير مأسوف عليه، خلفه اسكندر سويروس
وكان شاباً لطيفاً حليماً فاستهان به اليونان ولقبوه بالسوري والكاهن
والخاخام

(٢٨) وبهذا الزمان اشتهر الاستاذ الافلاطوني عمونيوس سقاس
بغزارة عامه وعقله وصار تعليمه يُعرف بالافلاطونية الجديدة لكنه لم
يترك لنا من كلامه شيئاً نحكم به سوى شهادة تلامذته بلوتينوس
وحيرينوس واوريجين الافلاطوني ولونجينوس الذين أخذوا عنه
أجمل الصفات. ومن مدارسهم خرج فيما بعد اولئك اليهود
الافلاطينيون الذين كادوا أن يدعوا مسيحيين لولا ان مجمع نيقيا
يلعن اليهود وينفّرهم من الانتساب لهذا المذهب

(٢٩) وأفضل علماء هذا الوقت كان اوريجين المسيحي السالف الذكر

لكن لانكاره العذاب المؤبد والصلوة ليسوع أغضب أسقفه وتخلّى

عن رئاسة المدرسة لتلميذه هيراقلاص وهاجر للقيصرية سنة ٢٣١

ومنها انتقل إلى صور حيث أكرمه السوريون وكان يدحض

مذهب مرقيون الذي اختلط بالقرن السادس بالمذهب المانوي

وهو أن إله الخير نور وإله الشر ظلام وفيه يقول المتنبى ماجناً :

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أن المانوية تكذب

(٣٠) وبعد قليل مات المطران وانتخب هيراقلاص لهذا المنصب وهو

لما رأى ثقل الوظيفة من عظم انتشار المسيحية في مصر باشر برسم

عشرين أسقفاً جديداً لمدن البلاد فصار هو أكبرهم فلقبوه بالبابا

أي الأب الأكبر

(٣١) واشتهر بهذا الزمان أيضاً من علماء الوثنيين هيروديان صاحب

تاريخ روما من عهد مارقوس اوريليوس وهو زمان قلت مؤرخوه .

ولوالده ابولونيوس قبله تأليف عديدة بعلم المنطق

غورديان سنة ٢٣٨ م الى ٢٤٣

(٣٢) ومات اسكندر سويروس تاركاً ايتاليا عرضة لمطامع القواد فدام

التنازع بينهم لسنة ٢٣٨ حيث استقر الامر لغورديان بيوس حفيد

غورديان حاكم قرطاجنه . فترى تقود الاسكندرية للسنة ٢٣٧ باسم

مقسیمین وباسم ابنه مقسیموس وباسم اثنين من آل غوردیان
لسنة ٢٣٨ وباسم مقسیمین ومقسیموس وبلینوس وبونینوس
نیوس وغوردیان لسنة ٢٣٩

(٣٣) ولأن الفرس رأوا تضعضع المملكة الرومانية بهذا الزمان ابتدأوا
بالتسطي على أملاكها الشرقية فزحف غوردیان ضدهم موقنا بالنصر
حسبما تعوده الرومان من قبل لكننا فاته بأن جنوده كأخصامه كانوا
غير اولئك الذين عرفناهم قديمًا ، فلاقى من جنود الفرس والعرب
والسوريين أنصارهم المجر بين ما لم يكن بالحسبان فانهم من وجههم
ويقال بأن قائد جيشه فيلبوس قتله . ولم يمضِ زمان بعد ذلك حتى
خرجت مصر وباقي البلاد الشرقية من يد الرومان ليد الفرس
وكان الفيلسوف بلوتينوس قد ترك مدرسة الاسكندرية ذاهبًا بجمعة
الجيش الروماني ليدخل بلاد فارس ويكتشف على علومهم لكنه لما
رأى فشل الرومان نجى بنفسه إلى انطاكية بعد مشقة عظيمة ومنها
انتقل إلى روما حيث أخذ بتدريس الفاسفة الافلاطونية

فيلبوس سنة ٢٤٣ م الى ٣٤٩

(٣٤) وآل الحكم إلى فيلبوس فضربت الاسكندرية تقودها باسمه
وكان أصله عربيًا من بصره ويذهب البعض إلى أنه كان مسيحيًا
ولما لم تطعه أهل الدانوب أرسل عليهم القائد ديقوس ، لكن هذا

انتقض عليه سنة ٢٤٩ وأعلن نفسه امبراطوراً فمشی فيلبوس ضده
وتلاقيا بالقرب من وبيرونا على بعد اثنين وسبعين ميلاً من وينيس
فانكسر فيلبوس وانتقض عليه جنده فذبجوه واستقر الملك لخصمه

الفصل السادس

سنة ٢٤٩ م الى ٣٢٣

ديقيوس . غالوس . واليريان . غليانوس (عصيان)
 قلوديوس . اوريليان (عصيان) طاقيطوس . پروبوس
 (عصيان) قاروس . ديوقليتيان . (عصيان الكبير)
 غاليريوس . ليقينيوس

ديقيوس سنة ٢٤٩ م الى ٢٥١

- (١) وكان اضطهاد المسيحيين مستمرًا لهذا الزمان لا لغيره دينية بل كما قلنا قبلاً لغرض سياسي وهو الخوف من أن المسيحية بدعواها إلى المساواة تنقض سيادة الرومان والاغريق على الشرقيين فكانت بنظرهم مزعزعةً للأحكام ومحركة للعصيان كالكومونيسم بهذا الزمان
- (٢) فلما تواترت السعيات بهم لحاكم الاسكندرية اميليانوس بحجة إفسادهم أخلاق المصريين أخذ باضطهادهم فهرب منهم كثيرون للصحراء وطور سيناء حيث صاروا غنيمة باردة للعربان ولكن

أكثرهم أنكروا دينهم ليتخلصوا من العذاب وكان من جملة
 الفارين ديونيسيوس أسقف الاسكندرية . ثم ان اميليانوس مات
 فعاد الأسقف لكروسيه ولما ذاك الجمهور الذي أخفى دينه أراد
 الرجوع للكنيسة وقبل الأسقف توبتهم ، اعترض عليه بعض
 المسيحيين البعيدين عن الاسكندرية وجورحا كها وشكوه لأسقف
 روما فحشد هذا أساقفة المئة ليفتوا بالخلاف فحكوا لديونيسيوس
 مصوبين رأيه

(٣) وكان ديونيسيوس خلفاً لهيراقلاص برئاسة المدرسة أولاً ثم
 بالاسقفية ومن كتبه العديدة نفهم مذهبه بالتثليث رداً على من
 ذهب إلى أن الأقانيم هي ثمانية ومن قال انها ثلاثون وعلى مذهب
 بولس أسقف ساموسطا على الفرات بأن الكلمة والروح القدس
 هما صفتان لفعل صادر من الأزلي لا اقنومان مميزان عنه . ومذهب
 سايلوريوس أسقف بطلميس بالقرب من القيروان بأن الإله واحد
 أحد وهو نفسه الظاهر بصورة يسوع .

واليريان سنة ٢٥٣ م الى ٢٦٠

(٤) وخلف ديقيوس غالوس وهذا خلفه اميليوست اميليانوس . ثم انتقل
 الملك إلى واليريان سنة ٢٥٣ لكن تمادي هذه الانقلابات السياسية
 من عهد سويروس للآن معما نتج منها من القلق والاضطهاد لم

يكن ليترك غير تأثير سيء على حالة مصر الاقتصادية فاننا نرى
حركة تجارتها وصناعتها قد توقفت وعمالها افتقرت وجاعت واجتحف
الوباء نصف سكانها

(٥) وكان القسم الشرقي من مملكة الرومان متروكاً بالسنين الاخيرة
لعهد اوديناطوس السنوري ملك تدمر الذي بحكمته وحسن تدبيره
رفع شطره بمدة قصيرة لدرجة الممالك العظمى ووقى البلاد من تعدي
الفرس، فلما آل الحكم إلى غليانوس بن والبريان وكان سنهما
بلذاته وشهوته لم يرَ بدءاً من اتخاذ اوديناطوس شريكاً له في الملك

(٦) لاسيما وان الخبر بموت والبريان على يد سابور ملك الفرس
كان قد زرع أركان المملكة وصارت كل ولاية تباع حاكماً.
فجنود سورية بايعت قائدها مقرينانوس امبراطوراً على المشرق
وتبعها جنود مصر، وكان شيخاً كبير السن فأشرك ابنه مقرينانوس
الأصغر وقتيوس معه بالملك. وضربت الاسكندرية نقودها باسمهم
مدة سنتين من الزمان لكنهم قتلوا ثلاثتهم لما أتى دوميتيانوس
قائداً جيوش اوريلينوس امبراطور البلقان وطرق سورية بمساعدة
جيوش اوديناطوس

غليانوس سنة ٢٦٠ م الى ٢٦٨

(٧) وعند موت والبريان خلفه ابنه غليانوس على كرسي روما. وكان

حينئذ حاكم الاسكندرية اميليانوس، فيوماً ما ضربت الجنود خادماً له يونانياً لأنه قال لهم بأن حذآءه أحسن من أحتيتهم فتجمهر الاغريق حوالى قصره يشتكون من تعدي الجند ورشقوا نوافذه بالحجارة لكنه لم يعبأ بهم بل استدعى الجند لكفهم فشمت الجند بالاغريق وصاح باسم الحاكم امبراطوراً

(٨) وبابعته بقية جنود مصر فأعلن نفسه امبراطوراً باسم اسكندر وأظهر حزمًا فائقًا بسياسة البلاد وأراح ثيبه من تسطي العربان وقطع الخراج عن روما لكن بعد قليل حضر القائد تيودوتوس بجنود غليانوس وحاصره بالبروخيوم إلى أن ظفر به فأماته خنقًا

(٩) وكان هذا الحصار طويلاً بذل باثنائه رؤساء المسيحيين وسعهم لتخفيف بلايا الحرب فعلى طلبهم أذن تيودوتوس لغير المحاربين بالخروج من البروخيوم وكان أحدهم عوزيبوس الذي صار فيما بعد أسقفًا على انطاكية، يتجول بالحنادق لاغاثة الجرحى، وأحدهم أناطوليوس يسعى داخل الحصن بالصلح حقناً للدماء

(١٠) وكان واليريان قد أظهر أولاً رفقته بالمسيحيين إلى أن لوته حماقة الاغريق عن عزمه فعاد إلى اضطهادهم، أما غليانوس فانه لشعوره بضعف المملكة حينئذ ونظره كثرة المسيحيين والاعتبار الذي لهم بالبلاد رأى الترفق بهم أولى فأكرم أساقفتهم كرؤساء دينيين

محترمين من الدولة فتحسنت إذ ذاك حالة المسيحيين لدرجة لم تعهد
من قبل

(١١) وعاد الأسقف ديونيسيوس لكرسيه فرأى الاسكندرية كالرجمه

من أثر الحصار والطرقات مملوءة من جثث ضحايا الجوع والوباء
رغمًا عن اهتمام المسيحيين بدفن الموتى وعبادة المصابين غير مبالين
بالعدوى التي ذهبت بكثيرين منهم ضحية مروءتهم وتقواهم

(١٢) ولقصر مدة مقرينوس واميليانوس واضطراب الاسكندرية لم

تضرب بها تقود باسم أحد منهما بل ظلت باسم غليانوس كشريك
والده أولاً ثم كامبراطور واوديناطوس شريكاً له

(١٣) وبإثناء هذه الحوادث تفتقرت مدارس الاسكندرية من

مسيحية وغيرها علماء وعملاً ما عدا مدرسة أناطوليوس المذكور
بحصار البروخيوم الذي كان يعيل إلى فلسفة اريسطو وله كتابات
في الرياضيات وميعاد الفصح وصار فيما بعد أسقفًا على انطاكية بعد
عوزيبوس فانها كانت محط هذه الفلسفة بينما عمونيوس الوثني كان
يفضل فلسفة افلاطون (١)

(١٤) وبهذا الوقت كتب نيقوس أحد أساقفة مصر ردّه على قول

الزاعمين بأن لقصص التوراة رموزاً روحانية واستشهد بكتاب الوحي

(١) والفرق بينهما ان اريسطو كان دهريةً وافلاطون الهيئياً

فأجابه رئيس الأساقفة ديونيسيوس بأن كتاب الوحي المنسوب إلى الحواري يوحنا ليس له فلا يُستشهد به، على أن كثيرين يعزونه إلى قيرنطوس الغنوسطيقي^(١) لما فيه من المشابهة لأقواله وتوفي ديونيسيوس سنة ٢٦٥ ولكن سنة لم يحضر مجمع انطاكية الذي حكم على بولس من ساموسطه بالكفر

(١٥) ومن عامآ هذا الزمان الوثنيين كان الاستاذ بورفيري الافلاطوني تلميذ بلوتينوس وخلف عمونينوس له تاريخ مفيد جداً عن زمان البطالسة، وغيره بالفلسفة المصرية وكتب طوط ونفاستها وكتاب في الطريق المؤدي للسعادة الحقيقية

(١٦) ولما كان اوديناطوس بقيد الحياة كانت هييته ساطيةً على الفرس أعداء الرومان لكنه إذ قتل غيلة مع ابنه هيرودوس سنة ٢٦٦ واستامت أرملة زينويا زمام الملك فقدت الملكة حسن تدبيره ورأيه فلم تستقم الامور بين الملكة وغليانوس ولما أرسل جنوده ضدها هزمتهم، وإذ مات هو سنة ٢٦٨ زحفت على مصر مدعيةً انها من نسل قلاو فطرا وان البلاد إرث لها ولولديها هيرينوس وتيمولاوس

(١٧) فكان أمير جيشها زبده وانضم اليه القائد المصري تيموجين

(١) غنوسطيقي هو ما نسميه « العارف بالله » وضده اغنوسطيقي

ومعها من العرب والسوريين سبعون ألفاً فلاقاهم القائد الروماني
بروباتوس بخمسين ألف وهزمهم لكنه باثناء القتال رأى بعض
جنوده تزد فظن بأنها تهرب من العدو ولعظم تأثره من جباتها
قتل نفسه

قلوديوس سنة ٢٦٨ م الى ٢٧٠

(١٨) فانقادت مصر حينئذٍ لرأي روما وبايعت قلوديوس وضربت
الاسكندرية نقودها باسمه

زينوبيا سنة ٢٧٠

(١٩) ومات قلوديوس سنة ٢٧٠ وخلفه أخوه قنطيوس لكن هذا
مات أيضاً بعد سبعة عشر يوماً فاغتتمت زينوبيا هذه الفرصة
وزحفت ثانية على مصر وامتلكتها فضربت الاسكندرية النقود
باسمها وازدانت تدمر بسلب مصر ولم تزل ترى فيها ثمانية أساطين
من رخام مصر السماقي طول كل منها ثلاثون قدماً كانت قديماً قاعة
امام بابي معبدها الكبير

(٢٠) وكانت زينوبيا امرأة جميلة المنظر سمراء عينااء فنواء الانف لها
صوت كصوت الرجال تقية العرض لا كنسيتها قلاوفطرا وكانت
تتكلم بلغة الرومان ولغة الاغريق التي كانت لغة دولتها الرسمية ولغة

القبط عدا لغتها السريانية، وكانت ببعيشتها وبلاطها تجمع بين عظمة ملوك الفرس واقتصاد البداوة. فمثلها امرأة ومثل حزمها جعل الناس بذلك الزمان أن يعجبوا من رجل كغليانوس ضعيف العزم وامرأة تسوس نصف المملكة بعزم وحزم الأبطال

(٢١) وجعلت زينوبيا انطاكية وباميرا عاصمتي مملكتها، احداها لمقام الصيف والأخرى لمقام الشتاء وتركت مصر ولاية تابعة لمملكتها وكان دينها كلغتها سوريا صائبًا، فان اسم زوجها معناه بغية الالهة ادونيظ واسم ابنها وبعلاطوس معناه بغية الإله بعل، وبما أن الكثير من جيشها كان من العرب افتخرت بانتصارهم عربان الصعيد وأصبحت أصعب انقياداً للاغريق وأعلى أنفًا

اوريليان سنة ٢٧٠ م الى ٢٧٥

(٢٢) لكن بجلوس اوريليان على كرسي روما نراه أولاً راضياً أن تكون زينوبيا شريكة له بالملك فضربت الاسكندرية تقودها بصورته من جهة وصورتها من الجهة الأخرى لكنه ما لبث قليلاً حتى اختلف معها فخاربهما بحمص وأسرها وحملها إلى روما مكرماً مشواها إلى أن ماتت بعد أن كانت الملكة أربع سنين في تدمر وبضع أشهر في مصر

(٢٣) وترك اوريليان مصر لحكم ابنها وبعلاطوس وضربت

الاسكندرية تقودها بتلك السنة بصورة اوريليان من جهة لأول سنة من جلوسه وصورة وبعلاطوس من الجهة الأخرى للسنة الرابعة من ملكه كانه يعد سني ملكه من موت أبيه . أما اسمه عند اليونان فهو أثينودوروس والتاريخ لا يذكر لنا قبل الآن ولداً بهذا الاسم لاوديناطوس

(٢٤) ولما كانت سنة ٢٧١ استبد وبعلاطوس بالملك وأسقط اسم اوريليان من نقود مصر وأخذ لقب اغسطوس فكان ذلك سبباً لسقوطه وموته وبه انقرض نسل زينويا بالمشرق

(٢٥) وعادت مصر لحكم اوريليان لكنها لما كانت قد اعتادت على العصيان لم ترضخ لسلطانه طويلاً لا سيما وأن اليونان كانوا قد قتلوا وذلوا والمصريين والعرب قد زادوا وعزوا بانتصار زينويا فأنفوا أن يحكمهم غريب عنهم فبايعوا رجلاً من سلفكية يُسمى فرموس على الأمانة وهو اتكالا على قوم كان قد مضى عليهم ستائة سنة بالعبودية والهوان طمع أن ينال بهم سلطنة الاسكندرية

(٢٦) وكان فرموس رجلاً قوي الجأش هماماً عظيم الثروة من وراء تجارة واسعة مع الهند وصناعة الورق ، وداره في سلفكية من أجل دور ذلك الزمان مزينة كواتها بالزجاج الملون المحكم التركيب بالحمر إلا أنه كان فظاً جافياً غليظاً وكانت قوته بعربان الصعيد والبدو أنصار زينويا فجعل عاصمته قبطوس ولما جاء أوريليان يحاربه خاض

المعمعة مع رجاله لكنه أخذ أسيراً وتفرقت جنوده فأمر اوريليان بتعذيبه وقله ، ولأن روما كانت بوجل لثلاث يفتوها خراج مصر من الحبوب بعث لها اوريليان بشار انتصاره بسرعة لتطمأن

(٢٧) ويظهر من تاريخ الرومان بأن اوريليان قتل قائداً في مصر يسمى دوميتيانوس أما وجود البعض من نقود الاسكندرية باسم دوميتيانوس للسنة الثالثة من ملكه فلا علم لنا من هو إلا أن يكون رجلاً آخر بهذا الاسم لاسيما وان كتابة هذه النقود هي بالحرف اللاتيني الذي لم يكن دارجاً بالاسكندرية بذاك الزمان ، والنقود التي باسم اوريليان ترى غير منقطعة سنة بعد سنة من موت قلوديوس لسنة ٢٧٥ وكلها من النحاس تبرهن عن افتقار البلاد التي كانت روما لا تنفك عن استنزاف ثروتها

(٢٨) وأقام اوريليان القائد پروبوس حاكماً على مصر وكان رجلاً حازماً هابه الافريقيون بالقيروان والعرب والسوريون بتدمر وبأوان السلم كان يشغل جنوده بترميم الترع والقناطر والمعابد . وفي مدة ولايته زاد اوريليان نصف السدس بخراج الحبوب عدا عما زاده بخراج الزجاج والقرطاس والكتان حتى انه اضطر لزيادة المراكب لنقلها الى روما

(٢٩) أما المسيحيون فكانوا بهذا الزمان بأتم الراحة والطمأن حتى ان البطرک نيروتجاسر على بناء كنيسة بالاسكندرية باسم القديسة

مريم وربما انها كانت أول كنيسة رسمية بُنيت في مصر وكانت الصلوة فيها كما في سائر البلاد لذلك الحين باللغة اليونانية إلى أن افترق القبط عن اليونان وصاروا يصلون بلغتهم

(٣٠) ومات اوريليان ولم يوص فقامت أرملته بإدارة المملكة بصورة وقتية لأن القانون الروماني عسكري لا يسمح بالملك للنساء. أما الاسكندرية فإنها ضربت حينئذ نقودها باسم الامبراطورة سويرينا

پروبوس سنة ٢٧٦ م الى ٢٨٣

(٣١) وفي سنة ٢٧٦ لما انتخبت روما تاسيطوس امبراطوراً ضربت

الاسكندرية النقود باسمه على ستة أشهر وكان هذا حد ذكره بها

(٣٢) ومات تاسيطوس وخلفه أخوه فلوريان وبايعته روما، أما مصر فإنها

كانت تريد حاكمها پروبوس امبراطوراً وهو لا يرضى إلى أن

وهو يستعرض الجند في أحد الأيام خطف بعضهم جبة حمراء عن

صنم هناك ورمها على ظهر پروبوس فحياه الجند بالامبراطورية

ثم بثوا دعوته في اسيا الصغرى وسورية وإيطاليا فبايعته جنود هذه

البلاد أيضاً وقتل فلوريان وبعد قليل مشى پروبوس بجيشه لبلاد

الغال وجرمانيا لتوطيد السلم

(٣٣) لكنه بعد سنة أو سنتين إذ بلغه تعدي العربان على الصعيد

واحتلالهم البطلمية عاصمة أرض ثيبه عاد إلى مصر فردّهم ونكّل بهم

وبإيابه إلى روما دخلها بصفة غازٍ برهاناً على أن انتصاره كان أمراً
خطيراً

(٣٤) وكان اوريليان قد أقام أيضاً القائد ساطورنينوس محافظاً على
الحدود الشرقية محرماً عليه دخول أرض مصر لكن بروبوس
لانهما كه بأطراف المملكة دعاه لولاية مصر وكان رجلاً شريفاً
للغاية شهيراً بخدمته للمملكة في اسبانيا والغال وافريقية فدخل
الاسكندرية بجيش كبير فطاش اليونان من رؤية موكبه وسلموا
عليه امبراطوراً باسم اغسطوس أما هو فأنكر ذلك، ولقطع الاسباب
رحل عنهم بجنوده إلى فلسطين لكن إذ بلغه انتشار الخبر ووقوعه
تحت الشبهة خاف أن يغدر به فأعلن نفسه امبراطوراً ثم بعد قليل
طرقه جنود بروبوس فوقع اسيراً ومات خنقاً خلافاً لقصد
بروبوس ورغبته

(٣٥) ولما توفي بروبوس سنة ٢٨٣ قام بالسلطة قاروس وإبنه
نوميرانوس وقارينوس وأثرهم الوحيد في مصر كان النقود المضروبة
باسمائهم بالاسكندرية وبعض نقود هذا الزمان كان أيضاً باسم
فيلق تراجان الثاني المصري الذي كان مقيماً على الدوام بالاسكندرية
وكانت له الرخصة بضرب ما يلزمه من النقود لحاجته فكان يضربها
صحيحة بينما نقود البلاد كانت كلها مغشوشة

عصيان وفوضى سنة ٢٨٣ م الى سنة ٢٨٥

ديوقليتيان سنة ٢٨٥ م الى ٣٠٥

(٣٦) ثم آل الحكم إلى ديوقليتيان سنة ٢٨٥ لكن سنة ٢٨٨ خلع الصعيد طاعته وبايع أخاؤس امبراطوراً شرقياً. فبعث ديوقليتيان القائد غاليريوس ضده ولما لم يقدر على تطويع العصاة حضر ديوقليتيان بنفسه سنة ٢٩٢ فدوخهم ولحقهم إلى قبطوس وبوسيريس فهدمهما

(٣٧) ولما بلغ حدود مصر الجنوبية رأى انه من العيب دوام التثبيت بالسودان ، والخراج منها لا يفي بنفقة جبايته ، فصالح البلاد التي بين الشلال الأول والثاني تاركاً لهم ما كان من أرض النوبة على سبعين ميلاً من اسوان ومتعهداً بامدادهم بمبلغ سنوي ماداموا محافظين مع جيرانهم عربان الصعيد على السلم . ثم أحكم تحصين حدوده الجديدة بالفيلينية ولم يزل أثر سوره بطرف الحقول من حافة النيل الشرقية شمالي الشلال ظاهراً للآن

(٣٨) لكن لسبب ضعف العنصر اليوناني بالبلاد بذاك الزمان مع ازدياد حمية المصريين وكرههم للدولة لم تلبث الاسكندرية إلا قليلاً حتى هي أيضاً بايعت أخاؤس فاضطر ديوقليتيان أن يعود ثانية

لمصر وامتنعت عنه الاسكندرية فحاصرها ثمانية أشهر ثم دخلها
وقبض على اخلوس وقتله واحترق قسم كبير من المدينة وبدخوله
للإسكندرية سكم فيه فرسه فتفاهل من ذلك وظن أنه يفدي نفسه
باستعمال الرحمة فحرّم على جنوده القتل والسلب وأعطى الناس
الأمان فشكروه على إحسانه ثم نصبوا له ولفرسه تمثالاً من القلز
على العمود المعروف بعمود بومبي بساحة معبد سيرابيس وكتبوا
على قاعدته ما نقرأه الآن « إلى الامبراطور المعظم راحم
الإسكندرية ديوقليتيان المنصور » أما التمثال فلم يبق له أثر الآن

(٣٩) ولما كان تمادي العصيان قد طال ورأى ديوقليتيان بأن نفقات
الحرب لم تعجز المصريين ظن بأن لهم سرّاً بتحويل المعادن
الخشيسة إلى ذهب وفضة فأمر بجمع كتب السحر والكيمياء التي
عندهم وأحرقها . إنما حقيقة الأمر هي أن اليأس وحده كان السرفي
هذا الجلد الطويل وهو الذي أدّى أخيراً إلى خراب البلاد التام
من توقف التجارة بالنيل وتعطل الترع والزراعة والصناعة لحدّ لم
تكن مصر تعرفه من زمان احتلال الفرس لآسيا وإنما كانت
بالسنين الستين الأخيرة قد عصت على روما ست مرارٍ وقلّ فيها
العنصر اليوناني واعتزل ألوف عديدة من القبط رجال ونساء
بالاديرة من جرّاء عدم الأمن وضيق المعيشة

(٤٠) فلتقوية العنصر اليوناني رأى ديوقليتيان أن يزيد بالاحسان

لفقراءهم من خراج الحبوب فأنت النتيجة بخلاف القصد لأنهم أخذوا حينئذٍ إلى البطالة وزادوا تمراً على اليهود والمصريين وتسافهوا على الحكام وكانوا لأدنى سبب يتجهرون ويشيرون الشعب والفتنة بالمدينة مشهرين سلاحهم بوجوه اليهود والمصريين الذين لم يكن جائز لهم حمل السلاح ولا اقتناؤه

(٤١) ثم انه الغى رخصة ضرب النقود المصرية وأبدلها بالنقود الرومانية فانقضى بذلك عهد تلك النقود التي كانت بنفسها كتاباً مفتوحاً للتاريخ وقد جمعها العالم سويغا بكتابه المسمى « نومي اجبتي امبراطوري » أي أسماء امبراطورات مصر

(٤٢) ومن أشنع حوادث هذا الزمان كان اضطهاد ديوقليتيان للمسيحيين ، فانه سنة ٣٠٤ حرّم على الناس اتباع هذا الدين بسائر المملكة وهدّم الكنائس وأمر بحرق كتبها ونفي أو قتل من تمسك بهذا الدين ، فكثيرون من المسيحيين هاجروا لسورية ولكنّ العدد الأكبر كان يستحيل عليه أن يهاجر أو أن يقاوم فاستشهد منهم كثيرون إلاّ أن يكون المؤرخون الكنائسيون قد بالغوا بما نقلوه عن عدد هؤلاء الشهداء

(٤٣) ولكن لا يمكن إلاّ تصديق المؤرخ عوزيبوس الذي يخبرنا عما رآه بعينه من الاعدام بيوم واحد قتلاً وحرقاً حتى كَلَّ الجلادون وذابت قلوب القضاة من الشفقة على هؤلاء المساكين وبينهم كثيرون

من أهل العلم والشرف والمال كبطرس أسقف الاسكندرية وكهنته
فوستوس ودايوس وعمونيوس والعالم فيلياس أسقف طمويس
وحزقيوس جامع القاهوس الرومي وناقل الكتاب السبعيني
والاسقفين باخوميوس وتيودوروس ووكيل الخراج فيلوروموس
الخطير المنصب النقي العريض

(٤٤) اما بعض المستشهدين كعيديسيوس الذي شتم القاضي ورد
نصيحته بالجفاء ولطمه على وجهه ففعله هذا بحمد ذاته يستوجب
القتل في مثل هذه الظروف

(٤٥) وكان المواجهون بتنفيذ هذا الامر السلطاني الشنيع قوليانوس حاكم
مقاطعة ثيبه وهيروقليس حاكم الاسكندرية مؤلف الكتاب المسحى
فيلا ليتيس أي محب الحقيقة نعرفه فقط من رد عوزيبوس عليه
وفيه يكذب الحوارين ويزعم بأن المعجزات المنقولة عن ابولونيوس
هي أصدق خبراً وأعظم خطراً من المعزوة ليسوع الناصري

(٤٦) فكان هذا الاضطهاد أشد ما عرفه المسيحيون من الرومان ومع
ذلك فاننا نراهم سنة ٣٠٥ مهتمين بانتخاب اسقف جديد للاسكندرية
وبينهم الكاهن اريوس الذي اشتهر فيما بعد اشتهاراً سيئاً بالتاريخ
الكنائسي

(٤٧) ولما في سنة ٣٠٥ تنازل ديوقليتيان عن كرسي روما ، استولى

غاليريوس على مصر وباقي مملكة المشرق واستولى قسطنطين
خلوروس على مملكة اروبا فغاليريوس ترفق نوعاً ما بالمسيحيين
اولاً

مقسيم سنة ٣٠٥ م الى ٣١٢

(٤٨) ويعرف غاليريوس بمقسيم ثم انه أعاد الاضطهاد على المسيحيين
واتخذ الجواسيس ضدهم فكثرت الوشائيات والسعايات واشتبه الجار
بالجار وصارت الناس تطلب من الحكام ايجاد كنائس المسيحيين
لوراء اسوار المدن . واذ صار علماء الهيئة يؤرخون السنين من عهد
ديوقليتيان سمي المسيحيون ذلك العصر عصر الشهداء

(٤٩) واذ كان لا بد من وجود كثيرين من المسيحيين ممن كتموا
دينهم وقت الاضطهاد فانهم عند انكشاف الازمة أرادوا الرجوع
لكنائسهم فحصل ضدهم ما حصل في عهد ديقيرس وكان من
أشد أخصامهم أحد أساقفة الصعيد المسمى ملاتيوس لكن باقي
الاساقفة والجمهور كانوا على قبول توبتهم ولما أصر على رأيه كفره
وطردوه وحزبه من الكنيسة الجامعة

(٥٠) لكنّه لشدة رفضه ظلّ يترب مسيحياً يجرحه فسمع بأن اريوس
كاهن كنيسة البقاله يعترض على القول بالوهية يسوع فشكاه
للاسقف واضطر هذا الى مرافعته فهرب منه الى فلسطين وظل

هناك الى أن دعاه مجمع نيقيا (وهي الآن ازنيق) بالعهد التالي لمثل
هذه المرافعة

(٥١) وبهذا الزمان وما كان فيه من انحطاط اليونان مادياً وأدبياً
واضطراب البلاد المتوالي شاعت عبادة مترا ، إله الشمس الفارسي ،
بالاسكندرية وكان مثاله كشاب ينحر عاجلاً وبجانبه كب وحيه
وكان معبده المسمى مترايوم بصحراء البلد بمكان قذر . وشاع ايضاً
مذهب ماني الفارسي بواسطة تلامذته پاپوس وهرمز وهو ان إله
الخير من نور وإله الشر من ظلام

(٥٢) ولهجت الناس كثيراً بمذهب هيرافاس القبطي بأن الاجسام
لا تُبعث بل الارواح فقط فخير المسيحيين الذين كانوا يستندون
ببقيتهم بالبعث على يقين المصريين وتحنيطهم موتاهم من الفي سنة

(٥٣) وبهذا الزمان كان تعويل المسيحيين المصريين على النقل
السبعيني المصحح من حزقيوس الاسقف المستشهد بالعهد السالف
ولشهرة الاسكندرية العالمية كانت الكنائس البعيدة تطلب هذا
النقل منها ما عدا القسطنطينية وانطاكية فان اعتمادهما كان على نقل
لوقيانوس وفلسطين ايضاً التي كانت تعتمد على نقل اوريجين القديم
ولكن فيما بعد صار نقل حزقيوس الاكثر استعمالاً الا انه لتفنن
النساخ فيه وتعليقهم عليه الحواشي صار التابعون يعتبرونها كالأصل

كما فعل قبلهم اليهود بنقل التوراة فأنت الترجمة اللاتينية منه اكبر
من اصلها اليوناني

(٥٤) وبهذا الزمان ايضاً ترجم القبط النص السبعيني لغاتهم المنفحة
والصعيدية والبشمورية حرفاً بحرف من اليوناني لابل ان كل كلمة
من خمس منه كانت يونانية

ليقينيوس سنة ٣١٣ م الى ٣٢٢

(٥٥) ولما مات مقسيمن بطرسوس على يد ليقينيوس خلفه هذا على
مملكة الشرق ودخلت اروبا في حكم قسطنطين بن قسطنطيوس
وبالعشر السنين الاولى كان قسطنطين يحاول الغدر بليقينيوس الى
أن ضاق صدر هذا منه فزحف ضده الى تراسيا بمائة وخمسين الفاً
من المشاة وخمسة عشر الفاً من الفرسان وثلاثمائة وخمسين مركباً
لكنه اضطرّ فيما بعد الى المهادنة وطلب الصلح فلم يرضَ منه
قسطنطين الاّ التسليم ضامناً له الحيوة فسأّم له على هذا الشرط . ثم
ان قسطنطين غدر به واماته شتقاً فعادت المملكة كلها بيد
امبراطور واحد

الفصل السابع

سنة ٣٢٣ م الى ٣٧٨

قسطنطين . ابنه قسطنطيوس . يوليان . يويان . والنس

قسطنطين سنة ٣٢٣ م الى ٣٣٧

(١) يمتاز حكم هذا الامبراطور عن غيره بالانقلاب العظيم الذي حصل فيه بدين المملكة وهيئتها عند تنصره سنة ٣٢٣ ، فان اضطهاد المسيحيين قد توقّف بالحال واعفيت كهنتهم من كل التكاليف الملكية والعسكرية . أما تنصره فغير معلوم ان كان عن اقتناع أم سياسة ، انما المعلوم هو ان المسيحية لم تصل لكرسي الملك حتى كانت دين الاكابر والاغنياء فيه و بعد أن رأيناها تنمو وتعلو تحت الاهانة والجور من الحكام سنهاها الآن وسيلةً للتقرب منهم والتزلف لهم فان كثيرين اعتنقوا الدين الجديد عند تنصر الملك ولما يدخل الايمان في قلوبهم واصبحت الاغلبية المصرية منهم تقدر أن تصف الاقلية اليونانية من هذا الدين بالكفر كما سبق للفئة اليونانية عينها مع الفئة اليهودية المنتصرة قبلها

(٢) أما تنصر اليونان بالاسكندرية فانه كان أولاً من نوع الفلاسفة

وليس عن اقتناع بدور رباني، كما انهم بدخولهم مصر مع الاسكندر تركوا مذهبهم ومعابدهم في نوقراطيس واتبعوا اديان سيرابيس وميترا، ثم صاروا يضحكون منها الى أن شاعت بينهم فلسفة افلاطون التي هيأت أفكارهم للمسيحية. وقبل تنصر قسطنطين كانت المسيحية قد عمّت كل بلاد مصر، وترتيب كنائسها كان قد تم تقريباً على ما نراه الآن. فلزمان هيراقلاس وديونيسيوس كانت الكهنة تنتخب الاساقفة والشمامسة تنتخب الكهنة فديونيسيوس كان يصدر بلاغاته الاسقفية باسمه واسماء كهنة أبرشيته لكن بعد ذلك تغير هذا الحال الى الاستبداد ولما التقى قسطنطين جلابه على رؤساء الكنيسة كثير منهم زادوا على امتيازهم الكبير ياءً والبخل وحب الجاه

(٣) فاعبت بهم الاهواء النفسانية وابتدأت الانقسامات الكنائسية

وانفصمت عرى ذلك الاتحاد الذي كان الاضطهاد يربطهم فيه . فان قسطنطين كان قد آمن اما بالوهية يسوع واما برسالته ولكنه اذ صار يسأل اساقفة الاسكندرية عن مذهبهم بصفة ملك الحب والرحمة وجددهم يتشاحنون ويتلاعنون فيما بينهم على آرائهم فيه بعيدين عن مبادئ ذلك الشارع الوديع الحنون

(٤) ومع وجود مصر زماناً طويلاً برقّ العبودية لليونان والرومان

فانها كانت قدوتهم بالدين اولاً وآخرأ وفيها نشأ الانقسام بين

فئة تذهب الى أن يسوع الابن هو من جوهر واحد مع الأب .
 وفئة تذهب الى انه من جوهر يماثله بينما هذا البحث لم يكن قد
 خطر بفكر العلماء الاولين ولا بفكر اليهود المنتصرين اولاً المؤمنين
 بأنه المسيح المنتظر . وبينما اليونان يعتقدون به كالحكمة الربانية ،
 والكلمة على مذهب افلاطون . والمصريون الاولون يعدونه من
 احدى الآيات الربانية فان اقليمس رومانوس صديق الحواري
 بولس يدعو الكاهن الاعظم والرّبّان لا سوى . وحينما دعاه
 الوثنيون المنتصرون إلهاً متجسداً انكر ذلك عليهم اليهود
 المنتصرون ، وديونيسيوس أسقف الاسكندرية يدعو بكر الخليفة
 واوريجين لا يرى أن يُصلّى له . فالاسكندرية حولت الافكار إلى
 الجدال بالصفات والتجبر بالأراء والمنازعات إلى حد الطعن والاضطهاد
 شنيئة عرفناها من اليهود الذين صلبوا المسيح فكأنه لم يأت

(٥) فاما بلغ الامبراطور وجود هذه الحال ولا سيما ما كان بين أسقف
 الاسكندرية اسكندر والكاهن اريوس ساءه ذلك وطلب من
 الاسقف أن يكفّ عن مناظرة هذا الكاهن حباً بالسلامة لكن
 لما بلغ الخبر كهنة الاسكندرية هاجوا وماجوا خوفاً من أن يقوى
 حزب اريوس بذلك وأصرروا على طلب مرافعته فاضطرّ الامبراطور
 لحشر أساقفة المملكة ليحكموا على الخلاف فاجتمع منهم في نيقيا

سنة ٣٢٥ مائتان وخمسون اسقفًا وعدد كبير من كهنة المشرق
وأسقف أم اثنان من الافرنج

(٦) وهناك احتدم الجدل وكاد يأول إلى المضاربة والقتال لولا ان رهبة
الامبراطور وحامه يضعان حداً للخصام . وامتاز حينئذٍ الشماس
اثناسيوس بجرارة مقاومته لأريوس ثم عاد المجلس للوقار وجرى
أخذ التصويت لأراء الخصمين فنجم عن تضليل اريوس والحكم
بأن يسوع الابن هو الله من جوهر واحد مع الأب وسموا هذا
المذهب « الهوموسياني » وقرروا قانون الايمان المعروف الآن
بالنيقي وعينوا وقوع الفصح الذي تقيمه اليهود ليلة تمام القمر
الربيعي ، بأن جعلوه يقام بالأحد الذي يتلو تمام هذا القمر ولعنوا
اليهود وانفض المجلس مكتفياً بنفي اريوس غير مدرك ما أثاره
بصدور المصريين من الخيلاء بانتصار حزبيهم مما جعلهم فيما بعد
شوكة بجانب الامبراطور ناصرهم على اليونان أصدقاء دولته
بالاسكندرية

(٧) وبهذا الزمان كان أسقف الاسكندرية هو الذي يعين لاساقفة
البلاد حلول الفصح فيجري بلاغه مجرى الامر لمسيحي المسكونة
لأن روما كانت قد فقدت كرسي الملك واورشليم سقطت من
عزها والقسطنطينية لم تبني بعد

(٨) ثم بعد زمان قدّم أريوس استرحاماً للامبراطور بالعمو عنه مبرهنًا

بأنه لم يحد عن قانون ايمان الرسل فعفى الامبراطور عنه وكتب
 لاسقف الاسكندرية بلياقة رده لكنيسته لكن الاسقف كان
 إذ ذاك عين ذلك الشماس اثناسيوس خصم أريوس الالذ بجميع
 نيقيا فأبى الامثال لطلب الامبراطور مدعيًا بأن قبول هذا الكاهن
 عضواً بالكنيسة غير جائز دينًا، فرفض الامبراطور اعتراضه وطلبه
 للوقوف بين يديه ولما وجده مصرًا على رأيه أبعدته الى صور وهناك
 أقام مجمعاً من الاساقفة سنة ٣٣٥ لمرافقته فحكوا بفساد رأيه واعادة
 أريوس لوظيفته فظل مبعداً مدة هذا العهد كلها

(٩) ولكن أقل ما يقال عن شناعة الاستبداد من الرؤساء المسيحيين
 هو أنه بازدياد سلطتهم دخل الكنيسة رجال غير لائقين بها اتخذوها
 وسيلة للحصول على غايات زمنية وأغراض ذاتية بعيدة عن التقوى
 والرافة المسيحية

(١٠) وكان أولاً الاسم العام للمسيحيين «النصارى» وذلك لان
 أولهم كانوا من اليهود قوم الناصري يسوع، ثم لما شاعت المسيحية
 بين المصريين وذهبوا مذاهبهم فيها كفروا أولئك اليهود القائلين
 بأن يسوع هو المسيح والنبي الاعظم المنتظر، فاما مجمع نيقيا لعن
 اليهود كره الجمهور الاتساب للنصارى وانحصر هذا الاسم بعد زمان
 قسطنطين بيهود الحبشة واليمن المنتصرين

(١١) ومن مآثر هذا الزمان كان بناء القسطنطينية سنة ٣٢٨ وانتقال

كرسي الملك اليها فهانت روما حينئذ بأعين الناس وقاتت الاسكندرية خوفاً من تحول رياستها الدينية لعاصمة المملكة واحتفاف عامائها بكرسي الملك لاسيما وانها اضعف العنصر اليوناني فيها كانت قد أمست تدعى من زمان ديوقليتيان المدينة المصرية بعد ان كانت تدعى المدينة اليونانية على حدود مصر وفعلاً هكذا جرى فاننا نرى عند بناء القسطنطينية ان جاذب اليونان لحرّ مصر قد خفّ وانقطعت مادة هذا النسل فيها

(١٢) ونقل قسطنطين احدى مسلات مصر لزينة عاصمته الجديدة وجلب مسألة أخرى من هليوبوليس للاسكندرية لينقلها للعاصمة ايضاً لكنه توفي قبل أن يفعل ونقلها ابنه فيما بعد الى روما . وأخذ قسطنطين مقياس النيل ايضاً من مسجد سيرابيس ووضعها باحدى كنائس العاصمة ليُطل احتفال المصريين الديني بفيضان النيل فتفاهل كهنة مصر الوثنيون من عمله لكن اذ تمّ الوفاء بتلك السنة صار المسيحيون يحتفلون به كعيد كنائسي . وأحضر الامبراطور من الاسكندرية خمسين نسخة من الانجيل لاستعمال كنائس القسطنطينية محررة على الرق من تصحيح عوزيبوس أسقف القيصرية

(١٣) ولم يبق حينئذٍ للعلماء الوثنيين من عضد ، فقل الاقدام على مدارسهم وصار عليبيوس وصديقه يامبليخوس مدرسي فلسفة عمونيوس وپلوتينوس يتجولان بين الاسكندرية وپرغاموس وروما

وكل ما وصل اليها من تأليف أولهما هو كتابه بمباديء الانعام مرتبة على خمسة عشر رسداً وعلاماتها على سطرين كأن سطرًا منها للصوت والآخر للعود يقال بأنها علامات بيثاغورية . وأما ثانيهما فيوجد له للآن عدة تأليف مذهبه فيها يشبه مذهب أفلاطون

(١٤) وأقام الاستاذ سوطاثر بتدريس الفلسفة الافلاطونية بالاسكندرية وكان يدعي بأنه أفلاطون الثاني ، ولمدة من الزمان كان قسطنطين يودّه ويكرمه ثم أنكر عليه مذهبه وقتله وعلى قول المؤرخين الوثنيين انه نتم عليه رفضه ان يُبريء ذمته من قتله ابنه

قسطنطينوس سنة ٣٣٨ م الي سنة ٣٦١

(١٥) ولما مات قسطنطين خلفه بالملك أولاده الثلاثة مقسمين المملكة بينهم جلس قسطنطين الثاني على كرسي القسطنطينية وكونستان أصغرهم على كرسي روما وقسطنطينوس على كرسي انطاكية كعاصمة المشرق ، فزاد بذلك انحطاط مقام الاسكندرية السياسي . ولما أصاححت انطاكية سفر التكوين بترك عشر سنين منه تبعها بذلك الاسكندرية لكنها فيما بقي ظلت مدة حياة هذا الامبراطور تدعي الاسبقية بأمر الدين

(١٦) وكان قسطنطينوس على مذهب اريوس بينما أخواه كانا على مذهب اثناسيوس فتجاسر هذا تحت حمايتهما على الرجوع للاسكندرية

لكن لما بعد قليل نشبت الحرب بين هذين الاخوين وقتل قسطنطين الثاني تنشط قسطنطيوس لدفع مداخلة كونستان في امور مملكته وعزل اثناسيوس من كرسيه وأقام مجمعاً من الاساقفة بانطاكية لينتخب أسقفاً عوضه فانتخبوا أولاً عوزيبوس من حصص لكنه استعفى مشعراً بأن المصريين لا يرضون أن يكون عليهم أسقفاً أريوسياً ولم يكن من رأيه اكراهيم على ذلك فانتخب المجمع حينئذ أسقفاً على الاسكندرية غريغوريوس الجسور على أي مقاومة تصدر ضده من أهائها

(١٧) ثم انه قرّر الغناء « إله من إله جوهر واحد مع الاب » وابداله « يكر المخلوقات وصورة جوهر الاب » وبعد بضع سنين التأم هناك مجمع آخر وسنّ قانوناً أقرب الى مذهب اثناسيوس لكنه لانكاره أيضاً وحدة الجوهر مع الاب رفضه المصريون واللاتين وصار كل فريق يضلل الآخر ويلعنه

(١٨) ولم يجسر غريغوريوس على القدوم لكرسيه حتى أمر الامبراطور القائد سيرانوس بمخفارتة فأدخله الاسكندرية ليلاً وبالغد أتى به للكنيسة محفوفاً بالجند فوجدوا اثناسيوس قد سبقهم اليها مع أتباعه وأغلق أبوابها ، لكن لما تهددهم القائد خرجوا من باب السرّ حنقين وتبع ذلك اضطراب بالمدينة وشغب وانقطع وارد الخراج عن البلد اياماً فخاف اثناسيوس من المسؤولية بذلك وهرب الى روما أما

حزبه فليكونه اكثر من الحزب الاريسي فظل هائجاً حتى انه احرق الكنيسة مؤثراً ذلك على تركها بيد الاريسيين ثم انه قوي عليهم الى أن امكنه طردهم من كل كنائس وأديرة مصر

(١٩) وبعد سبع سنين من هذه الحال مات غريغوريوس و برجا اسقف روما وكونستان أعاد قسطنطينوس اثناسيوس لكرسيه مشروطاً عليه عدم التحرش للاريسيين

(٢٠) لكنه برجوعه لابرشيته أظهر الاستبداد . فقسم من حزبه من القبط لم ترضهم معاملته لمواطنيهم الاريسيين فانتفضوا عليه وانفصلوا عن كنيسته منضمين الى كنيسة الاسقف ملاتسوس

(٢١) وبهذا الزمان بدأ الحكام يشعرون بالانقلاب الناتج من انتشار المسيحية أولاً ثم من دخول الامبراطور في دينها واعطائه للاساقفة رتبة الامراء

(٢٢) ثم مات كونستان فعاد قسطنطينوس لعزل اثناسيوس سنة ٣٥٤ لكنه لاقى بذلك تبعاً جماً الى أن في سنة ٣٥٦ اختفى اثناسيوس وظال مستتراً عن الحاكم سيرانوس في غرفة صبية اجارته لآخر هذا العهد

(٢٣) فلما أعجز سيرانوس امره ارسل الامبراطور القائد سباستيانوس حاكماً على مصر واماؤراً بالقيض على اثناسيوس حياً أو ميتاً . فرفع

حينئذٍ حزب أريوس قرنه وانتخب جرجس من قبادوسيا أستقفاً
على الاسكندرية

(٢٤) وكان جرجس رجلاً عالمًا همامًا لكنة أقل حكمة وسياسية من خصمه
وكان أبوه خياطًا من ايفانيا في أسيا الصغرى فلما رأى نفسه بهذا
المقام الخطير تجبر وترنح بسلطته فاضطهد أخصامه بكل أنواع العذاب
والقتل والابعاد حتى كاد أن يحاكي عمل ديوقليتيان بالمسيحيين
فكره الناس اسم الامبراطور ناصره وخط من شأن الاسم المسيحي
بين أعداء هذا الدين

(٢٥) وبهذا الزمان كانت البلاد التي على الطرف الجنوبي من البحر
الاحمر قد ابتدأت أن تُعرف أكثر من قبل بالاسكندرية فان الرحالة
ميروبيوس وصل اليها في عهد قسطنطين ودخل اخضم عاصمة
الحبشة وفرومنطيوس رفيقه سعى بإرشاد أهلها للمسيحية والمتاجرة
مع مصر وعاد اليها أستقفاً بأمر اثناسيوس وقسطنطيوس بعده أرسل
بعثًا مع الراهب تيوفيلوس لاهل حمير الصابئين نسل اولئك اليهود
المستوطنين البلاد من عهد سليمان فبنى لهم الكنائس ثم انتقل
للحبشة عوضاً عن فرومنطيوس الذي عزله جرجس الاسقف الاريوسي
فأحكم فيها ربط عرى الوداد مع شعبها اليهودي الاصل أيضاً الذي
كانت العربان تحجز بينه وبين مصر. ووجد هناك بجنوب العاصمة
مستعمرة سورية يُقال بأن الاسكندر أسكنها تلك البقعة. وكانت

لغة تلك البلاد كلها عربية غير لغة السودان وبها تُرجم لهم
الانجيل من اليوناني لكنّ انتشار الدين الجديد بينهم لم يتمّ لقرنين
بعد هذا الزمان لسبب الموانع التي كانت تطرأ من وقت لآخر
فتقطع مواصلاتهم مع الاسكندرية

(٢٦) وها انا نرى كلما تقدمنا بتاريخ المسيحية في مصر كلما بعدنا عن
أزمة العلم ودخلنا غياهب الجهل الممتد منها الى أوروبا فان الرهبانية
التي نشأت من نساك انطونيوس وتولي المصريين في عهد فيليبوس
قيصر على حافة بحيرة لوط لم تكن الا تقليد رهبانية الوثنيين واليهود
من قبل ، والمعجزات المنسوبة لبعض الرهبان المسيحيين من بين
الالوف من رجال ونساء في عهد قسطنطين وعهد اولاده ليسها جزءاً
مما نقل عن رهبان الوثنيين قبلهم

(٢٧) لا بل ان هؤلاء الرهبان المسيحيين تقلدوا عادة رهبان الوثنيين
السالفين بحلق رؤوسهم الا دائرة في وسطها وحلق لحاهم وشواربهم
فحرم عليهم ذلك اثناسيوس وحرّم أيضاً عليهم استعمال الرقى
والافراط بالصوم للتفاخر به ومكاملة النساء والاعتسال بالحمامات
العمومية وحفظ السبت . وبعد هذا الزمان بسنين قليلة صار وضع
قانون الرهبنة المطول المعمول بأكثره للآن

(٢٨) ومن الاخبار عن بعض هؤلاء الرهبان خبر أحدهم عمّون الذي
يقال بأنه كان رجلاً ذا نعمة اقترن بصبية حسنة لكنه باليوم

والساعة أغراها بالتزام العفة وهجران العالم ناذراً بالأّ يغتسل طول حياته ولا يغير ثوبه كي لا يرى جسده عرياناً . وعلى قول مؤرخه الكنائسي انه كان اذا اضطر أن يقطع ساقية تأتيه الملائكة فتحمله كيلا يبلى وفاءً بنذره

(٢٩) واشتهر بعده الناسك انطونيوس المقيم في ذلك الوقت بالقرب من هيراقليو بوليس الزاعم بأن روح عمون أتمه وعامته الفرائض الدينية فكان سكنه بين القبور حيث أتاه الشيطان بأشكال شتى منها انه أتاه بشكل اسود وغور وذئب وحيات وعقارب وزناير كثيرة . واذ انتصب ليصلي هربت من وجهه تَوّاً . ومنها انه أتاه بشكل زائر لكننه اذ سمع اسم يسوع ولّى هارباً . ويزعمون انه كان يشفي المرضى ويخرج الشياطين بعلامة الصليب ويعلم بالغيب وينكر فائدة العلوم لمن اهتدى للدين ، وهكذا لما شاع ذكر فضائله ومعجزاته كتب له الامبراطور كتاباً فلم يمكنه أن يرد له الجواب بلغة اليونان لكنه قد خالف بعض وصايا للرهبان باللغة القبطية ترجمت فيما بعد لليونانية وبواسطتها عُدد من الآباء اللاهوتيين . وبعد أن قضى بهذا النسك عشرين سنةً خرج يعظ الناس ضد المذهب الاريوسي

(٣٠) وبالاجمال فان تاريخ الكنيسة بهذه الازمنة يرى مفعماً بمثل هذه الاخبار ولكل زمان حال تُحاربها الافكار

(٣١) ومن علماء المسيحيين بهذا الزمان كان سيرايون اسقف طمس

وصديق انطونيوس ، له كتاب نفيس ضد المذهب المانوي ، انما العالم
السني فكان الاعمى ديديموس رئيس المدرسة اللاهوتية الرياضي
البليغ المتبحر في الفلسفة الوثنية واليه كانت تشد رحال الطلبة من
كل فجّ وكان مولعاً باثناسيوس وعلى مذهبه حتى قال الاريوسيون
بأن كل عالم لذلك الزمان كان على مذهبهم الا هذا . وله شرح على
الانجيل ومقالة ضد المانوية

(٣٢) وفي كل هذه الجدالات الدينية وثنية كانت أم مسيحية ، نرى
روما في غالب الأحيان تابعة لآراء مصر ، فان كونستان لما أراد أن
يهدى بعض نسخ من الكتاب المقدس طلبها من اثناسيوس .
وكانت روما مثل مصر تكره مذهب اليونان الاريوسي وهكذا لما
جيروم الروماني زار مصر قال بأنه وجدها على المذهب الحقيقي
الرسولي . ولكنه مع اعتراضه على مذهب اوريجين يشهد له بالعلم
والفضيلة والتقوى

(٣٣) أما علماء ذلك الزمان الوثنيون فمنهم المنطقي افثونيوس الذي
اكتسب شهرة عظيمة بحكمته وفصاحته وكان يميل الى مذهب
ماني فأتاه طالب علم يدعى عطيه ، اريوسي المذهب ثم صار يجادله
بالدين الى أن طلبه للجدال بمحضر من الجمهور فتجادلا ولكن قبل
(١٠)

أن تظهر النتيجة اعتلَّ الأستاذ ومات فقال الأريوسيون بأن
حجَّتهم قتلتَه

(٣٤) سنة ٣٤٧ تمت الاحدى عشر قرناً من بناء روما فضربت تقودها

بتلك السنة وعابها صورة الطائر الخرافي « فينكس » بصورة نسر
بريش أحمر وأصفر وهو المسمى عند العرب العنقاء وأهل الصين
يزعمون بأنه طائر ميمون يظهر بالبلاد عند اكتمال سعداها

(٣٥) ومن كلام يوليوس فرميقيوس بالوثنيين يظهر بأنهم كانوا بذلك

الزمان قد تركوا عبادة البهائم وغيرها وحصروا عبادتهم بايزيس
وعوزيريس والنيل . وكان عيدهم الكبير يوم حزن ايزيس على
زوجها عوزيريس الذي قتله تيفون الشقي حسداً فيحلقون فيه
رؤوسهم ويطوفون بالمدينة باكين منتحبين يضربون على صدورهم
ويقطعون جلودهم ثم يزعمون بأنهم يبحثون عن اشلاء القتل التي
لقاها تيفون بالنيل فترهبهم اياها ايزيس بمساعدة اختها نفطيس
والقناص انويس فيدفنونها ثم يعيدون فرحين . واسم ايزيس باللغة
الكنهوتية حيز

(٣٦) وبهذا الزمان اشتهرت ايدوس^(١) الصعيد بمعبدها للإله بيسا

العجائبي فقصده الناس من مصريين واغريق يستشيرونه في

حظوظهم و يقدمون له الضحايا ومن جملتهم كان أحد ولاية مصر
بارناسوس فلما بلغ الامبراطور خبره عزله ونفاه ولكنه لم يتحشر
لكهنة المعبد لما كان لهم من السلطة على عقول كثيرين من ذلك
الجمهور .

(٣٧) وربما انه بهذا الزمان ايضاً ألف هيفستيون الرياضي الشبي كتابه
الذي يزعم فيه بأن لأبراج الفلك فعلاً يؤثر بأجسام الناس وطبائعهم
فأعطى لكل بلاد برجاً لكن بدون اعتبار خط الطول كأنه قسم
الأرض كالفلك الى شرق وغرب ثم قسم كل برج الى ثلاثة منازل
كل منها عشر درجات كما هي بالمنطقة المرسومة على سقف معبد
دنديره من زمان تيريوس المؤلفة من اثني عشر برجاً فزعم بأن
صفة كل انسان تتبع صفة النجم الطالع مع الشمس يوم ولادته .
وقد رأيت بزماننا هذا كتاباً اميريكياً يسند هذا الزعم

(٣٨) أما الحكم بهذا الزمان فانه كان قد ضعف لدرجة انه اصبح
كالمعدم ، لا يضر ولا ينفع ، فاستقلت فيه اكثر المدن والقرى
بالصعيد أو احتمت الصغيرة منها بالكبيرة تحت سيطرة أحد الاساقفة
حتى صارت اوامر الامبراطور نفسه لا تعمل فيها

يوليان سنة ٣٦١ م الى ٣٦٣

(٣٩) ولما مات قسطنطينوس خلفه يوليان وهو آخر امبراطور وثني فلم

يرضه تصرف المسيحيين ضد أخصامهم الوثنيين . واذ أرسل هوؤلاء
بعثاً للقسطنطينية يتظلمون من حاكمهم ارتقيوس ومن الأسقف
جرجس ، طلب الحاكم اليه وبعد محاكمته في خلقيدونيا أمر بقتله
فطمع الوثنيون بانتصاره لهم وثاروا ضد المسيحيين بالاسكندرية
فقبضوا على الأسقف وداسوه بأرجلهم حتى الموت وقتلوا أيضاً
رئيس دار السكة دراقونيتوس لانه كان قد هدم لهم معبداً بتلك
الدار واهلكوا معه أحد الاعيان ديودوروس لانه كان قد نكاهم
بقص نواحي الشبان المصريين المختصين به بحجة انها أثروثني وقد
كانت أصلاً عادةً عندهم مختصة بالنسل الملوكي من عهد رمسيس
ثم صارت بزمان البطالسة علامةً لشرف النسل ثم أصبحت عمومية .
وحملوا جثث الثلاثة على الجمال الى حافة البحيرة فأحرقوها هناك
وذروا رمادها بالهواء حتى لا يتركوا لها أثراً يرجع اليه المسيحيون
لينوا فوقه كنيسةً

- (٤٠) واذ بلغ الامبراطور خبر جنائياتهم أنبهم عليها وتمهددهم بالعقاب
لا اكثر ان عادوا مثلها ثم جعل كل اهتمامه بالاستيلاء على مكتبة
الأسقف المقتول تمهدداً وكيهه بقطع رأسه ان فاته كتاب واحد منها
(٤١) أما حزب اثناسيوس فلم يعبأ بمقتل هوؤلاء الاريوسيين بينما
الامبراطور مع عدم مبالاته بما حل بهم كان يكره اثناسيوس

وحزبه أشد الكره فلما عاد اثناسيوس للاسكندرية بدون اذنه غضب عليه وأمر بطرده من كل أرض مصر

(٤٢) ولم يتحرش لجمهور المسيحيين اكثر من نظره اليهم بعين الاحتقار وعدم قبولهم بالمدارس السلطانية . فسأ ذلك مسيحي الروم وسورية واسيا الصغرى . أما القبط فانهم كانوا بعد سقوط الار يوسيين لا يهتمهم علم أبداً لا بل انهم أمسوا بعد قليل يكرهون العلم والعلماء ككرههم للشياطين

(٤٣) لكن حب الامبراطور للعلم وتشيدته مدرسة جديدة بالاسكندرية لغن الموسيقى ووضعها الجوائز لم يُفد الوثنية شيئاً إذ كان الخراب قد عمّ وطمّ بلاد ثيبه مقرّ هذا الدين من جراء تسطي العربان عليها، والقيروان اصبحت قاعاً صفصفاً . والذل صار مزية للقبط حتى أصبح الفلاح يُوثر الجلد على اذآء الخراج واذا تخلّص من الدفع بشكوى الفاقة هزّ عطفيه مفتخراً بنفاذ حياته على الدولة . أما الاسكندرية فكانت لم تزل أول مدينة بالعلوم ومكتبتها ذات السبعمائة الف كتاب لم تزل اعظم مكتبة بالدنيا كما ان السيرابيوم حاويها كان اعظم بناية على وجه الارض بعد التميبتول معبد يو بيتر في روما، وهو المشتري وبرجيس العرب

(٤٤) أما السيرابيوم فكان معبد سيرابيس على التلّ غربي المدينة وله مدخلان احدهما للعجلات والآخر للرجل من مائة درجة كل

درجة أعرض من التي تحتها و باعلاه رواق على اربعة أعمدة وصحن
البناء مشكوف تحوطه رواقات على صفيين من العمدة وفي البعض منها
خزانات الكتب وعلى سطحه قبة مذهبة ورؤوس أعمدته محلاة
بالصفر والذهب وجدرانه زاهية بالنقوش والصور وفي وسط ساحته
عمود شاهق يستهدي به الملاحون عن بعد، وكان ضم الإلهة
القائم داخله من عهد البطالسة خشباً مكسواً حلةً مجوهرَةً، ولقاعته
كوة يقع منها شعاع الشمس على قم الصنم في وقت معين عند
الصلاة فتوهم الناس بأن هناك سرّاً إلهياً. أما رجلاه فالمظنون بأنهما
كانتا من الرخام. ولا يوجد الآن أثر لشيء من هذا البناء سوى
عموده المسمى عمود يُمَي الموازي فخامة اثار القبط الاقدمين

يوليان سنة ٣٦٣ م الى ٣٦٤

(٤٥) ولما مات يوليان خلفه يوليان وكان مسيحياً على مذهب المجمع
النيقي فأعاد اثناسيوس لكرسيه بالاسكندرية لكنه ترك الار يوسيين
أسقفهم لوقيوس غير متعرض لهم

(٤٦) ونعم ان الاختلاف بين المذهبين بظاهر الامر كان دينياً إلا ان
اكثره كان لاسباب مرجعها النسل واللسان والوطن فكان
اليونان اكثر ادعاءً بالفهم يحنقرون مذهب المصريين بالطبيعة
الواحدة بيسوع ويقولون بالطبيعتين وكان كل فريق يكفر الآخر

الى أن بتكاثر عدد القبط المنتصرين تغلبوا على اليونان ولم يمضِ
قرن بعد هذا الزمان حتى تحرروا منهم مادياً وادبياً

والنس سنة ٣٦٤ م الى ٣٧٨

(٤٧) واذ تُوفيَّ يوريان خلفه والثينيان وهذا أعطى أخاه والنس مملكة

المشرق وكان اريوسي المذهب فرفع الاريسيون رؤوسهم
بالاسكندرية وأرادوا الاستيلاء على القصر الروماني المسمى قيصرية
ليجعلوه كنيسة فقاومهم الوثنيون سنة ٣٦٤م ثم أحرقوه. لكن الامبراطور
بعد سنة بنى للمسيحيين كنيسة بتلك البقعة عينها

(٤٨) ثم ان اثناسيوس وجد مركزه حرجاً بالاسكندرية فرحل عنها

لكن إذ هاجت رعيته أعاده الامبراطور وأمنه فاستراح وأراح إلى
أن مات مخلفاً ذكراً أشهر من ذكر ملوك زمانه وملقياً أساس تلك
السلطة الكنائسية التي رفعت وحطت ممالك عديدة في مستقبل
الايام واهتز لها الخافقان. اما التأليف التي لنا منه فكلها جدلية
بالمذهب واكثرها ضد الاريسيين. ولكن القانون المنسوب اليه
فالصحيح بانه ليس منه ، لا لأن اللعن الموجود فيه كثير على طبع
اثناسيوس بل لأن لا ذكر فيه لوحدة جوهر الاب والابن التي
كان أعظم تشبث اثناسيوس بها قبل كل شيء

(٤٩) وعند موته انتخبت رعيته بطرس اسقفًا عوضه فادّعى بأن الكرسى الاسقفية بالمدينة هي حقه وان لوقيوس الاريوسى مغتصبها فغضب الامبراطور وأمر بالقبض عليه وسجنه وضبط كنائسه وأحاطها لأخصامه والذى شريعة قسطنطين التى تعفى الرهبان من الخدمة العسكرية والتكاليف الجمهورية فرفضوا الامتثال لأوامره. لكنهم إذ كانوا على مذهب الطبيعتين تجرّد لوقيوس لا كراههم تنفيذاً لشريعة الملك فصيح له استخدام الجنود فكبس أديرتهم وقتل وهدم ما استطاع من رجالهم ومنازلهم

(٥٠) وهذا بينما كانت الرهبة قد شاعت جداً في مصر واستعرقتها الدولة وسمحت لها باستملاك العقارات والاراضي ومنحها والنس حق الارث من الرهبان الذين لم يتركوا وصية ولا وارثاً شرعياً. ومن أعظم أديرتها كان دير طبناً بالصعيد الذى رئيسه باخوميوس كان اولاً ناسكاً بكهف هناك ثم التفّ حوله الوف من العباد ينظرون اليه كنبى، منهم الف وثلاثمائة بهذا الدير وستة آلاف غيره لباسهم الجلود وشغلهم الحرث والصلاة. وطبناً او بالحري طينيز يعنى مدينة ايزيس، والدير ربما هو المعروف الآن بالدير الابيض بالقرب من عفروديتوبوليس وفيه كنيسة على الهندسة اليونانية وشكل الصليب وأما ظاهره فكمعابد مصر القديمة التى أعارته أحجارها

(٥١) وكان صنف آخر من الرهبان يرأسهم زاهد آخر يدعى عنوف يزعم بأنه ينال ما شاء بصلاته (١) وغيرهم يرأسهم راهب أمي اسمه هوز مولع بانشاد الزبور، وآخرون يرأسهم سيرايون كانوا أهل كدّ وتعب ومواساة للفقراء حولهم. وكان بالقرب من نظريه (التي وجدوا بجوارها البورق فسموه نظرون) جهة مريوط خمسون صومعةً بنسائها وأما الأشد زهداً فكانوا يتوغلون بالتمفار لحد سطيس مقام أنطونيوس على حافة بحيرة مالحة جدباء حيث الهواء كليل النار والسماء كالمهل المرفوع وهناك كان يقيم الناسك موسى التائب من ما ثم شبابه الذي يقال بأنه قضى ست سنين لا ينام فيها أبداً وأنه اذ طرده ليلة ما أربعة لصوص شدّهم ببعضهم بجبل ورفعهم على ظهره وسار بهم لدير بالقرب منه ليقاصصوا لأنه كان قد نذر بالألّا يوجع إنساناً بيده. وكان هناك ناسك آخر يدعى بنيامين الذي اشتهر بزيتته المقدّس لشفاء الامراض فكانت المرضى تأتيه ليمسحها به حتى لما كان على فراش مرضه بالاستسقاء وكان ناسك آخر يدعى هالاس يحمل النار في جيبه ولا تحرقه (٢) وكان بالصحراء العربية بالقرب من أنطينو بوليس إيلياس الزاهد أقام فيها سبعين سنة. وبالقرب من أخوريس كان أبيّس الحداد الزاهد الذي يقال بأن الشيطان أتاه

(١) أو بالحري بتصدده وهو مذهب والقول فيه كل من جد وصل وكل من قصد حصل

(٢) كانه اكتشف على المعدن اسبتوس الذي يحاك ولا تؤثر فيه النار وقد

بصورة امرأة جميلة المنظر فكوى وجيها بالحديد المحي . وكان هناك أيضاً الناسك أبولوس متهجداً وقاهراً ذاته مدة أربعين سنة وأخبار عجائبه منقولة لنا من تيموتاوس أسقف الاسكندرية . وكان بالقرب من الاسكندرية الناسك دوريتوس و بولس ناسك فرما الذي كان يعيد صلاته ثمانمائة مرة باليوم ويعدها بحصى يحملها لهذه الغاية وكان من أصدقاء أنطونيوس الذي أهدها جبة كان اثناسيوس أهدها له فلما كان بولس على فراش موته طلب أن يلقوا عالية تلك الجبة ويقال بأنه أول مسيحي تنسك اذ هو ابن ست عشرة في عيد واليريان وزمان الاضطهاد ومات وهو ابن مائة وثلاث عشرة سنة فتكون مدة تنسكه سبعاً وتسعين سنة

(٥٢) فصبر هؤلاء الرهبان والنسك على ضنك المعيشة بالفقر ومشايرتهم سنيماً على التعبد والصلاة جعلهم محلاً للاعجاب والاكرام لأن الناس لا يرون إلا ظاهر الاشياء . وإلا فان حاجة الكون الى راهب المعمعة اكثر منها الى راهب الصومعة ، لاسيما وان المصريين قد فرطوا بصفات هؤلاء العباد وغالوا بأخبار عجائبهم واكثرهم كانوا هم موسيين يقولون بالطبيعة الواحدة والجوهر الواحد للآب والابن البعض منهم على مذهب اثناسيوس بالتثايت والبعض يعتقدون بأن يسوع لم يُصلب بل شُبّه للناظرين ورفع الله اليه حياً ، والبعض يعتقدون بأنه صورة الخالق . وكلهم يكفرون الاريسيين واغريق

الاسكندرية القائلين بالطبيعتين ولذلك غريغوريوس النازينزي يقول بأن مصر هي محجة الدين المسيحي ومذهب التلاميذ الصحيح وبعض النظر عن أساليب كثيرين من هؤلاء الرهبان فاننا نجد بينهم من يُشهد له بالعلم حقيقةً كالراهب مكار يوس المصري من دير نظريّه (وهو غير مكار يوس الاسكندري) صاحب كتاب الكمال المسيحي الذي هو من خيرة الكتب بالفضل والتقوى

(٥٣) وكان كثيرون من أغنياء المسيحيين الاجانب يقصدون مصر لزيارة أديرتها، فأحدهم المسمى روفينوس من جوار المدينة الحديثة تريسته يخبرنا بأنه تجشم مشقة السفر للصعيد مع بعض رفقائه وشاهد هناك مدينة أوخيرنيقوس وفيها اثنتا عشرة كنيسة وعشرة آلاف راهب وعشرون الف راهبة وبيتهم ثيون العالم باللغات اليونانية واللاتينية والقبطية ، وقابل في ضواحي مدينة ايقوبوليس (١) الناسك يوحنا الذي كان القائد الروماني يعتبره ويستشير به ضد السودان والعربان بتلك الاصقاع . ووجد في دير طبنًا ثلاثة آلاف راهب رئيسهم عمون ناذرين الصمت ، وخمسمائة راهب في دير بالقرب من هرموبوليس (٢) رئيسهم أبولونيوس رجل ذكي عاقل ، أثوابهم بيضاء نظيفة وقلوبهم مثابا . ويقول أيضاً بأنه وجد الوثنية لم تنزل شائعة بجوار هرموبوليس ولها تناوش مع أهل ذلك الدير . وانه زار بصحبة ثلاثة

(١) هي اسيوط الحديثة (٢) هي اشمونين الحديثة

من الرهبان عدة أديرة أخرى بقرى لا يعرف أسماءها منها فوق
صخرة على حافة النهر ومنها ضمن جدار عال وله بستان فيه أبار
وفاكة. وواجه إيلياس الناسك بالقرب من أنطينو بوليس. وزار ديراً
بالقرب من هيراقليو بوليس. ورأى في الجهة الارسينوتية بلاداً كل
أهلها رهبان أصحاب كدّ وعمل بالحقول وتجارة مع الاسكندرية
ووجد ضواحي منّف وبابل غاصّة بالرهبان. وزار الاهرام وقيل له
بأنها كانت الاهراء التي خزن فيها يوسف غلات سني الخصب.
وأخيراً وزار دير جبل نظريه الذي كان أشهر أديرة مصر ثم زار بيت
المقدس وعاد راجعاً لبلاده حامداً مما شاهدته وعرفه

(٥٤) فبديهيّاً ربما أننا نستغرب وجود هذا الجمهور من الرهبان بين سكان
مصر، إلا أن بالنظر لأحوال ذلك الزمان وما عرفناه من الأسباب
الجارية فيها يرتفع باب العجب ويتضح بأن تلك الرهبنة لم تكن
أولاً الأردّ فعل من عظم فساد اخلاق اكثر الناس بتلك الايام
ودواءً لداء لا ينفع فيه غير السمّ فان شيطان الطيش والبطر
والسفاهة وحب الذات كان قد أخذ بكامل حواس القوم وأصبح
غائتهم الوحيدة بالدنيا، فنفر البعض إلى البراري والقفار مبتعدين عن
هذه الخساسة والدناءة. ولما أحبوا الفقراء أحبهم الفقراء والفلاحون
ووازرهم على أعمال الخير والاحسان متبرعين لهم بالعشر من غلاتهم
اقتداءً بالشرعية الموسوية. وبتمادي هذا التبرّع صارت الكنائس

تعتبره فرضاً وبعد إن كان يصرف كله على الفقراء والبائسين صار
يصرف عليهم منه ثلثه فقط ثم أحاط به الكهنة برمته لفائدتهم الذاتية
(٥٥) وكان صنف من الرهبان يُسمى ريموبوت مؤلفاً من الثلاثة
والاربعة يعيشون بالمدن لكنه لاختلاطه بالجمهور لم يسلم من عدوى
الفساد فساعت سيرته وسقط وتلاشى ذكره

(٥٦) وبهذا الزمان أعر والنس باستيفاء الخراج عيناً من الفلاحين
وجعله كسوة جندي عن كل ثلاثين فداناً فضايقهم بذلك. ونرى فيه
بقية من الوثنيين بسباقات الخيل في غزة فانهم كانوا يتسابقون فيها
مع المسيحيين، فيعودون خيلهم بأهتهم والمسيحيون يرشونها بالماء
المصلّى عليه من كهنتهم وبالأخص من راهب يُسمى هيلاريون الذي
كان لمائه شهرة بالفوز على الاخصام^(١)

(٥٧) وقبل هذا الزمان كانت سطوة العرب تمتد شيئاً فشيئاً بالحدود
الشرقية وانما تجمل القسطنطينية للعرب كان يوقفهم عن التوغل بأمالك
الرومان. لكن إذ مات ملكهم قادتهم الملكة ماوية لخرق معاهدتهم

(١) ومن هذا النوع ما يحكى عن سكان الكونكو بأفريقيا الشرقية وطريقة
دخولهم بالاسلام ان احدهم طاب من الشيخ حرزا يملقه على ديكه اذا قاتل
ديكا آخر فكتب له الشيخ آية من الفاتحة ولما غلب ديكه اقبل جيرانه على
الشيخ يشترون منه هذا الحرز فاعترض عليهم الرجل بأن الحرز خاصته فصار
الشيخ يكتب لهم احرازاً من آية بعد آية من الكتاب الي ان علمهم
القرآن برمته

مع الرومان فاجتاحوا أرض فلسطين وفينيقيا وتخطوا إمارة حَجَر متهددين مصر من جهة رأس البحر الاحمر فهادنهم والنس وعمل معهم معاهدة جديدة، ولأن كثيرين منهم كانوا مسيحيين من مذهب المصريين اشترطوا عليه اقامة اسقف منهم بالاسكندرية وبعثوا لها كاهناً يدعى موسى الذي بوصوله أراد لوقيوس أن يرسمه لكنه أبي الأ أن يكون ارتسامه من الأساقفة الهوموسيانين المبعدين بالصعيد (٥٨) ومن هذا الوقت خرجت حَجَر من ملك الرومان وبعد ان كانت أسقفيةً عاديةً بالكنائس ولها باب نصر جميل ومرسح للالعب لعبت فيها ايدي سبا وأهملت حتى صارت ركة يعوي فيها الذئب ثم انتست من الناس اعصاراً إلى ان اهتدى اليها الرحالة بر كهرد وكشف عما بقي من أثارها من وراء الاثل والدفل والشوك

الفصل الثامن

تيودوسيوس الاول . ارقاديوس . تيودوسيوس الثاني

سنة ٣٧٩ م الى ٤٥٠

تيودوسيوس الاول سنة ٣٧٩ م الى ٣٩٤

(١) يمتاز حكم تيودوسيوس بضرته القاضية على الوثنية ، لا سيما وان هذا الدين كان قد ابتداءً ان يسقط حتى من قبل ان صارت المسيحية دين الملوك وكان قسطنطين قد زرع أركانه بقفله عدة من معاينه لكن تيودوسيوس فانه بأول سنة من ملكه سنّ شريعة بأن دين المملكة بأسرها (ما خلا من كانوا يهوداً) هو الثالث ، وبعد قليل أمر بحفظ يوم الأحد عن العمل فيه دون السبت وبعث حاجبه قينجيوس لمصر مأموراً بتنفيذ هذه الأوامر

(٢) فاستقبل أسقف الاسكندرية تيوفيليوس هذه البلاغات بأعظم الفرح والسرور وبأدر حالاً بتطهير معبد مترا وكسر الأصنام بمعبد سيرابيس الشهير وعرض ما كان فيه من آلات العبادة لسخرية المسيحيين رغمًا عن وجود كثيرين من اهل المدينة ممن كانوا يزالوا

يكرمون هذا المعبد فاجتمع منهم جمهور عظيم وثار مدافعاً عن دينه وتقاليده من هذا التعدي فاصطدم الفريقان حتى جرى الدم كالسيل إلا أن الوثنيين كانوا أقل عدداً فاضطروا للانهازام وهرب زعمائهم من الاسكندرية خوفاً من الحكماء

(٣) ثم استأنف الأسقف هدم معابدهم وكسر أصنامهم فصب منها أجراساً، إلا صنماً واحداً أبقاه ليكون سخريةً لرجاله. ووقعت الجنود صنم سيرابيس الخشبي بالفؤوس وأحرقوه أما رجلاه فيظن بأنهما كانتا من الرخام واحداً الآن محفوظة « بالبريتش موزيوم » في لندن ولا دليل على أصلها إلا كبرها

(٤) وعند انتهاء معبد سيرابيس تشتت السبعائة الف كتاب التي كانت فيه لأن المؤرخ الاسباني أوريوس الذي زار الاسكندرية بالعهد التالي لم يجد فيه هذه الكتب أثراً سوى الخزانات الخاوية

(٥) وهنا يجبرنا الانصاف أن نقول بأن كل اضطهاد ديني هو ممقوت أكان من وثنيين أم مسيحيين لا سيما وأنه يصيب أحرار الناس أكثر من سواهم فإن الذين اضطهدهم أسقف الاسكندرية كانوا من علماء ذلك الزمان حنفاءً، وأحدهم أوليبوس كاهن معبد سيرابيس كان مع كبر سنه ومقامه رجلاً وديعاً حليماً عاقلاً مسموع الكلمة لا عيب فيه كفضل شهداء المسيحيين ومثلهم حر الافكار. لا بل ان الفرق بين الاضطهادين هو بعيد جداً لأن الوثني كان عن سياسة

واققتصاد فقط . واما المسيحي فكان عن غلوّ بدين اساسه الرحمة
والوداعة سليم دواعي الصدر لا باسطاً اذى ولا مانعاً خيراً ولا
قائلاً هُجراً

(٦) وبعد هذا الاضطهاد لم يبقَ للوثنيين معابد ولا مدارس ياوون
اليها بالاسكندرية فانسحب البعض منهم الى قانوبوس وفتحوا
هناك مدرسة لتعليم الكتابة القديمة وبالاخص للسحر والطلاسم .
وتحولت معابدهم لكنائس طُمت نقوشها وصورها بالطين والكلس
ولكن الآن وقد مات اهلهما فقد قُشط عنها الطين وهما هي ترى
الآن فلا تحرك عاطفةً ولا ساكناً

(٧) وثابر المصريون المسيحيون على تحنيط موتاهم كالسابق ، رغمًا عن
تحریمها عليهم من انطونيوس . أما اغوستين فكان بالضد يحمي
من ثباتهم عليها ، يقيناً منهم بالبعث . وكانوا قبلاً يصورون ايزيس
كالنجم سيروس طالعاً مع الشمس عند اول فيضان النيل ،
فصاروا يصورون العذراء فوق هلال صاعدة للسماء . وكانوا
يشعلون الشموع بمعابدهم المظلمة ، فصاروا يشعلونها بالكنائس الغير
مظلمة . وكان لهم عيد يُسمى عيد الشموع ، فصار عيد الشعانين .
وكانوا في الخامس والعشرين من شهر طيبى الموافق عشرين من
كانون الثاني يعيدون بأكلهم الحلاوى فصاروا يأكلونها في
(١١)

السادس من هذا الشهر بعيد الظهور . كما انهم بوضعهم بالقرن الرابع
 ورتبة كهنوتية قد اتبعوا بذلك الطريقة المصرية القديمة التي لم تكن
 تعرفها الاغريق ولا الرومان و بينما كهنة مسيحي الدنيا تلبس الصوف
 كان لباس كهنة مصر من الكتان النقي البياض كلبس كهنة الاوثان
 من قبل ، او لأنه كما جاء في كتاب الوحي «لبس الابرار» . ثم انهم
 قلدوا اولئك الكهنة بخلق اواسط رؤوسهم . ومن قبل الني سنة
 كان للمصريين كاهن في ثيبه لقبه حاجب باب السماء ، فصار حامل
 مفاتيح السماء البابا

(٨) وبعد أن صار الايمان بالتثليث اجبارياً انتدب الامبراطور مائة
 وخمسين اسقفًا للقسطنطينية لتقرير قانون الايمان النقي فصادقوا
 عليه ولعنوا الاريوسيين وطردهم من كنائسهم ففرح بذلك
 المصريون والعرب وازدادوا محبة وولاءً للامبراطور حتى انه لما
 احتاج لجند يثق به ليرسله لتساليا لم يجد أوثق من المصريين
 هذه الغاية

(٩) وإذ حان الوقت لفيضات النيل بتلك السنة ولم يف ، ضجَّ
 الوثنيون وتفاءلوا من خراب معابدهم وهياكلهم حتى خشى الحاكم
 اواغريوس ان يعقب ذلك شغب وقاتل فكتب يخبر الامبراطور
 بالامر لكن اذ بعد قليل فاض الماء زال البأس وسكن الناس

(١٠) وبعد زمان اثناسيوس وسقوط الاريوسيين بالاسكندرية

انحصرت العلوم عند الوثنيين كثيرون وفافوس وديوقنطوس ممن وصلت اليها كتبهم بالحساب والجبر والهندسة والاسطرلاب الصغير وفيضان النيل والسنة المصرية من ٣٦٥ يوماً، اما بولس الاسكندري فانه يحسب السنة من ٣٦٥ يوماً وربع يوم على التقويم اليولياني مبتدئاً من عهد ديوقليتيان . ومن تفصيله عن كيفية معرفة يوم الاسبوع من معرفة يوم الشهر وطريقة معرفة رأس السنة بأي يوم يقع من الاسبوع نعلم بأن تقسيمنا الايام الآن هو عين تقسيم المصريين . كما ان من سرده اسماء الآلهة المختصين بايام الاسبوع نعلم بأن تسميتنا لها منقولة عنهم ايضاً . وقبل ذلك كان المؤرخ هيرودوتوس قد أشار الى مثل هذا ، وديون قاسيوس يزيدنا بأن كل يوم من اسبوع المصريين هو باسم نجم وان سبت اليهود كان يُسمى « سب » وهو ساتورن الرومان وزحل العرب

(١١) ومن كتبه هذا العصر كان المنطقي هورابولو احد أساتذة الاسكندرية ثم القسطنطينية ، ألف كتاباً بلغة القبط يفسر فيه الكتابة الكهنوتية ترجمه لليونانية كاتب يدعى فيليب ولكنه لم يحسن الصنعة فأنت ترجمته قليلة الفائدة

(١٢) ومن نتائج اضطهاد الاريسيين بأول هذا العهد كان تعطيل المدرسة العليا المسيحية التي كان يرأسها غودون خلف ديديموس الاعمى والثالث عشر من رؤسائها الفضلاء مدة القرنين الاخيرين

منهم اثنان ام ثلاثة على المذهب الهوموسياني بينما اكثر التلامذة كانوا اريوسيين ، فلما عادت السلطة للهوموسيانين انسحب غودون مع تلامذته الى صيدا من بفيليا ولم يبق بالاسكندرية مدرسة عليا الا عند الوثنيين وضاعت حينئذٍ منها تعاليم اقليمس واوريجين وهيراقلاس وديونيسيوس

(١٣) فلم يخرج بهذا الزمان كاتب من مسيحي مصر البتة انما يوجد لمطران الاسكندرية تيوفيليوس رسالات سنوية كان يصدرها لاساقفة مصر معيناً لهم فيها يوم الفصح وفيها طعن بحق اوريجين ترجمها جيروم لللاتينية . وكان بالصعيد الراهب يوحنا الموصوف بالقداسة وروح النبوة وكان الامبراطور يعتبره ويستشير به بمحظوظه

ارقاديوس سنة ٣٩٤ م الى ٤٠٨

(١٤) ولما توفي تيودوسيوس انقسمت المملكة مرةً اخرى ، فان ابنه الاكبر ارقاديوس استولى على القسم الشرقي منها وابنه الأصغر هونوريوس على القسم الغربي ، اما الحاكم فعلاً في مصر فكان الأسقف تيوفايوس خصم الاريوسيين مذهباً والاغريق سياسةً وبذلك استمال عواطف المصريين لجمته . ولما رهبان الصعيد زعموا أن بسفر التكوين وقانون ايمان نيقيا تصريحاً بتجسد الخالق ، وانكر عليهم ذلك ديوسقوروس اسقف هرموبوليس ورهبان شطيس

مستشهادين بقول اوريجين ان الخالق هو روح لا غير، رأى تيوفيلوس أن يطاوع الاولين وحزبهم الأقوى . ولكونه لم يجترأ على تكفير اوريجين بالاسكندرية فطلب من ايفانوس أسقف قبرس أن يسنده وهذا جمع في سلاميس اساقفة الجزيرة وقرر معهم تكفير اوريجين ، ذاك الفاضل الذي ظل مدة قرنين من الزمان قدوة المسيحيين وامامهم

(١٥) ولم يكن هذا الخلاف لينتهي بالجدل فقط بين المصريين اكان الموضوع مسيحياً أم عاجلاً أو تمساحاً فان اثناسيوس قام بجنود الاسكندرية الى جبل النطرون واجتمع اليه رهبان الصعيد فكبسوا منازل رهبان شطيس وأحرقوها وعاثوا في اهلها

(١٦) وهكذا نرى اننا كلما تقدمنا بتاريخ المسيحية المصرية كلما زدنا حزناً وأسفاً فان الناس شرعوا بهذا الزمان ينبشون قبور الشهداء والتديسين ليتبركوا بعضهم ويستشفون باسمها وازدحت كنائس القسطنطينية بالموميات حتى ان يوحنا فم الذهب شكر من مصر لتغذيتها أجسام فقراء العاصمة بمخنطتها وقلوبهم بايمانها ، وقال هذا وهو ليس من مذهب المصريين

(١٧) ومن تقاليد المسيحيين الوثنية بذاك الزمان كان اكرامهم لبعض اشجار بأنها مقدسة . فقالوا بأن اللبخ (برسيا) هي شجرة يسوع المقدسة لأنها أظلمت وابويه حينما أتوا مصر وسجدت له . وان شجرة

منها في هرموبوليس كانت تشفي مرض لامسها وان الامبراطور يوليان أمر بقطعها نكايه بالمسيحيين وكانوا يزرعون هذه الاشجار في حدائقهم واذا ذبلت قالوا بان الوثنيين كانوا يؤذونها فأمر ارقاديوس بان كل من قطع أو باع شجرة منها يغرم بدفع جزاء قدره خمسة ارطال من الذهب ، ولكن رغماً عن ذلك فان وجودها انقرض مع الزمان ربما لعدم معرفتهم بطريقة تربية شجرة غريبة لا علم لنا بحقيقة جنسها الآن انما اكثر الظن بأنها كانت شجرة السلم (ميموزا) التي اذا مسّها يد حنت أغصانها كأنها تسلم ولذلك تحبها العرب وتحرم أذاها

(١٨) وقد رأينا انحطاط العنصر اليوناني بالاسكندرية بسقوط الحزب الاريسي بالمائة السنة الاخيرة فالآن نرى ايضاً انحطاط الاسكندرية من ثروتها وعجزها عن نفقة تنظيف النهر والترع بجوارها لأننا نرى الامبراطور أمراً بتخصيص اربعمائة صولدي من مدخول كماركها لهذه الغاية وذلك عبارة عن مائتين واربعين ليرة من عملتنا الدارجة

(١٩) وبهذا الزمان اشتهر قلوديان اليوناني الاسكندري بشعره اللاتيني حتى كاد أن يُدّ من طبقة ورجيل ولوقريتيوس واويد وكان ارقاديوس واخوه هونوريوس يكرمان منزلته كثيراً

(٢٠) وكان بهذا الزمان من مشاهير الغرباء بالاسكندرية النظامي بولس من اجينا ، جزيرة بالقرب من اثينا ، له كتاب بالطب مفيد

وسيزينيوس الفيلسوف الافلاطوني المتعمر على يد البطرك تيوفيليوس الذي لم يعترف بالبعث الا بعد أن صار أسقفًا على البطلمسيه ، بالقرب من القيروان ، وهو رجل متزوج مع ان القانون يستدعي عفة الأسقف . وكان البطرك قد سأله أن يترك زوجته لدى ارتسامه اسقفًا لكنه أبي هجرها ، لابل قام معها بخدمان الدين والرعية أحسن خدمة . وكان قد درس الرياضيات بصباه على الاستاذة هباتيا ابنة ثيون الوثنية فظل يكتبها من البطلمسيه بالمسائل العلمية ويكلفها بارسال آلات الرصد التي أهدي منها اسطرلاباً للقائد الروماني رفيقه هناك

(٢١) أما من وجه الحالة الاقتصادية فان مصر كانت حينئذٍ بأسوأ الحالات . فمن جهة كانت قبائل افريقيا تسطوا على ليبيا وبعض الارياف فتسلب وتتهب ما امكنها ومن الجهة الاخرى كانت الرهال تسطوا على المزارع فتعطلها حتى ضاقت الاماكن على الفلاحين فهجروها وتحول اعظمها الى مستنقعات وبائية وأهملت المقالع لتوقف البناء ، ومناجم الذهب لفراغها منه . وكان سيزينيوس يرى هذه الحال بعين ملؤها الدموع من فقر البلاد ويسأل الله لطفه بالعباد ليلاً ونهاراً

تيودوس الثاني سنة ٤٠٨ م الى ٤٥٠

(٢٣) واذ مات ارتاديوس خلفه ابنه تيودوسيوس وهو بسن الثماني

سنين وبعد ذلك بخمس سنين مات البطرک تيوفيليوس فتجدد النزاع بين الارويسيين والهوموسيين على خلفه فاولئك كانوا يريدون تيموتاوس وهؤلاء، وهم الاكثرون، كانوا يريدون كيريل نسيب البطرک المتوفي فتجادلوا وتشاحنوا وتضاربوا بالأسواق ورغمًا عن ميل القائد ابوندتينيوس للارويسيين فان الفوز كان لحزب كيريل فأقاموه بطرکاً

(٢٣) ولم يكن كيريل أقل بغضًا من سلفه للارويسيين ولليهود أيضًا وكثيرًا من الأوقات كان المسيحيون يتعدون على اليهود لا سيما في مرسح الالعب والرقص يوم السبت فتخاصموا يوماً وفصلت الجنود بينهم قبل أن يؤل الامر الى قتال لكنّ المسيحيين ادّعوا بأن اليهود تهددوهم بحرق بيعةهم فتجمهروا باليوم التالي وعلى رأسهم البطرک وهجموا على كنائس اليهود فنهبوها وأحرقوها وطرّدوا كافة اليهود من المدينة

(٢٤) فاستاء الحاكم اورستيس من تصرف البطرک ولا سيما من خسارة الجزية اليهودية ولكن لما بلغ رهبان جبل نظريه بأنه يرغب التعرض للسلطة الكنائسية هرواوا للاسكندرية وتجمهروا بأسواقها. واذا مرّ بهم الحاكم بعجلته شتموه صارخين بوجهه «يا وثنى يا اغريقي» لا بل ان احدهم عمونيوس رماه بحجر أدماه فسل حرسه سيوفهم وددوا هؤلاء الرهبان وطرّدوهم من البلد وقبضوا على المجرم وقتلوه فاعتبره

البطرك شهيداً وابنه باسم القديس توما . لكن لما الجمهور لم يطاوعه على ذلك برجل أحق عدل عن رأيه والغى التابن المذكور

(٢٥) إنما كل هذه الشناعات لا تُعد شيئاً إزاء ما كان من جناية هذا

الأسقف ورعيته فيما بعد . فان هبائياً ابنة ثيون المذكورة آنفاً المولودة

سنة ٣٧٠ زوجة ايزيدور الفيلسوف البديعة الحسن والكمال ومعدن

اللطف والذكاء، ومن علماء زمانها المفلحين، وخطباء المدرسة الأفلاطونية

المعدودين، كانت عن غير قصد منها قد أثارت حقد الهوموسيين عليها

لعدم اتباعها دينهم فعمدوا نيتهم على هلاكها وترقبوها يوماً وهي مارة

بعجلتها فهجموا عليها وسأوها من مركبتها وجروها وراءهم على

الأرض إلى معبد قبصر وهناك جردوها من ثيابها ورجموها حتى

ماتت ثم مزقوها إرباً إرباً وحملوها لأتون خارج المدينة أحرقوها فيه

وذلك في الصوم الكبير سنة ٥١٤ ولضعف الحكم ذهب دمها هدراً

(٢٦) وبهذه الأيام انحصر المذهب الأريوسي بين الجنود اليونانية ،

فالذين كانوا بحصن بابل أقوى حصون مصر بنوا فيها كنيسة لهم باسم

القديس جرجس أي الاسقف الاربيوسي الأخير، والذين كانوا

البطلمسية فعلوا نظيرهم ولم يزل اسم هذا المكان جرجا وصاروا يرسمون

صورته كفارس يشك برمحه تينياً هو أثناسيوس الهوموسياني كما هي

صورته على بعض النقود الانكليزية . أما اتخاذ الانكليز القديس

جرجس شفيعاً لمملكتهم لا يُعرف له باب إلا أن تكون الصورة

أعجبتهم فنقلوها . ولكن القديس الذي يستحق أن يسمى شفيعاً لهم فهو
غريغوريوس لأنه كان أول مبشر لهم بالمسيحية فرجا انهم قديماً قد
اشتبهوا بالاسمين لقرب مخارج حروفهما فبدلوا أحدهما بالآخر وهم
لا يشعرون

(٢٧) أما الهوموسيون فكانوا يبنون كنائسهم على اسم القديس
اثناسيوس وصاروا يسقفونها بالخشب عوضاً عن الصفاح القديم ثم ان
تيودوسيوس لكثرة الوفود التي كانت تأتيه من الاسكندرية
بسعائيات ضد البطرك أو الحاكم أمر بأن لا يخرج اليه منها وفد إلا
بإذن الحاكم ورأي المجلس البلدي فاستراح هو ولكنه فتح باباً
لاستبداد الحكام لا طريقة لسده

(٢٨) وبهذا العهد نفى يوحنا قم الذهب من أسقفية القسطنطينية لاسباب
لا تعلق لها بتاريخ مصر سوى أن المحرك فيها كان أيضاً أسقف
الاسكندرية . ونفى معه بلاد يوس أسقف غلظه مبعداً إلى اسوان
وهذا له كتاب تراجم كثيرين من نساك الصعيد الذين عرفهم قبل هذا
الوقت ثم لما أفرج عنه سار قاصداً بلاد الهند ليطلع على حكمة براهمتها
وبوصوله إلى عدوله على البحر الأحمر وجد هناك أسقفها موسى راغباً
بمرافقته فركبا مركباً تجارياً سار بهما طويلاً وبعد مشقة بلا فائدة
عاد بهما خائبين من غرضهما فصعد بلاد سيوس إلى ثيبه وهناك تعرف
بتاجر اسمه قوسماس وقص عليه خبر سفره فأجابه هذا بأنه قد أفت

من بلاء عظيم لانه هو أيضاً سافر مرّة قاصداً الهند لكنه أخذ أسيراً في جزيرة سيلان ولم يتيسر له الهرب منها الا بعد ست سنين مرّة جداً (٢٩) وكان أسقف القسطنطينية بهذا الأثناء نسطور يوس ولأنه أنكر على

الجمهور قولهم مريم أم الله وقال بل هي أمة الله واضطرب الناس لذلك حشد الامبراطور مجمعاً من أساقفة المملكة بافسس ليحكموا بالخلاف فحكموا بتضليل نسطور يوس فنفاه الامبراطور إلى حبيبه بالمرج الكبير بين أخصام مذهبه لكن لما بعد ذلك سطت العربان على المرج هرب منهم إلى بانو بوليس وتوفي فيها على أثر مشقة الفرار إلى الصحراء

(٣٠) وبالقرب من هذا الزمان جاء مصر الراهب الغالي قاسيانوس

ليدرس قوانين الرهبنة الصعيدية ومن كتاباته لآخوانه في إيطاليا وغيرها من بلاد المغرب يظهر بأنه كان يحب لهم هذه المعيشة لان كثيرين منهم أتوا مصر وقطنوا الصعيد ، ولعدم معرفتهم لغات القوم القبطية أو اليونانية وجب إرسال قوانين الرهبنة لجيروم في روما ليترجمها لهم وهم الذين نشروا في تلك الجهة من مصر رسم الحواري بطرس قابضاً مفتاحاً. ويرى الآن رسمه على جدران معبد السبوعة القديم بالنوبة مواجهاً صورة رمسيس الثاني الذي أصلاً كان يواجه أحد الآلهة مقدماً له هداياه

(٣١) وللرهبان فضل لا ينكر لانهم ترجموا العهد الجديد للثلاث لغات

القبطية وهي الصعيدية والبشمورية والقبطية الصحيحة لغة الاريايف

وترجموا قوانين مجمع نيقيا وأخبار الشهداء والآباء الاولين وقوانين الكنيسة القبطية وكتاب الحكمة الدينية المسمى بستيس صوفيا الذي ينكر معجزة الحمل بيسوع ويزعم بأنه إذ درج أتاه الروح القدس بصورة صبي من سنه وعانقه فامتزجا وان من هذا الامتزاج كان اتحاد الطبيعتين بيسوع

(٣٢) وترجموا التوراة والانجيل لليوناني مكتوبين على جنس من الورق لكن أقدم صورة وصلت الينا من هذه الترجمة هي على الرق . صورة منها بالواتيكان وأخرى بمكتبة باريس وأخرى في بطرسبرج وأخرى بالبرتش موزيوم جميعها من نقل الاسكندرية . والاوليتان ربما هما أقدم هذه النسخ . وبمقابلة النسخة التي في لندن على التي بالواتيكان يظهر لنا كيف كان التدرج للجدال بين علماء اللاهوت عن يسوع لقول بعضهم « نُن بوسه بكاره » وقول آخرين « بوسه نُن بكاره » اي لا يقدر يخطيء أو يقدر ألا يخطيء . أما الترجمة اللاتينية المسماة « ولجات » فانها منقولة عن ترجمة يونانية قديمة ولضعف لغتها وترجمتها الحرفية بدون اعتبار وضع الكلام بين لغة ولغة يظهر بأن مترجمها كان يونانياً من الاسكندرية

(٣٣) وبهذا العصر تقدمت صنعة عمل الورق من الفافير (ومنه اسم الورق بلغات الافرنج لكون الفاء والياء مترادفتان) حتى جاز أن يسمى ورق الكتاب أي الكاغد اما ورق الفافير المستعمل بأول

قرن من هذا التاريخ فكان يؤخذ على طبيعته ويلصق بمادته ، ثم بالقرن الثالث صار يلصق بالغراء انما ورق هذا الزمان لم يكن بقوة القديم منه فلم يبق له أثر . وبوجه الاجمال لا يوجد كتاب مسطر قبل القرن الحادي عشر إلا ما هو على الرق

(٣٤) وبهذا الزمان حضر للاسكندرية بعض شبان الأرمن لدرس اللغة

اليونانية وتصحيح ترجمة الكتاب المقدس وكان بينهم موسى الخوريني الذي عرف فيما بعد بمؤرخ الارمن . وكلهم كانوا مرسلين بعناية البطريرك اسحق والعالم مزروب ، رجلاين من أهل الفضل والذكاء ، وغايتهما كانت إبدال حروف لغتهم المنقولة عن لغات الفرس والاغريق والسريان بحروف يونانية تناسب مخارج لغتهم وأيضا تصحيح ترجمة الكتاب المقدس المنقولة عن العبراني والسرياني على الصورة اليونانية فلما وصل هؤلاء الشبان للاسكندرية لم يجدوا فيها أستاذا مسيحيا فاضطروا لدخول المدرسة الافلاطونية التي كان رئيسها سيرانوس فقرأوا فيها كتب اللغة اليونانية والتاريخ . وتاريخ أرمينية لموسى يشهد باستفادته كثيرا من هذه المدرسة . ولما اكملوا دروسهم عادوا لبلادهم فازدهت أنديةها بعلومهم وآدابهم ولم تزل مؤلفاتهم بأيدي رهبانهم بدير القديس اليعازار بالبندقية واكثرها منقول على رق قديم مغسول يظهر فيه أثر من آيات الكتاب المقدس بلغة اليونان القديمة

(٣٥) أما كتبة هذا الزمان المسيحيون فما منهم من يستحق الذكر . فان

كيريال البطرك لم يترك لنا سوى تشييعه على النسطوريين ويوليان
والرهبان المجسمين . وايزيدوروس ترك رسالات دينية جدلية كتبها
من بلوزيوم ونونوس من بانوبوليس الذي ترجم انجيل يوحنا شعراً
وله نشيد بوصف باخوص الاله الخمر اليوناني

(٣٦) وكانت رهبان جبل سيناء عرضة بذلك الزمان لتعدي العربان

لا حصن لهم سوى الفقر بين تلك الجبال حول وادي فاران وسفح
جبل سربال وكان جبل سربال يسمى أولاً جبل سفر والعرب
للآن تسميه وادي المكتب . انما اسمه الاول فلاعباره منزل الوصايا
العشر والثاني فلسبب الكتابات التي تركها الزوار على صخوره من
الف سنة أو اكثر قبل هذا الزمان ، بعضها رومية وبعضها عبرية
من زمان حزقيا لا يفهم منها الا القليل

(٣٧) وكما كان الطب قديماً من اختصاص الكهنة كان صنف من الرهبان

أيضاً مصلحة الطب يُسمى فارابلاني لمداواة وخدمة المرضى المحتاجين
مجاناً . فحصل له اعتبار من الحكام وحاز على امتيازات وعلوقة من
الدولة مما جعل كثيرين يرغبون الاستخدام فيه حتى من ذوي الثروة
لكن الدولة رأت أن تحصره بستائة نفر من ذوي الحاجة . وكان صنف
آخر من الرهبان يعتني باسعاف الفقراء والغرباء البائسين

(٣٨) ورأى الامبراطور فقر الاسكندرية بهذا الزمان فأمر بزيادة مائة

وعشرين أردباً من القمح للاحسانات اليومية ومنح أعضاء مجلس

البلدية امتيازات تنشطهم على الخدمة وبنى كنيسة كبيرة على اسمه وأمر الحاكم بترميم الكنائس العتيقة وبناء كنائس جديدة بقدر الامكان

(٢٩) نعم ان الوثنية كانت قد ضعفت جداً بعد هدم معابدها إلا أن علماء الفلسفة الغير متنصرين كانوا لا يزالون من مدرسي العلوم الرياضية واللغة والتاريخ بالاسكندرية لكنهم لانكسار شوكتهم واهمالهم من الدولة صدت قرائحهم فانحصر اشتغالهم بتفسير أرسطو وأفلاطون والجدال بأيهما الأفضل . ثم لما انتقل سيرانوس رئيس المدرسة الافلاطونية إلى أثينا صارت هي الكرسي لهذه الفلسفة

(٤٠) أما فلسفة أرسطو فكان الاستاذ فيها بالاسكندرية أوليبودروس الصعيدي المولد الذي نعلم منه ان بزمانه كانت الزراعة بالصعيد نامية جداً وانها كانت تُسقى كل ثالث يوم مرة بالصيف وكل خامس يوم مرة بالشتاء من آبار عمقها مائتان الى ثلاثمائة قدم فتعطي موسمين من الشعير وثلاثة من الدخن بالسنة . ويقول بأنه زار أرض النوبة قاصداً جبل الزمرد بالصحراء العربية بين قبطوس وبرينيقة التي هي الآن ساقية القبلة بالجهة الغربية من البحر الاحمر ، لكنه لم يصل اليه لاعتراض العربان بتلك الجهة . ويوجد له كتاب بالكيميا في مكتبة باريس لم يطبع بعد

(٤١) وبهذا الزمان حضر للاسكندرية فروقلوس للدرس فيها ، فقرأ

فلسفة أرسطو على أولمبيودوروس والرياضيات على هيرو والبيان على ليوناس والمنطق على اوريون الذي كان يفتخر بأنه من نسل كهنة ثيبة ، ودرس اللغة اللاتينية بمدرسة الرومان ونبغ فيها ثم مال لدرس فلسفة أفلاطون فالحق بسيرانوس في أثينا وفيها صنف كتبه بالرياضيات والفلسفة الافلاطونية على منهج خاص له ربما شط فيه اكثر من شط بلوتينوس بالموضوع . وهذا شأن كل مذهب اما بالزيادة اما بالنقصان يضيع معهما القصد الاول

(٤٢) ومن هاجر من علماء ذلك الزمان لاثينا ففريتوس وأوريون وأسقليبيودوتوس الكاتب بالطب والرياضيات والآداب وهو برهان على وجود بقية لم تعتنق الدين الجديد، لابل ان كثيرين من الناس كانوا لم يزالوا على اعتقادهم القديم لأننا نراهم سنة ٤٣٦ مجتمعين سرًا بالليل باحدي مراسح الاسكندرية للاحتفال بعيد النيل لما سقط بهم المكان وهلك منهم بسقوطه خمسمائة نسمة أو أكثر .

(٤٣) وبهذا الوقت كانت إدارة الأمور الخارجية بالقسطنطينية متعلقة بوزيرين من الأعيان أحدهما للمشرق والآخر للبلقان وكانت مصر حينئذٍ مقسومة إلى ست ولايات ، القيروان والمرج والصعيد والأرياف الغربية والأرياف الشرقية وليبيا . وكل وال من ولايتها له دائرة من مستشارين وقضاة ومحاسبين وكتبة . أما الجنود فكانت موزعة بين خمسين من مدنها كلها تحت قيادة أمير كبير ودوقين لو كانت

قوتها بنسبة عددها لكان حكم هذا الامبراطور يُعدُّ بعظمة حكم اغسطوس لكن الجنود الرومانية واليونانية كانت بينها قليلة والباقون كانوا اخلاطاً اكثرهم من رعاى الافرنج والمغاربة والصرمط والاشوريين والبلقانيين والافريقيين والسودان ، بينما حامية العراق كانت من السودان وحامية تراسيا اكثرها من عربان الصعيد بنجيلهم وجمالهم ، لان القبط كانوا قد نسوا الرجولية من زمان طويل لا يصلحون للجنديَّة . وكان جبي الخراج مناطاً بعدة امراء ومستخدمين بكل من هذه المقاطعات ما عدا الاسكندرية التي كانت لا تعطي خراجاً بل تستفيد منه

(٤٤) ثم بعد قليل من هذا الزمان انقسمت الولايات الى ثمان ، الصعيد الأعلى وفيه احدى عشرة مدينة والصعيد الأوطى والمرج الكبير وفيهما عشر مدن ثم القيروان ثم شطر من ليبيا جهة مصر ثم شطرها الآخر جهة الصعيد ثم النصف الغربى من الارياف ثم نصفها الآخر ثم بوبسطي التي هي الآن تل البسطه الى البحر الاحمر منها ما كان تحت حكم دوقا ومنها تحت حكم قائد عسكري ومنها تحت حكم متصرفين ، أي ان مصر اصبحت اقليماً رومانياً

(٤٥) ولكن بينما كانت دولة المشرق تزداد ضعفاً ونحولاً كان المغرب يهرول الى الخراب التام هرولةً بسبب انتقاض الولايات الاوربية

وشطوط افريقيا على الدولة . فالغوط اهل جنوب الدانوب سطوا
 بأول هذا العهد على ايطاليا ونهبوا روما تحت قيادة ملكهم العريق
 وبعدهم جاء الهن من شمالي الدانوب تحت قيادة ملكهم اتيلا
 واستولوا على شمالي ايطاليا بعد موت تيودوسيوس الثاني بسنتين
 ولولا ان التليان يرضونهم بالمال ويموت اتيلا لكانوا دخلوا روما
 ايضاً ونهبوها ولكن لم تكن هذه الوسائل والمرققات مما يفيد المرض
 العضال ، فانشقت المملكة الى نصفين وانفصلت مصر عن روما
 انفصالها الاول بعد ائتلافهما مدة سبعة سنة وعادتا غريبتين
 بعضهما عن بعض كما بالزمان الذي فيه ارسلت سناطوروما بعثاً
 لبطليموس فيلادلفوس تخطب مصادقته

الفصل التاسع

مرقيان . ليو . ليو الثاني . زينو . باسيل . انتاس

سنة ٤٥٠ م الى ٥١٨

مرقيان سنة ٤٥٠ م الى ٤٥٧

(١) ولما مات تيودوسيوس الثاني استولت اخته بولشيري على زمام الملك وعمرها اثنتان وخمسون سنة واختارت مرقيان احد الاعيان زوجاً لها واصله كان جندياً ككثيرين من ملوك الرومان ، فوجد المنازعات الدينية قد عادت بصفة جديدة بين المسيحيين بعد ان كادت بزمان قسطنطيوس ووالنس ، بالتحزب للهوموسيين والاريوسيين ، ان تفصل مصر عن جسم المملكة لولا تلافي هذا الخطر من تيودوسيوس الأول وسلفائه بحسن سياستهم . فان كاهناً يدعى اوتيخيوس اخذ يعظ بهذا الزمان بالقسطنطينية بالطبيعة الواحدة ضداً لمذهب رؤسائه القائلين بالطبيعتين ، واذ طرده البطرک من الكنيسة انتصر له ديوسقوروس بطرك الاسكندرية خلف كيريل ، وكفر اسقف القسطنطينية فرأى الامبراطور ان يحشد اساقفة

المملكة للنظر في هذا الخلاف فاجتمع منهم ستمائة واثنان وثلاثون اسقفًا في خلقيدونيا وحكموا بضلال الكاهن المذكور واسقف الاسكندرية فعزله الامبراطور واقام بروتيروس عوضاً عنه

(٢) وكانت مصر إذ ذاك قد تبرأت تماماً من مذهب اريوس واتحدت على مذهب الطبيعة الواحدة الذي صار فيما بعد يُعرف بالمذهب اليقوي فأبت أن تأخذ دينها عن اغريق القسطنطينية وانكرت قرار مجمع خلكيدونيا

(٣) وهكذا عند دخول بروتيروس للاسكندرية محفوفًا بالجيش استقبله الجمهور بالرحم والسهام . ولما التجأت عصابته الى معبد سيرابيس الشهير اضرم المصريون فيه النار وأبادوهم عن آخرهم واستبدوا بالمدينة حتى اضطرَّ الامبراطور ان يبعث جيشاً ضدهم ، فحاصروا المدينة وهدموا اسوارها وارقروا الاسقف على كرسية . ثم امر الامبراطور بتسكير مراسح الالعاب وقطع الاحسان من الخراج مدةً من الزمان عقاباً للمدينة

(٤) وبينما هذه الحوادث تعرقل الحكم وتزعزع اركان الدولة كانت العربان تكتسب جرأةً لتشويش اطراف المملكة والتعدي عليها حتى في جنوب الشلال . ولمدة ما كانت الحامية الرومانية المقيمة في اسوان قادرةً أن تصدهم عن التوغل بالبلاد ، لكن إذ انضم اليهم النبط دخلوا الصعيد وامتلات ايديهم من الغنائم حتى حسبوا

أن لا قوة تقدر على ردّهم. فخرج اليهم القائد مقسيمينوس ونال منهم فطلبوا الصلح حالفين بأنهم لا يتخطوا حدودهم ما دام مقيماً في ثيبه فأبى مصالحتهم على هذا الشرط واشترط عليهم ردّ السلب والاسرى والمهادنة لمائة سنة ووضعهم الرهائن من اكابرهم بين يديه، فرضوا بذلك وصالحوه

(٥) لكنه بعد قليل مات فتحرك النبط من جديد وخرقوا المعاهدة

واستعادوا رهاينهم وعاثوا في البلاد كالأول

(٦) فبانتصار هؤلاء النبط تلاشت المسيحية من الصعيد وعادت

الوثنية الى ما كانت من قبل سبعين سنة، لابل ان البعض ممن

كانوا قد تنصروا رجعوا يصلّون لايزيس وسيرايس

(٧) اما النوب، مجاوري هؤلاء العربان، فيظهر بأنهم كانوا ارقى منهم

بالمدينة لاننا نجد كتابة رومية بلغة رديّة من هذا الزمان أم بعده

قليلاً على جدار معبد ظلميس التي هي الآن قرية قلابشي، تشير الى

ان ملكهم سلخو قد حارب هؤلاء العربان اسلاف البشارية

الحديثين مراراً عديدة واطاعته البلاد من ظلميس الى فرميس

وكان يوصف بالمرح والاسد ومن اعظم ملوك الدنيا، انما تلك البلاد

كانت بتوالي الاضطراب المحيط بها قد تعطلت زراعتها بنصف

مساحتها والرمال غطت على النصف الآخر منها مع ما فيه من المعابد

والاصنام كأنها تخفيها عن انظار لم تعد تعرف لها قدراً لتبقى عبرة
لقوم آخرين

ليو سنة ٤٥٧ م ٤٧٣

(٨) ولما مات مرقيان خلفه ليو وكان اول امبراطور قسطنطيني توجه
اسقف. فاغتم الاسكندريون فرصة غياب القائد ديونيسيوس بحرب
النبط واسقطوا بروتيروس من كرسي الاسقفية ونصبوا عوضاً عنه
الراهب تيموناوس العروس اليقوبي وبلغ ذلك ديونيسيوس فهرول
مسرعاً للاسكندرية لكنه لم يصلها حتى كان العصاة قتلوا بروتيروس
بصومعته وعلقوا جثته بالترافيلون ، ولأن الأعيان شاركوا الرعاع
بهذه الجناية خشي الامبراطور لئلا تكون الحركة سياسية تحتاج
لتدبير سياسي فابستشار الاساقفة كي يدّوه برأيهم لكنهم كانوا
كالمصريين لا يهمهم شيء سوى المذهب فألحوا عليه بالتمسك بقرار
مجمع خلقيدونيا وعزل الاسقف اليقوبي فاضطر الى مطاوعتهم
واقام اسقفًا آخر اسمه ايضاً تيموتاوس الذي صار يعرف
بالامبراطوري

(٩) ثم انتقضت ليبيا عليه فأخضعها بقليل من الجند تحت قيادة
هيراقليوس ، الا انه لما كان على شطوط قرطاجنه ليسترده البلاد من
الوندال فقد عمارته كلها وبعد قليل توفي

زينو سنة ٤٧٤ م الى ٤٩١

(١٠) ولما مات ليو سنة ٤٧٣ خلفه حفيده ايو الأصغر لكنه بعد سنة مات هو ايضاً وخلفه ابوه زينو وكان رجل لهو ولعب فانتقضت عليه فئة بايعت باسيل صهر ليو الاول ومن المذهب اليعقوبي فاستولى على العاصمة بدون قتال ونفى منها زينو وردَّ الاسقف تيموتوس العروس لكرسي الاسكندرية سنة ٤٧٧ والغى قرار مجمع خلقيدونيا ، فلما عاد هذا الاسقف للاسكندرية دخلها كفاتح فاستبدَّ بالامر وعزل ونصَّب وقطع ووصل كما شاء واعاد لمدينة افسس مقامها البطريركي الذي كان مجمع خلقيدونيا حرما منه . لكن لسوء حظ المصريين لم تمض سنتان حتى تغلب زينو على باسيل وقتله

(١١) ثم عزل الاساقفة اليعقوبيين من كراسي مصر وجدَّد العمل بقرار مجمع خلقيدونيا اما تيموتوس العروس فكان بهذا الاثناء قد توفي وخلفه بطرس منجوس فأبدله زينو بتيموتوس الامبراطوري ليكون طوع يده ومراقباً سياسياً على المصريين

(١٢) الا ان لما كان مصدر المداخيل الكنائسية هو الشعب جاز له الاعتراض على تأديتها لاسقف من غير مذهبه فبعث للقسطنطينية كاهناً اسمه يوحنا يسترجم الامبراطور بابدال الاسقف ، فوعده

الامبراطور انه سيفعل متى سنحت الفرصة وبعد قليل مات ثيموتاوس وأراد الشعب يوحنا اسقفًا لكنَّ الامبراطور لم يرده فدعى للاستقنية بطرس منجوس مختار الرعية سالفًا واتفق معه على العمل بقرار مجمع نيقيا وترك اللدد بشأن قرار مجمع خلقيدونيا

(١٣) فهرب يوحنا الى روما كعادة سالفه يتظلم لأسقفها فيليكس

فخاطب هذا القسطنطينية بأمره وكان بطرس بهذا الاثناء قد تقض عهده مع الامبراطور وباشر باضطهاد الرهبان المتمسكين بقرار مجمع

خلقيدونيا فبعث له الامبراطور حاجبه قوسماس ينصحه ان يعتدل ولما لم يرتدع بعث القائد ارسينوس فسحبه مقيداً للقسطنطينية ليحاكم

(١٤) لكنه بعد قليل مات فيها فتوقف المصريون لانتخاب اسقف

وديع ذكي يُسمى اثناسيوس فضمَّ جراحات الكنيسة بحلمه وراح الامبراطور من اخبار النزاع والشناعات لأجل المذهب

(١٥) وكان بهذا الزمان فيلسوف افلاطوني يُسمى هيروقليس وكانت

الناس تقبل عليه لاستماع فصاحته التي لم يتعرض فيها للمسيحية قط فأراد الحاكم اكرامه على اعتناق هذا الدين لكنَّ الامبراطور أمر

بالعفو عنه. والمؤلفات التي تركها لنا تشهدله بسمو الآداب وحسن الطوية

(١٦) والمظنون انه بهذا الأوان وجد ايضاً المنطقي تريفودوروس

الاسكندري ناقل اوديسه اوميروس متكلفاً فيها عدم استعمال

حرف السين اقتداءً بالمنطقي نسطور قبله الذي يقال بأنه نقل

الايادا متكلفاً فيها الاستغناء عن بعض حروف كالألف والباء وهو تكلف ان صحَّ عديم الفائدة ومن عبث الامور

(١٧) وبهذا الزمان صنَّف العالم فلوطوس الصعيدي في ليقوبولي حكايته

الشعرية باختطاف هيلانه وهي حكاية عن ثلاث إلهات ، وينوس ويونو وهيلانه ، يتخاصمن أيهنَّ الأجل فيحكم بينهما فريس خاطف هيلانه واخذها الى تروادا حيث كانت الحرب الشهيرة بسببها ، وهي حكاية من خرافات اليونان القديمة الا ان حكاية فلوطوس اكثر احتشاماً مما أتى قبلها اذ الحكم فيها لجمال الوجه فقط واكثر ما كان من تهتك وينوس امام الحكم انها كشفت له عن ثديها

(١٨) ولعدم وجود من يستحق الذكر من علماء المسيحيين بهذا الزمان

نكتفي بذكر عوطاليس اسقف سولقة بالصعيد الذي خلف بعض ملاحظات على رسالات الحواري بولس اهداها للبطرك اثناسيوس وبعده بقليل جمع المنطقي حزقيوس قاموسه اليوناني الذي كان اوفى قاموس لذلك الوقت . ومن استعاراته له بعض امثال من الانجيل يُستفاد بأنه كان مسيحياً

(١٩) ومن كتب هذا الزمان ايضاً كتاب طويل بالطب للنطاسي

بعيتيوس الاسكندري يصف فيه علاجات الاولين والآخرين حتى ما هو لتطرفة جمال المرأة ، وينقل عن الملك نخفسوس فائدة خاتم اليبصب الأخضر لبعض العلل

انستاس سنة ٤٩١ م الى ٥١٨

(٢٠) ولما آل الحكم الى انستاس جرى بسياسته على قدم سلفه في مصر فان الاربعة الاساقفة الذين تداولوا كرسي الاسكندرية بزمانه كانوا يعقوبيين ، وهم يوحنا ويوحنا آخر وديوسقوروس وتيموتاوس حتى توهم المصريون بأنه من مذهبهم ، فأراح البلاد من المنازعات الدينية . انما اساقفة باقي المملكة فلم يكونوا راضين عن نفوذ اليعقوبيين لا بل ان المؤرخ الكنائسي يصف تلك الازمنة بأزمة الضلال والفتور بالدين . واسقف تونس يزعم بأن المصريين ابتأوا حينئذ بمرض تركهم ينبحون بالاسواق كالكلاب ولم يكن له دواء الا الرجوع لمذهب مجمع خلقيدونيا

(٢١) ولكنه لم يتم له تنصيب الاسقف ديوسقوروس بدون مقاومة من الشعب بدعوى ان ارتسامه لم يكن على السنة الرسولية فاضطر حاكم الاسكندرية الى خفزه حتى أجلسه على كرسيه في كنيسة مارمرقص ومع كل لطف هذا الامبراطور بالمصريين لم يقدر على ازالة كرههم للاغريق فكان آخر امبراطور بيزنطي ساسهم بالحكمة

(٢٣) وبالسنة العاشرة من هذا العهد اغار الفرس على المملكة فدخلوا سورية . وسنة ٥٠١ خيم قائدهم قبّادس تحت اسوار الاسكندرية لكنها أعجزته فارتد عنها خائباً إنما لا تقطع الطرقات بسبب دخول

الفرس البلاد انقطعت عنها واردات الطعام فحصلت مجاعة بالمدينة
وفشى بسببها الوباء حتى ضجَّ الناس بالعويل والبكاء فانبرى
لمواساتهم رجل غني من اليهود المنتصرين اسمه اريبب واذا جاء احد
الفصح اخذ يوزع عليهم حسناته بكنيسة ارقاديوس لكنهم لشدة
حاجتهم وجوعهم كان ازدحامهم عليه عظيماً حتى مات منهم فيه
فوق الثامنة نسمة

(٢٤) ومن آثار هذا الزمان النفيسة نسخة بديعة الخط والتصوير من
كتاب ديوسقوريدس بالنباتات ونسخة بصفتها من سفر التكوين
كتابها الان في مكتبة وينا (ثيناً) ليس لهما نظير

(٢٥) و بانتشار المسيحية تعطلت المراسح اليونانية القديمة وابدلت تلك
الطراغذيات الشعرية اللطيفة لاسقيلوس وسوفوقل وعريديس
بسباقات الخيل ما خلا مراسح الاسكندرية التي ظلت مفتوحة لآخر
هذا العهد للاعبان والرقص

(٢٦) وكانت المنارة القائمة على جزيرة فاروس من عمل بطليموس الثاني
قد اهملت وكادت ان تخرب فأمر انستاس بالاعتناء بها وترميمها وهي
العلم الذي اهتدى به الملاحون للمرفأ مدة سبعمئة سنة . وعن اسم
هذه الجزيرة نقل الفرنسيون اسم « فار » للمنارة بلغتهم

الفصل العاشر

يوسن الاول . يوستينيان . يوسن الثاني . طباريوس

موريقي . فوقاس . هيراقليوس

سنة ٥١٨ م الى ٦٤٠

يوسن الاول سنة ٥١٨ م الى ٥٢٧

(١) وخلف انتاس على كرسي القسطنطينية يوسن الأول بينما كانت
الفرس تشن الغارات على اطراف المملكة التي كانت قوتها من سنة
لسنة تقل وتضعف نظراً لضعف العنصر اليوناني بالقسم الشرقي منها
فان تجزئة المملكة بين اولاد قسطنطين كانت نتيجةها تحويل العاصمة
من الاسكندرية لانطاكية . والآن اذ بدأ اليونان يهاجرون ايضاً من
انطاكية اخذت فئة من كنيسة سورية واسقفها سويروس باتباع
مذهب مصر اليعقوبي ولكن الجمهور انكر عليهم ذلك وتهدد الاشقف
بالقتل فهرب للاسكندرية ، انما بوضوله لها وجد بأنه لا يمكنه ان
يصادق على مذهب المصريين برمته ايضاً . فان مذهبهم كان بأن

يسوع لم يُصلب بل شُبّه للناظرين كما جاء فيما بعد بالقرآن ، ومذهبه لم يكن كذلك . ولنا من تصنيفه شروط العماد باللغة السريانية يستفاد منها وجوب مسح جسم الطفل بالزيت المقدس قبل تغطيسه بالماء ولحق به كثيرون من رهبان سورية ونزل اكثرهم بدير جبل نظرية فصارت كتبهم فيه عربية وسريانية ولم يبق للغة اليونان استعمال البتة

(٢) لكننا بالسنة الثانية من هذا العهد اذ توفي الاسقف تيموتاوس ، نجد المصريين منقسمين الى فئتين فئة تقول بمذهب سويروس وفئة تقول بالضد . فأهل المذهب الأول انتخبوا غيانا اسقفًا عليهم واهل المذهب الثاني انتخبوا تيودوسيوس . وتجدد النزاع بينهم لعدة سنين فتارة يسود حزب وتارة يسود الآخر وكلا ساد فريق اجلى الخصم عن الاسكندرية

(٣) وكان الامبراطور السالف قد اجتهد ان يحرك عرب حمير اليهود اصحاب تجارة الهند والحبشة مع مصر ضد الفرس وانصارهم عرب اليمن فيوستن ارسل الآن لهم بعثًا ينشطهم الى ذلك وكان رئيس وفده يوليانوس فاستقبله ملكهم الحارث بأوفر حفاوة واکرام وهو راكب عجلة تجرها اربعة افيال ، عاري الصدر والاكتاف وعليه ازار من الحرير الموشى بالذهب وذراعه محليان بالدمالج المجوهرة وبيديه مجنّ ورمحان واكابر دولته حوله بالعدّة الكاملة من السلاح وهم يرددون بحضرتة اناشيد المديح . ولما ناوله الرسول كتاب الابهراطور

اخذه فقبل ختمه ثم عانق الرسول واستلم منه هدية يوستين ثم فضَّ الختم وقرأ الكتاب وأجاب بقبول ما اقترح عليه من مقاومة الفرس شمالاً وخفارة طريق التجارة مع الاسكندرية جنوباً

يوستينيان سنة ٥٢٧ م الى ٥٦٦

(٤) ولما آل الحكم الى يوستينيان دعى الاسقفين من الاسكندرية للعاصمة ثم ابعدهما واقام بولس اسقفًا واحداً عوضهما ليعمل بقانون مجمع خلقيدونيا. وبعد سنتين ابدله بالاسقف زويلوس ايضاً بالرغم عن ارادة المصريين فاحتملوه ست سنين ثم طردوه وطردها كافة اساقفة المذهب الاغريقي

(٥) واذ بلغ الامبراطور ما اجراه اليعقوبيون بعث ابوليناريوس اسقفًا وحاكماً على الاسكندرية فدخلها على رأس الجنود بزيه العسكري ولما وصل للكنيسة خلع ثوبه العسكري ولبس بدلته الاسقفية و باشر تلاوة الصلاة لكنه لم يفتح فاه حتى اتاه الرجم من كل مكان واضطراً الى الفرار من الكنيسة فكث ثلاثة ايام ثم ارسل منادياً بالاسواق يدعو الناس للكنيسة لاستماع قراءة كتاب الامبراطور بالاحد المقبل فاجتمعوا واذ افتتح خطابه يتهدد بهم بالقتل ، والنساء بالسبي ، رجوه كالأول لكن باشارة منه دخلت الجنود الكنيسة شارعةً بسيوفها فوقعت على القوم تضر بهم بها حتى جرى الدم للركب

وانصرف منهم من سليم . وبعد ذلك لم يجتري احد على مقاومة
الاستنف الاغريقي الملكي وهذا كان اصل الروم الملكيين

(٦) ومن ثم استتب الامر للاساقفة الملكيين بصفة كينة وولاية الا ان

مصالحهم الملكية كانت تشغلهم اكثر من الكنائسية لاسيما بتحصيل
الاعشار والمتاجرة بها مع اوربا . وبعد زمان صار مدخول
البطركية وزن الفي رطل مصري ذهبيا او ثمانين الف ايرة انكليزية
من عملتنا الآن اما اليعقوبيون فكان بطركهم من صنف الرهبان

لا شاغل له عن الدعاء لام الله والحواري مرقص . واختلف الطقس
الكنائسي بين الفريقين فالملكيون ثابروا على تلاوة الصلاة القديمة

المنسوبة لمار مرقص زاندين عليها الشهادة بوحدة جوهر الاب
والابن . واليعقوبيون صاروا يتلون الصلاة الجديدة المرتبة لهم من

كيريال وباسيل القيصري وغريغوريوس النازينزي باللغة القبطية
والشهادة بالطبيعة الواحدة الالهية كاتنين غيظيم من الاغريق

وكلما سمعوا من جيرانهم العرب عدم تعرض الفرس لمذهبهم
وكنيستهم كلما ازدادوا كرها وبغضا لولاتهم

(٧) فاتته الامبراطور اخيراً لهذا الحيف وشعر بضعف مملكته

والخطر الذي يتهدده من جهة الفرس فأعرض عن الجور على
اليعقوبيين لابل انه اعتنق مذهبهم ومذهب العرب جيرانهم رغبة

في اكتساب ولايتهم

(٨) اما الفرس فبعد استيلائهم على سورية وانطاكية دخلوا حجر عاصمة النبط فأمر يوستينيان ببناء حصن بالقرب من جبل سينا . وبالسنة الثلاثين من ملكه تم البناء فشحنه بالرهبان على نفقة الخزينة ثم وجده منكشفاً من تلٍ اعلى بالجبل فغضب على بانيه وقتله وبنى قلعة اصغر على ذلك التل . ومن كتابة الرهبان الباقية على جدران هذه القلعة يستفاد منها اعتقادهم بأن هذا التل هو المكان الذي فيه وقف موسى الكليم وانزلت الوصايا العشر

(٩) و بالقرب من هذا الزمان كان ايضاً بنيان ديرين اشبه بالحصون على نحو عشرين ميلاً من البحر الاحمر وثمانين جنوباً من اسوان لا ابواب لهما ، الا ان جدرانها كانت من اللبن . وكان احدهما على اسم مار انطونيوس والآخر على اسم مار بولس اول النساك المسيحيين . ومن ذاك الوقت الى يومنا هذا لم تخل هذه الاديرة من الرهبان ولققرهم وسلامة طويتهم لم يتحرش بهم باغٍ بينما حصون الظلم والعدوان من حولهم قد دكها الغزاة دكاً وابدوا اهلها

(١٠) ولذلك العصر كانت تجارة الشرق الاقصى والصين مع مصر تمر بجزائر سيلان وسوقطرا ليد عرب وزنوج اميين لا يستفاد منهم شيء عن تلك البلاد فظل الافرنج زماناً يظنون بأن مصادر تلك الاموال من الحرير وغيره هي بلاد العرب اما سيلان فكان فيها كنيسة للسريان من رعايا مملكة فارس . والعملة الجارية فيها كانت رومانية . فبهذا

الزمان زادت حركة التجارة معها ، بعد ان ملك الحبشة حداد اليهودي كان قد زحف ضد يهود حمير وقتل ملكهم داميانوس (١) لما كان يصدر منه من التعدي على قوافل التجار . ثم قام بخفارة الطرقات وطلب من الامبراطور ان يبعث له مرشدين للدين المسيحي فبعث له الراهب يوحنا رجلاً صالحاً ذكياً ، الذي صار فيما بعد اسقفاً لعدولا وربما ان هذا الانتصار هو المنوّه عنه بكتابة على قاعدة من الرخام قرأها التاجر قوسماس الاسكندري تقول بأن الملك جاز البحر الاحمر ووضع الجزية على العرب والصابئين وأذل قبائل الشمال وفتح الطريق لمصر وقهر الافريقيين شرقاً على شطوط ارض البخور ومرّ بجبال الثلج التي تخرج منها احدى شعب النيل ، وهذا اول خبر سمعناه عن وجود الثلج بالقرب من خط الاستواء . اما اسم الملك فلم يعرف لانه كان مقطوعاً منها

(١١) فالآن ارسل يوستينيان بعثاً لحمير وبعثاً آخر للحبشة فدخل رسوله اولاً عدولا على طرف بلاد الزنج البحري ومنها صعد بخمسة عشر يوماً الى عاصمة البلاد اخصم . وشاهد بطريقه قطعاً من الفيلة يحسب انها كانت تزيد عن خمسة آلاف رأس وبعد تأدية رسالته قطع

البحر الى ملك حمير قيس حفيد الحارث الذي كان يوسطن
راسله قبلاً

(١٢) وبعد هذا الزمان انتقض الحيريون على الحبشة فجرد ملك الحبشة
جيشه ضدهم وأخضعهم وأقام عليهم ملكاً مسيحياً اسمه غطيافوس
الذي استدعى الاسقف غريغنتوس ليرشدهم للمسيحية فكانوا
يجادلونه ويعترضون على التثليث الى انهم اتفقوا على مجادلة علنية
تكون ببلاط الملك بين الاسقف والحاخام هرمان . والمؤرخ الكنائسي
يقول بأن لما هرمان أنكر التثليث ضربه الله مع رفقائه اليهود بالعمى
لكنهم بدعاء الاسقف عاد لهم بصرهم وتنصروا عن آخرهم
وهم وقوف

(١٣) ثم انهم بعد قليل انتقضوا على غطيافوس فبعث ملك الحبشة
جيشاً ليخضعهم لكن لما وصل الجيش اليهم استمالوه بهداياهم وتلطفهم
فأبى محاربتهم وآخاهم، فاضطر الملك الى مصالحتهم. ويستفاد من كتابة
رومية على حجر في اخمص بأن بعد هذا الملك وجد ملك يُسمى
الجانس تقول الكتابة بأنه المرنخ ملك الملوك سيد الحبشة والزنج
والصابئين وارض حمير وقاهر البجاة سكان الشمال بين اخمص ومصر
(١٤) وكانت اخمص مزدانة بالعمد وفيها مسلات كمسلات مصر ولم
تزل منها واحدة طولها ستون قدماً قائمة فيها، لكنها لا كتابة عليها.
ومن يهود الحبشة وصل الينا كتاب اخنوخ الذي اكتسب وقاراً من

استشهاد الحواري هود به والافانه كتاب مزور بعضه منقول من التوراة وبعضه ملفق من قصص الميلاد يوهم بأنه ينخر بالحوادث قبل وقوعها والامر بخلاف ذلك

(١٥) وبهذا الزمان اعتل توريد الخراج من مصر للقسطنطينية من طمع الحكام والموظفين فرأى الامبراطور ان يجعل الحكام والاساقفة المسؤولين بتصدير ثمانمائة الف اردب سنوياً لعاصمته كان مصروف جمعياً وتوريدها يبلغ ثمانين الف صولدي او ستين الف ليرة من عملتنا الدارجة

(١٦) ذاك كان حد ما اتاه هذا الشارع البارع من الاصلاحات التي لا فائدة منها للمصريين. لا بل ان رجلاً طماعاً بالاسكندرية يسمى باحتكار كان قد اكتسب مودته ونال منه امتيازات سمحت له حيفاستوس مؤن البلاد فكان يشاطره بالإرباح منها ويجور على الفقراء بينما العربان تسطوا على بعض املاكه بالصعيد والرمال تغطي البعض الآخر واللغة صارت هناك اكثرها عربية

(١٧) ولهذا الزمان كانت جزائر بريطانيا تحتبظ من تعدي السكسون عايها، والرومان لا يهتمون لها لبعدها عنهم وضعفهم عن حمايتها. اما تجار الاسكندرية فكانوا اذا جاء الصيف يقدون اليها بمراكبهم وغلالهم للمقاوضة بقصديرها وفضتها فيبيعون كيلة القمح بما يوازي عشرة بنسات من عملتنا الحاضرة. وهكذا كان الفينيقيون يفعلون

قبلهم بثلاثمائة سنة وأكثر ومع ذلك لذلك الوقت لم يخطر للبريطانيين ان يتعلموا طريقة الاسفار البعيدة بمرأ كبرهم . وهذا السفر كان اطول سفر تلك الايام وأبعد من السفر من البحر الاحمر لسيلان لكنه ربما استغرق عشرين يوماً فقط اذا ساعده الهوآء والأفأشهرأ . ولا شك بأن قدوم هوآلاء التجار لشطوط بريطانيا قد أفاد بربرتها مباديء المدن وهيأهم له

(١٨) ولما ألقى الامبراطور مسؤولية الخراج على الحكام والاساقفة والموظفين معهم وكانت الفقراء أحياناً تسطوا على انبار الخنطة وتتهبها اضطر حاكم الاسكندرية الى تحصين انبار الخراج بالفياله فبنى حولها سوراً منيعاً واصلح القنطرة المؤدية لقرية حيروم ونقل داره الى مسافة يوم غربى الاسكندرية احتياطاً من ثورات المصريين

(١٩) ثم ان يوستينيان امر بأن لا تُستأنف دعوى للعاصمة قيمتها تحت عشرة ارطال ذهب اي خمسمائة ليرة انكليزية ، وحرّم على من بقي بالاسكندرية من علماء الفاسفة ان يخطبوا فيها، فهاجر منهم كثيرون الى سورية حيث الفرس اكرموا مثواهم لا بل انهم فيما بعد لما عقدوا شروط الصلح معه اشترطوا عليه قبول هوآلاء العلماء بالاسكندرية وعدم التحرش لهم

(٢٠) ولذلك الزمان كان يظن بأن ارض مصر لا تعرف الزلازل، لكن المؤرخ اغاتيا البيزنطى الذى كان بالاسكندرية ليشتم دروسه فيها

بعد درسه الفقه في بيروت يخبرنا بأنه بوجوده بالاسكندرية اشعروا
بزلزلة وتركوا بيوتهم خوفاً من سقوطها عليهم وان لم يسقط منها شيء
(٢١) . ومن بدع هذا الزمان كان ما ذهب اليه الراهب تيمستوس من
انكار العصمة من الخطأ ليسوع ، وما ذهب اليه الراهب تيودوروس
من انكار بشريته . وكان قوسماس التاجر المذكور آنفاً قد ترهب
أيضاً وصار يقول بأن البحث بنص الكتاب المقدس حرام ، وقول
علماء الهيئة بأن الأرض كرة هو كفر بنص التوراة الذي يقول
بأنها مبسوطة

(٢٢) وبأول الامر كنا نرى المسيحية تستند على الفلسفة لتقوية دعائم
الايان . لا بل انها كانت شريكها بالعلوم وسيدتها بالأداب . لكن
اذ عقب ذلك اضطهاد خمسين سنة من عهد ديقوس الى ديوقليتيان
وتكاثر عدد المنتسبين لهذا الدين صار احق الرهبان يستهزيء بآراء
قلامنس واوريجين ويلعنهما . ولكره هذا الجمهور اسم العلماء صار
يكره حتى العلوم نفسها

(٢٣) وبالسنين الاخيرة من اسقفية ابوليناريوس لم يكن له ادنى اعتبار
عند الاغناطيين ولا التيودوسيين ولا اليعقوبيين فاعتزلوا كلهم عن
كنيسته ثم اذ مات أحد الاساقفة وأراد ابوليناريوس اقامة أسقفاً
عوضه لا يرضي الاغناطيين نتفوا لحية أحد رهبانه بأسواق الاسكندرية
ثم بعد قليل مات ابوليناريوس وأقام الامبراطور الاسقف يوحنا

خلفاً له ، فالقبط لم يستعرفوه واليونان أتهموه بالمانوية . وبعد ثلاث سنين مات فانتخب القبط بطرس اليعقوبي بطريراً لم ترضه الاغريق وبالسنة التي مات فيها يوستينيان مات بطرس ايضاً

(٢٤) وكانت نقود مضر من عهد ديوقليسيان قد صارت كلها سلطانية . اما نقود يوستينيان فكان منها ما عليه اسم الاسكندرية بالحرف الاغريقي وصورة الامبراطور وبازائها علامة الصليب ، ووزنها كان غير اوزان نقود القسطنطينية . فان نقود القسطنطينية كانت من ٥ و ١٠ و ٢٠ و ٣٠ و ٤٠ درهماً معبراً عنها بالحروف الابدجية هي ك ل م اي M A K I E أما نقود الاسكندرية فكانت أولاً بوزن اثني عشر درهماً معبراً عنها بالحروف ب ي اي B I ثم صارت بوزن ثلاثة وثلاثين درهماً معبراً عنها بالحروف ل ج أي Γ A ولما بالمداولة خف وزن الاولى صارت الثلاثة منها تصرف بوحدة من الاخيرة وأظن ان الدرهم عندهم كان وزن اثنتي عشرة حبة خرنوب

يوسطن الثاني سنة ٥٦٦ م الى ٥٧٨

(٢٥) في عهد مرقيان كانت جزيرة فيله وفيها معبد ايزيس ماجاً وثنينين ذلك الزمان اما في عهد يوسطن الثاني ، يظهر من كتابة وجدت فيها أخيراً ، بأنها صارت أسقفية ومعبدها صار كنيسة وحكم هذا الامبراطور

اثني عشرة سنة لا شيء فيها مما يذكّر عن أحوال مصر ولا بالأربع
السنين بعدها من حكم ظيباريوس

موريقي سنة ٥٨٢ م الى ٦٠٢

وكسرى

(٢٦) ثم آل الحكم الى موريقي زوج ابنة ظيباريوس . وبالعشرين سنة
التي حكم فيها كانت المملكة على نوع ما مطمئنة لانشغال أخصائها
الفرس بحركاتهم الداخلية الى أن أسقطوا ملكهم كسرى حفيد
كسرى انوشروان فهرب منهم ملتجئاً بموريقي وراجياً منه أن يمدّه
برجاله وماله ضد أعدائه فأجبه موريقي ورثى لحاله وأمدّه بما طلب
فسار نحو بلاده واستعاد كرسيه وعزّه فزوّجه موريقي ابنته وظل
عنده بمعزة ولد الى ان مات

(٢٧) وبهذا الزمان أنشأ هولوجيوس أسقف الاسكندرية نزلًا للفقراء
واشتهر الراهب أنستاس من دير جبل سيناء بعلم اللاهوت وألف
الناسك يوحنا قايقوس في وادي طلي على سفح الجبل المذكور
كتابه بفضل العيشة الرهبانية الذي سماه أدراج النعيم وقسمه الى
ثلاثين درجة كعدد الثلاثين سنة الاولى من سني يسوع

(٢٨) أما الاعظم شهرة من رجال تلك الايام كان المنطقي يوحنا الفيلسوف
الارسطوطاليسي ولكنه لقوله بأن الآلهة هي ثلاثة خرج عن الكنيسة

(٢٩) وهذا هو يوحنا الذي عرفه عمرو بن العاص فاتح مصر فيما بعد واكرمه
 و بأخر أيام موريتي ألف تيوفيلاقطوس سيموقطا كتابه بحياة هذا
 الامبراطور وحروبه مع الفرس يقول فيه بأن اليلة التي مات فيها
 بالقسطنطينية سقطت أنصاب الاسكندرية من قواعدها وان انساناً
 نصفه حيوان خرج قبيل ذلك من النيل وأخبر بقرب أجله
 (٣٠) و بينما كان المشرق يخيم عليه ظلام هذا الجهل بزغت شمس الهدى
 والعرفان في اقليم انكلترا المسمى الآن كينت بقدم الراهب الروماني
 اغوسطين مبشراً بالمسيحية فيها، وأنورت مكة بالهلال المحمدي

فوقاس سنة ٦٠٢ م الى ٦١٠

(٣١) ثم انتقض الجند بالقسطنطينية على موريتي، وأحدهم فوقاس توصل
 الى قتله فرفعه الجند لكروسي المملكة . لكن اذ بلغ كسرى قتل
 حبه كراً بجيشه للانتقام من قاتليه فاخترق البر الى ان خيم تحت
 أسوار القسطنطينية ، ولما لم يقدر على فتحها ظل محاصراً لها مدة هذا
 الحكم كلها فتضايق أهلها لانقطاع المؤن عنهم وضجروا من استبداد
 فوقاس بهم . وبالسنة السابعة من ملكه خلعت الاسكندرية طاعته
 وبايعت هيراقليوس ابن حاكم القيروان امبراطوراً وقتل البترك بالحركة
 فيها . وبعد قليل دخل هيراقليوس بأسطوله مياه القسطنطينية واستولى
 عليها فقتل فوقاس وأخذ كروسيه

هيراقلوس سنة ٦١٠ م الى ٦٤٦ والفرس

(٣٢) وبالثلث السنين الاولى من حكم هيراقلوس كان اسقف

الاسكندرية تيودوروس . ثم انه مات فأقام الامبراطور عوضه

الأسقف يوحنا ابن حاكم قبرس برضى المصريين ، فأصاب لأن هذا

الأسقف أبدى من الاحسان والرافة بالفقراء ما اكسبه لقب المحسن .

وبمدة الخمس السنين الاولى من استقيته بنى عدة مستشفيات للمرضى

ولتوليد النساء ونزلاً للبايسين . وكان مذهبه بالمسيح انه لم يُصاب بل

شبه لهم

(٣٣) أما الفرس فانهم بقدم هيراقلوس للقسطنطينية رحلوا عنها

واتشروا بأمالا كلها الشرقية الى حدود مصر . فكانت تهرب من

وجههم السكان الى الاسكندرية حتى ضاقت المدينة بالفقراء

والمسلوبين واضطر البطريرك يوحنا الى مساعدتهم فأنفق عليهم من

خزينته قيمة ثمانمائة الف ليرة من عملتنا المارحة الآن واستدان فوقها

مبلغاً آخر لسد احتياجات هؤلاء المساكين ، ولسوء حظهم لم يفر

النيل بتلك السنة فأحلت البلاد وقت الأظعمة وتسربت الايادي .

وبالسنة الخامسة من هذا العهد فتح الفرس اورشليم وبالثامنة فتحوا

الاسكندرية واشتروا منها ما كان فيها من حبوب الخراج بثمن

بخس جداً . ومن ذلك الحين انقطع خراج مصر عن القسطنطينية

(٣٤) وكان حاكم مصر ثيقيطا يرى أن لا قدرة له ولا مدد من القسطنطينية لرد الفرس فهرب لقبرس والبطرك يوحنا معه . وهكذا لما وصل الفرس للاسكندرية دخلوها بدون قتال لابل بالترحاب من القبط الذين كان اول اهتمامهم انتخاب اسقف يعقوبي يسمى بنيامين بدون تحرش من الفاتحين ولا حرج

(٣٥) وبهذا الزمان حضر للاسكندرية الأسقف السوري توما ليصحح ترجمة العهد الجديد السريانية على الاصل الاغريقي الذي كان في دير مار انطونيوس ، وتصحيحه هذا صار المعول عليه فيما بعد . اما الترجمة الموجودة الآن في دير الرهبان الاغسطويين في روما فهي من عهد هيراقلوس . وبهذا الوقت كان العالم السوري بولس من طلي بدير مار زاخوس بالاسكندرية يعتنى بترجمة التوراة من النسخة السبعينية الاغريقية . وفيه شاع ذكر النطاسي هارون السوري الذي صار فيما بعد قدوة اطباء العرب . وازداد بهذا الزمان توارد الرهبان السوريين لا سيما من شرقي الفرات الى جبل نظرون ولم ينقطع لقرون عديدة

(٣٦) ولما كانت السنة العاشرة من احتلال الفرس ارض مصر انتقض عليهم انصارهم العرب والسوريون الذين سهلوا لهم اولاً هذا الاحتلال نظراً لما بينهم وبين المصريين من الإخاء فاغتنم هيراقلوس

فرصة هذا الانقسام وزحف ضدهم فأجلاهم بوقت قصير عن سورية
ومصر وهرب البطريرك اليعقوبي معهم

(٣٧) وبالسنة الثانية عشرة من حكم هيراقليوس وهي سنة ٦٢٢ م
هرب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، داعي العرب للاسلام ، من
اعدائه القرشيين بمكة الى المدينة في ليلة الجمعة سادس عشر شهر
جولاي الذي صارت تُورِّخُ منه فيما بعد سنو الهجرة . وبعد ذلك
رأى هيراقليوس اتحاد العرب واتفاقهم على النبوة فكان يجاملهم
ويكرمهم بهداياه الى أن قبض النبي فقطع علاقاته معهم

العرب والخلافة سنة ٦٣٢ م و ١١ هجرية

(٣٨) و بُويع لأبي بكر بالخلافة بالمدينة في شهر ربيع الأول في اول
سنة احدى عشرة هجرية يوم تُوفي النبي . قال عُمر ان أبا بكر كانت
بيعته فلتة وقي الله من شرّها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فأيما رجل
بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فليقتل الرجلان . وقيل لما بلغ
ذلك علي بن ابي طالب لم ينكره . واكثر ما روي أنه قال ، ما شاورتني
فأجابته ابو بكر ، ما اتسع الوقت للمشورة وإنا خفنا ان يخرج الامر منا
ثم صعد المنبر فقال أقبولوني من هذا الامر فاست بخيركم . فقال علي
لا تقيلك ولا نستقيلك ، فأجمع الانصار والمهاجرون على خلافته التي
بايعه عليها اولاً عُمر فقط

(٣٩) ولما ذاع خبر وفاة النبي ارتد خلق كثير من العرب ومنعوا الزكاة واشتد رعب المسامين بالمدينة لاطباقهم على الردة فأووا الذراري والعيال الى الشعاب ، فأمر ابو بكر خالد ابن الوليد على الناس وبعثه في اربعة آلاف وخمسمائة من الرجال فصار حتى وافى المرتدة وناوشهم القتال وسبي ذراريهم واقتسم اموالهم . ثم ارسله ضد مسيلمة باليامة لادعائه النبوة فخاربه ورماه عبد اسود اسمه وحشي بحربة وقعت على خاصرته فسقط عن فرسه قتيلاً . ومن هناك توجه خالد الى ارض العراق وفتح الحيرة صلحاً . ومسيلمة المذكور هو الملقب بالكذاب

(٤٠) وكان ابو بكر قد وجه قبل ذلك ابا عبيدة بن الجراح في زهاء عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هيراقليوس ورود العرب ارض الشام فوجه اليهم البطريق سرجيس في خمسة آلاف رجل لمحاربتهم . وكتب ابو بكر الى خالد عند افتتاحه الحيرة بأمره ان يسير الى أبي عبيدة بالشام ففعل والتقى العرب والروم فانهزم الروم

عمر بن الخطاب سنة ١٣ هـ الى ٢٣

(٤١) قيل ان ابا بكر لما دنا اجله قال لعثمان بن عفان كاتبه ، اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد عبد الله بن ابي قحافة وهو في آخر ساعات الدنيا وأوّل ساعات الآخرة ، ثم غمي عليه ، فكتب عثمان

« الى عمر بن الخطاب » . فلما أفاق قال ، من كتبت ؟ قال عمر قال قد اصبته ما في نفسي ولو كتبت نفسك لكنت اهلاً له وأجمعوا على ذلك ودعوه خليفة خليفة الرسول ، ثم قالوا هذا يطول فسمى امير المؤمنين

(٤٢) وفي زمان خلافته كان فتح العراق وسقوط ملك العجم وفتح دمشق واورشليم ومصر . واذ بلغ مصر ان العرب يقصدونها هرب بطرك الاسكندرية جرجس بحراً واقام الامبراطور عوضاً عنه الاسقف قيروس الماروني الذي كان على مذهبه بانقول بالطبيعتين والمشية الواحدة خلافاً لمذهب الملكيين القائلين بالطبيعتين والمشيتين ولمذهب اليعقوبيين القائلين بالطبيعة والمشية الواحدة . فازداد هؤلاء نفوراً من الاغريق وكرهاً لهم وهكذا لما دخل عمرو ابن العاص ارض مصر وجدهم من انصاره ضد الروم . اما الاسكندرية فكان فتحها في الثاني والعشرين من شهر ديسمبر سنة ٦٤٠ م وغرة محرم سنة ٢٠ هجرية

(٤٣) ولما شاهد عمرو مدينة الاسكندرية عجب من عظمتها فكتب الى امير المؤمنين عمر يقول اني فتحت مدينة مصر العظمى ووجدت فيها اربعة آلاف قصر ومثلها حمامات واربعائة مرسح واثنى عشر الف حانوت واربعين الف يهودي يدفعون الجزية واني باعث اليك ما طلبته مني من الطعام اجمالاً يكون اولها عندك وآخرها عندي

(٤٤) وكانت شروط عمرو مع المقوقس زعيم القبط على ان تكون للقبط الحرية المطلقة بدينهم وعليهم جزية ذهبين عن كل رجل . فقول المؤرخ العربي ان الجزية جمعت ثمانية آلاف الف ذهب فيه إما مبالغة واما جور من عمرو معاً اشتهر عنه من الرفق بالمصريين لانه من المحقق بأن ذلك الشعب برمته من صغير وكبير رجالاً ونساءً لم يكن حينئذ يفوق اربعة آلاف الف نسمة

(٤٥) وقد لاقى عمرو بفتح الاسكندرية تعباً جماً ومقاومة عنيدة من الروم ، وليس كما يزعم ابو الفرج بأنه فتحها صلحاً

(٤٦) فالاسكندرية رغمًا عن انحطاطها عما كانت بأوان عزّها فانها بعين هؤلاء العربان كانت تُرى ولا بد بغاية الجمال والكمال . فان الناظر اليها من البحر كان يرى تلك المنارة على جزيرة فار وهي اول منارة عرفها الناس واستفادوا بها . ثم يرى السد الذي يصلها بالبر على ثلاثة ارباع الميل وتحت القناطر لمرور المراكب الصغيرة من مرفأٍ للآخر . اما قناة الماء العذب التي كانت فوقه فانها كانت قد تعطلت . ثم بنزوله للبر كان يدخلها من باب الشمس . وبعيداً منه يرى باب القمر وبينهما طريق واسع مستقيم مزان بالعمد وفيه ضريح الاسكندر وطريقاً آخر يعارض هذا ذاهباً شرقاً وغرباً من الباب القانوبي الى باب المقابر الذي لم يكن باقٍ من عمُد زينتة الا القليل . اما الموزيوم الجديد فكان قد اقفز من الطلبة . ومدرسة الفلسفة المسيحية

قد مُحي أثرها . وخارج الباب الغربي كانت ترى المقابر القديمة
والمسيحية الجميلة المنظر . اما مقبرة اليهود فكانت حقيرة وخارج
الباب الشرقي . وكان يرى بالقرب من الباب الغربي داخل السور
معبد سيرابيس البديع الذي لم يبقه جمالاً غير قابيتول روما ، وقد صار
الكنيسة الكاتدرائية وفي ساحته العمود الشامخ حاملاً تمثال
ديوقليتيان على فرس . وتليه كنيسة كانت قديماً معبد قيصر او
السيباسته امامها مسلمان من عمل ثيبه اتى بهما الرومان الاولون وبقيتا
لزينة كنيسة مسيحية . وكانت بالمدينة كنائس اخرى اعظمها
كنيسة مار مرقس ، والسيدة ، ويوحنا المعمدان ، وتيودوسيوس
وارقاد يوس ، و باخوس ، وكان الميدان على الشاطيء الشرقي قد صار
خراباً ، ومن تلك الجهة كانت ترعة النيل تأتي المدينة لشربها وعلى
هذا الشاطيء كانت مخازن الخراج المحصنة وغير بعيد منها كانت
الثكنة القديمة وفيها بقايا اعمدة كان اغسطوس احضرها لبناء مدينة
نيقوبوليس . وكان البروخيوم الحصن القديم والشبيه بمدينة قد
اصبح خراباً ، وحارة اليهود لم يبق فيها غير فقراء يدفعون الجزية
(٤٧) الا ان هذا الانحطاط لم يكن شيئاً ازاء ما جلبه تسلط البدو على
هذه المدينة . وما كاهم عمر ولا عمرو . فانهم اولاً ضيقوا مجالها عما
كان ، تاركين عمود ديوقليتيان خارجاً عن السور الجديد وبعد ذلك
اكتفوا منها بالسد فقط نظراً لقلة سكانها . ولم يبق من مزارع مصر

سوى ثلاثة آلاف الف فدان او الثلث مما كانت اوان عزّها
 (٤٨) اما مكتبتها الشهيرة فان التي جمعها البطالسة بالموزيوم في
 البروخيوم كانت قد احترقت بحصار يوليوس قيصر فيه . والتي
 أهداها مارق انطوني لقلاوفطرا وكانت في معبد سيرابيس لعهد
 يوليان قد انتهت من المسيحيين بعهد تيودوسيوس . لأن المؤرخ
 اوروسيوس الذي زار معبد سيرابيس بهذا العهد يقول بأنه لم يجد
 فيه حينئذٍ كتاباً . لكن لا بد من أن يكون لمعبد قيصر والموزيوم
 القلودياني من مكتبة لأننا نرى علماء الوثنيين لعهد يوستينيان
 والمسيحيين بعده مشغولين بالتدريس والتصنيف الذين لا بدّ لهم من
 المكاتب . انما قول عبد اللطيف بأن احراق هذه الكتب بأمر
 امير المؤمنين عمر قد كفى حمامات الاسكندرية ستة اشهر ففيه
 ولا شك مبالغة ، وربما ان الصحيح هو ان وقدها تدريجاً هو الذي
 اخذ هذه المدة الطويلة . اما اصل الحكاية فهو ان يوحنا المنطقي
 سأل عمرو بن العاص ان يسمح له بهذه الكتب اذ لا حاجة للعرب
 بها . فاستشار عمرو امير المؤمنين بأمرها فأجابه ان يحرقها لأنها ان
 كانت تطاوع القرآن ففيه غنى عنها وان كانت تناقضه فاعدامها
 واجب وهي شنشنة قد عرفناها من بعض المسيحيين قبله لا سيما
 وانها تخالف نص القرآن وقوله ، سبحان من علم بالقلم علم الانسان
 ما لا يعلم .

(٤٩) ومن هذا الزمان تحولت لغة مصر للعربية وخرجت الاسكندرية من نطاق ازوبا ودخلت بحكم الخلفاء وتاريخهم . وخط العرب مدينة جديدة على انقاض مدينة بابل بين منف وهليوبوليس وسموها الفسظاط . وبعد زمان بنوا مدينة اخرى اقرب الى هليوبوليس وسموها القاهرة . وزينوها بالمساجد والمآذن من انقاض الاسكندرية ومنف وهليوبوليس حتى اننا نجد البعض من بلاطاتها ، واضائها من اقدس البلاطات الوثنية ، تداس الآن بالارجل

(٥٠) وبالتدرج تزايد عدد المهاجرين لمصر من عرب وسوريين ، الا ان القسم الاكبر منهم قطن المدن وقليلاً ما اختلطوا بالفلاحين نسل قبائل الغالة من افريقيا الشرقية الذين اسلموا . أما القبط فما برحوا على دينهم المسيحي وحرقتهم الصناعة والتجارة . وبين سلسيليس والشلال الثاني نرى النوب سائلة النبط الذين حاربوا ديوقليتيان ومنهم كانت ملوك ثيبه وما وراها . وهم والقبط كانوا اولئك الذين شادوا المعابد الضخمة وخطوا موتاهم وكتبوا بالخط المصري القديم ، وكانوا وقتاً ما كلهم مسيحيين . وشرقي النيل بالقرب من القصير وابي سنبل الى مروي نرى عرب العبادة اصحاب الجمال كما كانوا في عهد رمسيس . وبالصحراء بين السودان والبحر الاحمر جنوب اسوان نرى عرب البشارية نسل اولئك العربان الذين على

زعم الاغريق كانت عيونهم في صدورهم . ونرى بالحبشة سليمة اولئك اليهود المهاجرين من ايله ، وهي الآن عقبه ، ربما من قبل زمان سليمان وهم للآن اقرب شبيهاً بهيئتهم ولغتهم لليهود من العرب . وجهة سينانرى عرب الطور سليمة قادة موسى الى عزيزون جبر على خليج ايله . وبالقرب منهم عرب العلويين سليمة الادوميين اخصامه اصحاب حجر ، وهي ثمود القرآن

(٥١) وما زالت مصر من ذاك الزمان تسعد تارةً وتشقى اخرى ، ومرسجاً تلعب فيه اغراض الرجال بدولة الاسلام الى ان صارت ولاية عثمانية ، ثم حكومة خديوية لا تأثير لها على المذاهب المسيحية لا سيما وان القبط لما انقطعت مصاهرتهم للروم والعرب المسيحيين ضعفت ذريتهم وقل عددهم .

(٥٢) ثم عندما شاع استعمال البخار لتسيير المراكب الثقيلة وتحوّلت الافكار لايجاد اقرب الطرق لمواصلات اوربا مع الشرق الاقصى ، عرض المهندس ده لِيَسْبِس (١) على الخديوي اسمعيل حفر ترعة لهذه المراكب بين البحر المتوسط والبحر الاحمر واظهر له فوائدها لمملكته ، فقبل رأيه وساعده على انشائها شركة تجارية . وتيسر له فتحها بايامه السعيدة سنة ١٨٦٩ م في السابع عشر من شهر نوفمبر باحتفال

(١) الذي كان ايضاً القنصل الفرنسي بالقاهرة وصار يعرف فيما بعد بالكونت ده ليسبس

عظيم حضرته الامبراطورة اوجني ، وصارت هذه الطريق تدعى
 ترعة السويس . وكان اسمعيل هماماً مقداماً كريماً الا انه قصير النظر
 بالعواقب ، والكريم يُخدع ، فخدعه رجال احاطوا به لمكاسبهم وورطوه
 بالنفقة الفارغة فاستدان ولما عجز عن الوفاء سلم خزينته لاهل الدين
 من انكليز وفرنسيين . ولأنه خالف رأيهم بعزله وزيره القبطي نو بار
 باشا تنفر منه الانكليز ، وكانوا قد اشتروا منه ، برأى وزيرهم لورد
 بيتونسفيلد ، حصته من اسهام شركة التركة فحملوا السلطان على خلع
 سنة ١٨٧٩ فخلّفه ابنه توفيق الطيب الذكر ، لكنه بعد قليل تلبك
 امره من عصيان عرابي باشا وزير حريته الراغب في الغاء المراقبة المالية
 بتحريك من السلطان عبد الحميد سنة ١٨٨٢ . فاتفق الانكليز
 والفرنسيين على اسقاطه فاعجزهم ، وجيش المصريين لمقاومتهم . واذ
 كانت مراكز الانكليز بالطريق للاسكندرية لعبت السياسة
 بالفرنسيين فانسحبوا وتركوا الانكليز وحدهم لسد هذا الخرق
 فدخل الجنرال سارجانت ولسلي الاسكندرية باربعين الف مقاتل
 ولاقى عرابي في التل الكبير وهزمه ثم قبض عليه في القاهرة ونفاه سنة
 ١٨٨٣ بأمر دولة الانكليز الى جزيرة سيلان حتى سنة ١٩٠١ التي
 أُفرج عنه فيها . وعُيّن له معاشٌ بالقاهرة من ستمائة جنيه بالسنة الى
 ان مات

(٥٣) وبهذا الاثناء كان توفيق قد توفي وخلفه ابنه الشاب عباس ، اذ

الذائب الإنكليزي بالناهرة، الملاجور اوان برنج الذي كان اصلاً احد المراقبين المايين وصار فيما بعد لورد كرومر. فحداثة سن الخديوي التقت على عاتق هذا الكيل حملاً ثقيلاً بادارة البلاد ذمه نصاحبها وسياسة الصالح العام. فأمّن البلاد وأجرى العدل واصلاح المااية. ورأى من عباس جهلاً بهذه الخدمات وميلاً للاستبداد برأيه فاستعمل معه قساوةً قتته بعصية الاستقلال. وكان الإنكاييز قد اخنلوا السودان، قاتلة رجلهم الصديق غوردون. فلبثوا يراقبون الخديوي عباس الى ان لما ابتدأت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ وهو بالاسنانة لم يأمنوا من عودته لمصر ورأوه يتناجى مع اخصائهم فأسقطوه من امارته وبايعوا عمّه حسين سلطاناً حرّاً من تداخل الاسنانة. وكان يرجي منه خير كثير لمصر لكنه بعد سنتين مات وخلفه اخوه فؤاد ونعم الختف. والمأمول الآن ان تقدم البلاد المادي والأدبي المستفاد من اسانيتها الإنكاييز يسمح لهم بتركبا اعمدة اهلبا بطريفة تحفظ الامن للسكان وتقي مصر والترعة من التعدي عليهما، لما لذلك من الاهمية لتجارة الدنيا بأسرها. ولعل المستقبل لا يلبث ان يرينا مصر من المالك الزاكية ومن انصار الشعوب الحرّة السلمية ان شاء الله.

١٥ مارس سنة ١٩٢٢. صح: — وها هي الآن مملكة دستورية!
فقات لها سيري وارخي زمامه ولا تبعديني من جنك المائل

الاسلام

(١) الاسلام ديناً هو زين التوراة والانجيل ، ومذهباً وشريعة هو أحد المذاهب المسيحية الجدلية (التي عرفناها بهذا الكتاب) والشرع الموسوي والعربي ، فلا حجة لنا عليه ولا اعتراض البتة . ولو انحصر الدين بن خرج منه من الصالح والفضلاء لبارى الاسلام أي دين كان . انما انتشاره السريع عند الذين قالوا آمناً ولما يدخل الايمان في قلوبهم ، وتنصير الرعاة بانشاء المدارس ، واستبداد اكثرهم وعملهم بأهوائهم الشخصية ، يقرأون الكتاب فلا يتجاوز حناجرهم ، قليلاً ما افاد جمهور المسلمين من أممات الكتاب . والنفس أمارة بالسوء ، فاذنك نراهم أحط درجة من الامم الراقية ، فيسلبون هذا الدين محاسنه كما تم ذلك لجمال اليهود والمسيحيين قبلاً وبعداً

(٢) اما الخلافة وعليها سل السيوف فانها بالوضع شوروية ، ومزيتها العدل وكمال التقوى والآداب والأفهي سلطنة عسكرية ، وليس لأجلها سيفة من شاء . ولا يصلح الله من أمر قوم حتى يصلحوا ما بأنفسهم . وفي الله الاسلام من استبداد الحكام المسلمين ، آمين

(٣) ومن أول الزمان وقع في الاسلام التباين بالأراء كما وقع في

النصرانية . بعضه في الاصول وهو موضوع علم الكلام ، وبعضه في الفروع وهو موضوع علم الفقه . فالخلاف في الاصول ينحصر في اربع قواعد ، الاولى الصفات والتوحيد ، الثانية القضاء والقدر ، الثالثة الوعد والوعيد ، والرابعة النبوة والامامة

(٤) وكبار فرق الاصوليين ست ، المعتزلة وضدها الصفاتية ، والقدرية

وضدها الجبرية ، والمرجئة وضدها الوعيدية . ويتشعب من هذه اصناف فتصل الى ثلاث وسبعين فرقة . وقد رأينا مثلها بالنصرانية

(٥) فالمعتزلة يعمهم من الاعتقاد نفي الصفات عن ذات الباري تعالى

هرباً من أقانيم النصارى ، واتفقوا على ان كلامه تعالى محدث بخلقه

في محل وهي المصاحف . وكان منهم احمد بن حنبل زعم ان المسيح

تدرّع بالجسد الانساني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما يقول

النصارى . ومنهم عيسى الملقب بالمزدار بالغ في القول بخلق القرآن

وان العرب كانوا قادرين على مثله فصاحةً وبلاغة . اما الصفاتية

فانهم يثبتون لله صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة ، حتى من

السمع والبصر والكلام الى حد التجسيم زاعمين بأن لا بد من اجراء

حكم الآيات الدالة عليها كالاتواء على العرش وسفر التكوين .

الا أن هذا المذهب نقضه ابو الحسن الاشعري بمنعه التشبيه

(٦) والقدرية ينفون القضاء والقدر فيقولون ان العبد قادر خالق

لافعاله ومستحق عليها ثواباً ام عقاباً ، فالله تعالى منزّه عن ان يضاف

اليه شرٌّ وظلم وسموا هذا النمط عدلاً . اما الجبرية فيقولون ان الله تعالى يخلق الفعل والقدرة في الانسان لكنها لا تؤثر بفعله وان أثرت وشطّنت به فان الله مالك في خلقه يفعل فيهم ما يشاء ، ولا يُسأل عما يفعل وهو في ذلك كله عادل لان العدل على رأيهم هو التصرف بما يملكه المتصرف ، ويوافقون المعتزلة في نفي الروية وخلق الكلام والمرجئة يقولون بارجاء صاحب الكبيرة من المؤمنين الى القيامة (٧)

ويقولون ايضاً انه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . أما الوعيدية فيقولون بتكفير صاحب الكبيرة وان كان مؤمناً . فها أنا في كل هذا نرى خيال المسيحيين قبلهم واحسبه قد أخطأ المحجة ولو كنت بي من نقطة الباء خفضةً رفعت الى ما لم تنله بحيلة

(٨) أما مذاهب الفرعيين المفسرين للأحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية فالمشهوره منها اربعة . مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، ومذهب مالك بن انس ، ومذهب محمد بن ادريس الشافعي ، ومذهب احمد بن حنبل . وازكان الاجتهاد ايضاً اربعة ، الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وذلك لأنه اذا عرض لهم حادثة شرعية من حلال او حرام ابتدأوا بالكتاب فان وجدوا فيه نصاً عليها قضوا به والأى فزعموا الى السنة وهي الحديث الصحيح عن النبي ، فان وجدوا فيها خبراً حكموها بموجبه والا فزعموا الى اجماع الصحابة لانهم راشدون حتى لا يجتمعون على ضلال ، وان لم يروا به مشنداً فزعموا الى القياس

لأن الحوادث غير متناهية والنصوص متناهية. وقد حان الآن التوسع
بالقياس كما يقتضيه حال الزمان

(٩) ومن الأئمة داود الاصفهاني نفي القياس أصلاً و ابو حنيفة شديد

العناية به و ربما يقدم القياس الجلي على احاد الاخبار ، ومالك والشافعي
وابن حنبل لا يرجعون الى القياس ما وجدوا خبراً او أمراً، وكل هؤلاء
من اهل السنة وقد نقلنا خبر الامام علي عنهم لكنه فاسد عند الشيعة

(١٠) اما الشيعة فهم الذين شايخوا علي بن ابي طالب ابن عم النبي

وصهره وقالوا بان الامامة لا تخرج من اولاده الا بظلم ويجمعهم
القول بثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبار والصغار وان الامامة
ركن من اركان الدين لا يجوز تفويضه الى العامة. ولهم ضد بالخوارج
الذين منهم من خطأً علياً فيما تصرف فيه ومنهم من كفره ومنهم
من جوز ان لا يكون في العالم امام اصلاً وان كان فيجوز ان يكون
عبداً او حرّاً او نبطياً اي اسوداً، اذا كان عادلاً وان عدل عن
الحق وجب عزله وقتله وكيف كان الامر فان قتل الحسين حفيد
النبي لا يعذر

(١١) فعلى هذا البناء صار الاسلام احد اركان العالم الدينية الموقرة ،

لكن انتشاره السريع وظروف الزمان التي شاع فيها لم تسمح بتهديب
جمهوره الهمجبي بعد هدمه اركان التمدن القديم ولم يتهدب بعدئذ
حتى خرج الحكم من يد العرب فتوقف بينهم الاجتهاد وصدت

القرائح وأصبح الاسلام مقصراً عن اصل وضعه كما جرى قبلاً بالمذهب
المسيحي وقبلة بالموسوي

(١٢) والحالة هذه فان النهضة العربية الجديدة لا تقوم الآن ما لم
يكتنفها رجال صادقون يديرون مصالحها بالحكمة والعدالة والاقتصاد
مستندين على شعب طائع رزين يسهل لهم الاهتمام بترقية الآداب
وطرائق العمران واكتساب ثقة العالم المتزعزعة من سوء السياسه
السالفة



تم هذا الكتاب بعون الملك الوهاب في سبع عشرة

ليلة خلت من يونيو سنة ١٩٢٠ م

والثلاثين من شهر رمضان سنة ١٣٣٨ هـ

﴿ وتم طبعه في أول شهر مايو سنة ١٩٢٤ م ﴾

obeikandi.com

فهرست الكتاب

الفصل الاول

صفحة ٥ الى ٣٤

وصية ملك مصر اليوناني والد قلاو فطرا
قلاو فطرا

موت پوه پي بالاسكندرية غيلة
وصول قيصر للاسكندرية
احتراق المكتبة

قيصرون بن قيصر من قلاو فطرا
موت قيصر في روما غيلة

مارق انطوني في طرسوس واستقباله فيها قلاو فطرا
عشقه لها

هديته لها مكتبة من برغاموس
انتصار او قتاو يانوس عليه

موت انطوني وقلاو فطرا
شجرة عائلة البطالسة

الفصل الثاني

صفحة ٣٥ الى ٦٧

اوقتاويانوس الملقب اوغسطوس ، اي الجليل المعظم

مصر ولاية رومانية

هيرود المسمى ايضاً هيرود اغريباً الثاني ملك فلسطين

عظمة تجارة الاسكندرية

حاكم مصر يغزو العرب بالجزيرة

روما تدين بدين مصر

يهود مصر زهاء الف الف

رهبان اليهود

اغريباً عائداً من روما يمرّ بالاسكندرية

فيلوي اليهودي الافلاطوني

اكتشاف طريق الهند بحراً

تجارة القرطاس

الكيمياء المصرية

خمر البلاد والغريب عنه

فينيكنس الطائر الخرافي

ابتداء التبشير بالمسيحية في الاسكندرية

عصيان اليهود في فلسطين والحرب ضدّهم

الفصل الثالث

صفحة ٦٨ الى ٧٨

وسبازيان امبراطور قاهر اليهود
 ابولونيوس الكاهن المشعوذ
 خراب هيكل اورشليم واذلال اليهود
 دوميتيان يدين بدين المصريين ويشيد معابدهم في روما
 الشاعر الروماني يوينال يسخر من عبادة المصريين للبهائم
 حقيقة اعتقاد كهنة مصر

الفصل الرابع

صفحة ٧٩ الى ٩٩

اعتبار اطباء مصر عند الرومان
 تخزين خراج مصر في روما بأمر تراجان
 تجارة الاسكندرية
 تنصر كثيرين من اليهود
 صنم ثيبه النغمي
 كتاب هديران عن أخلاق المصريين
 المسيحية المصرية
 شيوع التجيم في مصر
 الاسكندرية ما برحت قطباً لعالم الدنيا وتجارها
 دلائل انتشار المسيحية

الفصل الخامس

صفحة ١٠٠ الى ١١٣

ظهور ضعف يتيقن جمهور المصريين
ابتداء الانقسام بين المسيحيين القبط والاغريق
اضطهاد المسيحيين
فقر مصر

انتقام قراقلاً من اغريق الاسكندرية
الافلاطونية الجديدة

اوريجين المسيحي
تسطي الفرس على املاك الرومان الشرقية

الفصل السادس

صفحة ١١٤ الى ١٢٢

اوديناطوس ملك تدمر شريكاً لغيليانوس
تحسين حالة المسيحيين
كتاب الوحي

زينوبيا ملكة تدمر
فرموس من سلفكيه ملكاً في مصر
استقلال السودان

اضطهاد المسيحيين الشنيع
اريس

شيوخ عبادة مترا والمناوية

الفصل السابع

صفحة ١٣٣ الى ١٥٨

قسطنطين واعتناقه الدين المسيحي

الانقسامات الكنائسية

مجمع نيقيا

اسم النصراني

بناء القسطنطينية وانتقال كرسي الملك اليها

خمول روما

خمول الاسكندرية

نزاع كنائسي

الاتقلاب السياسي الناتج من انتشار المسيحية

امتداد الرهبنة

عجائب النساء

روما تابعة مصر بالاراء الدينية

الاحتفال بالقرن الحادي عشر من بناء روما

تأثير أبراج الفلك بأمزجة الخلق

هيجان الوثنيين ضد المسيحيين

موت البطريرك اثناسيوس مؤسس السلطة الكنائسية

رهبان مصر

سباق الخيل في غزة

خروج حجر من يد الرومان

صفحة ١٥٩ الى ١٧٨

الفصل الثامن

الضربة القاضية على الوثنية

خراب معابدها

اتهاب المكتبة

تقاليد وثنية عند المسيحيين

نزاع ديني مسيحي

سوء حالة مصر الاقتصادية

هبثايا العاملة الوثنية وموتها الشنيع على يد المسيحيين

غريغوريوس الأول بابا روما مبشر الانكليز بالمسيحية

نسطوريوس

رهبان الافرنج في مصر

تقدم صناعة عمل الورق

شبان الارمن في مدارس الاسكندرية

أوروبا تهرول الى الخراب

صفحة ١٧٩ الى ١٨٧

الفصل التاسع

نزاع ديني بين المسيحيين

مجمع خلقيدونيا

النوب

نزاع ديني مسيحي

تواتر النزاع

الفرس تحت أسوار الاسكندرية

مجاعة ووباء فيها

إحسانات اليهودي المنتصر أريبب

صفحة ١٨٨ الى آخر الكتاب

الفصل العاشر

عرب حمير

نزاع ديني مسيحي

الروم الملكيين

الجبشة

جزائر بريطانيا وتجارة مراكب المصريين معها

موريقي وكسرى

أغوسطين الراهب المبعوث من البابا غريغور يوس لبريطانيا

ظهور الهلال المحمدي بمكة

كسرى ينتقم من قاتلي موريقي

احتلال مصر من الفرس

قطع خراج مصر عن القسطنطينية

اجلاء الفرس عن مصر

الهجرة النبوية

الخلافة

احتلال مصر من العرب

أمير المؤمنين عمر يأمر باحراق كتب مكتبة الاسكندرية

سكان مصر حينئذ

مصر ولاية عثمانية

مصر حكومة خديوية

حفر ترعة السويس

احتلال مصر من الإنكليز

الحزب العظمى

استقاط الخديوي عباس

تحرير مصر من سيطرة الاستانة

حسين سلطان مصر

فؤاد ملك مصر

مصر مملكة دستورية

الاسلام والتهديب العربي

اصلاح خطأ

صفحة	بند	سطر	خطأ	صواب
٥			العيلات	العائلات
٢٣	٣٧	٩	مجرهرة	مجوهره
٣٠	٥٣	١	اقتصاد	اقتصاداً
٣٢	٥٩	٢	كتابتهم	كتابتها
٣٦		٢	لولاية	بولاية
٤٠			حاشية	خمسة عشرة
٤٤	١٩	١	يتحرش	يتعرض
٤٩		٤	يصلون	يصلون
٥١	٣٣	١	تيرش	تعرض
٦٨	١	٤	اكتساب به	اكتسابه
»	٢	٩	سنين	السنين
٦٩		١	أيُّ	أيَّ
١٠٣	١٠	٢	فصارت من	فصارت تكتب من
١٣٨	١٢	٤	مسجد	معبد
١٤١	١٩	٣	للار يوسيين	بالار يوسيين

صفحة	بند	سطر	خطأ	صواب
١٤٧	١٩	٣	يتحرض	يتعرض
١٤٩	٤٢	١	يتحرض	يتعرض
»	٤٣	٢	لغنّ	لغنّ
١٦٥		٢	يجترء	يجتريء
»	١٦	٣	يستشفون	يستشفوا
١٦٩	٢٥	١٠	٥١٤	٤١٥
»	٢٦	٢	فيها	فيه
١٧١	٢٩	٦	الى الصحرا	بالصحرا
١٨١		٢	بأنهم لا	بالأ
١٨٦	٢٠	٥	عن	من
١٩٥	١٦	٣	باحتكار	حيفاستوس
»	»	٤	حيفاستوس	باحتكار
١٩٦	١٩	٦	لهم	بهم
٢٠١	٣٢	٦	بالمسبح	بالمسيح
٢٠٤	٤٠	٤	بأمره	يأمره
٢٠٥	٤٢	٣	مرسح	مرسحاً
٢٠٦	٤٦	٣	قار	فاروس